

وليم شكسبير

هنري السادس

١ - ٣

تقريب: ا.ر. مشاطي

إشراف: نظير عابد

دار
نظير عابد



هنري السّادِسُ

هنري السادس

الجزء الاول

تعريب :

انطوان رزق الله مشاطي

العدد	٧١
٨٢٢٣٣	
١٥٤٩٨	
رقم	

جميع الحقوق محفوظة

أشخاص المسرحية

الملك هنري السادس	
دوق كلوسستر	: عم الملك وحامي المملكة .
دوق بدفورد	: عم الملك ووصي على عرش فرنسا .
توماس بوفور دوق إكسستر	: عم والد الملك .
هنري بدفورد	: اسقف ونشستر ، فيما بعد كردينال ، عم والد الملك .
جون بوفور دوق سومرست	
ريشار بلانتاجينه	: بَكر المتوفي ريشار ، كونت كمبريدج ، فيما بعد دوق يورك .
كونت وزويك .	
كونت سالزبري .	
كونت سوفولك .	
لورد تالبوت	: فيما بعد كونت شروزبري .
جون تالبوت	: ابنه .
ادموند مرتيمور	: كونت مارش
سير جون فستولف .	
سير وليم لوسي .	
سير وليم كلانسدائل .	

سير توماس كارتر كرايف .

محافظ لندن .

: ملازم البرج .

وذقيل

: من جماعة الوردة البيضاء ، فريق يورك .

فرنون

: من جماعة الوردة الحمراء ، فريق لنكاستر .

باسي

رجل قانون .

دوق بوركون .

: ولي العهد ، فيما بعد ملك فرنسا .

شارل

: دوق انجو وملك نابولي .

رينيه

دوق آلنسون .

لقبط اورليان .

حاكم باريس .

ضابط المدفعية في اورليان وولده .

قائد الفيالق الفرنسية في بوردو .

: والد جان دارك .

راع عجوز

: الملقبة بالعذراء .

جان دارك

: ابنة رينيه ، فيما بعد زوجة هنري السادس .

مرغريت

كونتيس أوفارن .

شياطين تظهر على العذراء ، لوردات ووجهاء ، حراس وضباط وجنود ، رسل

ورجال حاشية ، رقيب وبواب إلخ .

تجري الأحداث حيناً في انكلترا وحيناً آخر في فرنسا .

الفصل الأول

المشهد الأول

في دير وستمنستر

يُسمع لحن جنائزي. جثمان الملك هنري الخامس مسجى في نعش فاخر،
يحيط به دوق بدفورد ودوق كلوسستر ودوق أكسستر وكونت ورويك
وأسقف ونشستر وأسقف هيرو إلخ...

بدفورد: لتشبح السماء بالسواد! وليلحّ الليل محلّ النهار! وأنت أيتها
الكواكب المالكة سلطة تبديل الأزمنة والامبرطوريات هزّي في
أعالي الفلك جدائلك البلورية، واجلدي بالسياط النجوم الخبيثة
المتعمدة التي تكاثفت للقضاء على هنري الخامس، الملك اللامع
الذي لم يعيش طويلاً ولم تعرف انكلترا عاهلاً عظيماً نظيره.

كلوسستر: قبله لم تعرف انكلترا ملكاً تحلّى مثله بكرامة الحكم الفاضل. فكان
السيف في يده بّثار، اهتدى بلمعانه الرجال، وطالت ذراعاها
اجنحة الثّنين، وتطاير من عينيه البراقتين شرر الغضب الذي هزم
اعداءه الكليلي البصر أكثر مما تفعله الشمس وسط كبد السماء في
رابعة النهار. ماذا أقول؟ كانت أفعاله تتحدّى جميع الأقوال، ولم
يرفع يده إلا لينال الغلبة والنصر.

اكساتر: نحن نلبس السواد حداداً ، فلماذا لا نلبس خصومنا أثواباً من الدماء ؟ لقد مات هنري ولن يعود الى الحياة . اننا نخطط الآن بنعش من خشب ، ونمجّد بحضورنا جلال الموت الذي أذلّنا كأننا أسرى مكبلين بالسلاسل ومشلّودين الى عربة المتصرّ . فهل نلعن الكواكب المشؤومة التي تأمرت علينا وهدمت أعجادنا ؟ أو نعتقد بأن الفرنسيين البارعين هم سحرة أرعدتهم سطوة مليكنا فوضعوا حداً لحياته وندبوه بأشعار بليغة ؟

ونشستر: لقد كان ملكاً باركه رب الأرباب الذي سيقصّ يوم القيامة من الفرنسيين ويترّل بهم ويلات أقسى من كل ما اتّابهم في هذه الدنيا . ولقد ربح المعارك في سبيل إله الجيوش بفضل دعاء رجال الدين الذين استمطروا عليه الخيرات .

كلوستستر: لكن أين رجال الدين ؟ لو صلّوا كما يجب لما انقطع خيط حياته هكذا باكراً . أتم تفضّلون أميراً متخفّئاً بوسعكم أن تسيطروا عليه كأنه تلميذ مدرسة .

ونشستر: مهما كان ميلنا يا كلوستستر ، أنت حامي الأمير وتود أن تديره وتتحكّم بملكه . زوجتك المتشاحخة تسيطر عليك أكثر من ربك ومن رجال الدين الأجلّاء .

كلوستستر: لا تتكلم عن الديانة ، لأنك منشغل بملذات الحياة ، وطوال السنة لا تصلي ، وإن فعلت فلتطلب المصائب لأعدائك .

بدفورد: كفى ، كفى هذا الشجار . إلزما الهدوء . فبدلاً من الدعاء سنقدم لله أسلحتنا التي لم يعد لها من فائدة بعد وفاة هنري . وعوضاً عن

الازدهار سنعاني سنوات من البؤس والشقاء ، فيها لن يرضع
أطفالنا سوى لبان الحزن والأسى ، ولن تبُلّ جزيرتنا سوى دموع
التعاسة والهوان بدلاً من قطرات الندى والصفاء ، ولن يبقى إلا
النساء لتندب الأموات والتحسّر عليهم . أيا هنري الخامس
الراحل ، أستحلف خيالك أن تصون هذه المملكة وتحفظها من
خلافات أهلها ، وأن تقا تل كواكب اخصامنا في السماء لأن
روحك نجم يتألّق مجدداً أكثر من يوليوس قيصر .

يدخل رسول

الرسول : أحبيكم يا سادتي المحترمين ، وآتيكم من فرنسا بأنباء سيئة عما حلّ
بنا من الدمار والمجازر والويلات . فقد خسرنا مستعمرة غويّانا
ومقاطعة شمبانيا ومدن روان و رانس وأورليان وباريس وجيزور
وبواتيه .

بدفورد : ماذا تقول ، أيها الرجل ، أمام جثمان هنري ؟ أخفض صوتك ،
والأفقبال فقدان هذه المدن الكبيرة سيشتقّ المرحوم ما يغلفه من
صفائح الرصاص ويقوم من بين الأموات .

كلوسستر : هل خسرنا باريس ؟ وهل استسلمت مدينة روان ؟ لو عاد هنري
الى الحياة لأزهقت هذه الأنباء روحه حتماً .

أكساتر : كيف حلّت بنا هذه الخسائر ؟ وأية خيانة جرّتها علينا ؟

الرسول : لا ، ليست الخيانة بل قلة الرجال والمال . لقد سرت بين الجنود
همسات بأنكم تدبّرون هنا شتى المكائد ، وعندما يقتضي الأمر
ارسال جنود لمساندة حملة ما ، تتشاجرون على اختيار القوّد .

الأول يريد تمديد الحرب بأقل التكاليف ، والثاني يود أن ينهيا بأسرع ما يستطيع بدون أن تكون لديه الإمكانيات اللازمة ، والثالث يفكر بأن السلم يمكن أن يتم بدون ثمن أو بالكلام المعسول . استيقظوا ، استيقظوا يا نبلاء انكلترا ! لا تدعوا التخاذل يبدد أجدادكم الحديثة العهد . فازهار الزنبق قد انتزعت عن سلاحكم ونصف أجداد انكلترا قد مرّغت في الوحل .

أكساتر : اذا غابت أسلحتنا بعد هذه الجنازة ، فان انباء ضعفنا ستزيد الطين بلة وسيطفح الكيل .

بدفورد : أنا المقصود بكل هذا التحقير ، بصفتي وصي عرش فرنسا . أعطوني درعي الفولاذي لأذهب الى محاربة الفرنسيين واستردّ سلطتنا عليهم . ابعدوا عني هذه الثياب المعيبة التي تدل على التقاعس . فأنا أريد أن تتدرب عيون الفرنسيين دمعاً بل أن تتدرب جراحهم دماً على يؤسهم الذي تخلى عنهم لحظة .

يدخل رسول آخر

الرسول الثاني : أرجوكم ، يا سادتي ، ان تقرأوا هذه الرسائل الحافلة بالأحداث المشؤومة . ان فرنسا بأسرها قد ثارت على الانكليز ، ما عدا بضعة مدن صغيرة لا أهمية لها . وولي العهد شارل قد توجّج في مدينة رانس ، ولقيط اورليان قد انضم اليه . كذلك رينيه دوق أنجو قد ساندته ، كما أن دوق آلنسون قد خفّ الى اعلان ولائه له .

اكساتر : هل حقاً توجّج ولي العهد ملكاً والجميع يعلنون له الولاء ؟ الى أين علينا أن نهرب للخلاص من هذا العار ؟

كلوستستر : علينا أن نردّ كيد أعدائنا الى نحرمهم . فان لم تصمّم بعد على ذلك يا بدفورد ، فأنا وحدي أخوض غمار هذه الحرب .

بدفورد : لماذا تشكّ بجاسي ، يا كلوستستر؟ لقد جمعت في فكري جيشاً لجباً ، أخذ منذ هذه اللحظة يحتاج أراضي فرنسا .

يدخل رسول ثالث

الرسول الثالث : يا سادتي الأفاضل ، هل عليّ أن أضاعف ما ذرفته عيونكم من دموع في هذه الفترة ، على نعش الملك هنري؟ لا بدّ لي من اطلاعكم على وقوع معركة هائلة بين اللورد تالبوت العظيم وبين الفرنسيين .

ونشستر : معركة انتصر فيها تالبوت طبعاً ، أليس كذلك؟

الرسول الثالث : لا ، لا . لقد خسرها اللورد تالبوت . واليكم تفاصيلها : في العاشر من شهر آب الماضي ، رفع هذا اللورد الخفيف الحصار عن مدينة اورليان وكان تحت امرته ستة آلاف مقاتل ، فطوّقه وأغار عليه ثلاثة وعشرون الف فرنسي . فلم يتسنّ له توزيع رجاله ووضع الجنود أمام رماة السهام ، فاستبدل الجنود بأوتاد اقتلعها من الأسبجة وغرسها عشوائياً لمنع الفرسان من اقتحام صفوفنا . ودام العراك أكثر من ثلاث ساعات ، فاجترح تالبوت الشجاع معجزات بسيفه ورمحه ، وأرسل الى الجحيم المئات من أعدائه ، ولم يقو ، أجد على الصمود أمامه . فهنا وهناك وفي كل مكان زرع الموت بغضب هائل ، حتى ظن الفرنسيون أن الشيطان ذاته كان يصول ويجول في أرض المعركة . فذهل جيشهم وحرار ضباطهم في

أمرهم ، لاسيما حين سمعوا جنودنا يهتفون بحماس لدى رؤيتهم بسالة قائدهم : تالبوت ، تالبوت . ويندفعون الى الميدان غير هيأين . فحسم هذا الانتدفاع مصير الفوز ، وكانت كفة النصر رجحت الى ناحيتنا ، لولا تصرف جون فستولف الجبان الذي كان في مؤخرة الجيش كاحتياط ليساند باقي الجند ، لكنه هرب بدون أن يضرب ضربة واحدة . فاذا بالهزيمة تحلّ بنا وتقع المجزرة الكبرى ، لأن الأعداء كانوا قد التفّوا حولنا وأحكوا تطويقنا . والأُنكى أنّ خسيساً من رجال الوالون ، كي ينال حظوة في عين ولي العهد ، طعن برمح من الخلف تالبوت الذي لم تكن فرنسا برمتها وبكل قوى رجالها الأشداء مجتمعين لتجسر على النظر اليه وجهاً لوجه .

بدفورد : بما أن تالبوت قد قتل ، فليس أمامي سوى أن أنتحر ، لأني عشت هنا لا أبدي أي نشاط ، متنعماً بالبحبوحة والرخاء ، بينا قائداً الشجاع هذا لم تصله النجدة في حينها فأسلمه أصحابه هكذا بأفظع خيانة الى ألد أعدائه الجبناء .

الرسول الثالث : لا ، لا ، هو لا يزال حيّاً ، لكنه اسير ، نظير اللورد سكال واللورد هنرفورد ، أما الباقون فأغلبهم قد لاقوا حتفهم أو سيقوا الى الأسر .

بدفورد : عليّ أنا وحدي أن أدفع الجزية . سأُنزل ولي العهد عن العرش الذي اعتلاه وسأجعل تاجه فدية صديقي . سأستبدل كل أربعة من رجالهم برجل واحد منا . فالوداع يا سادتي . أنا ذاهب لأداء واجبي . عليّ أن أضرم حالاً نيران الفرع في فرنسا لإحياء عيد

شفيعنا الفارس جاورجيوس . سأصطحب عشرة آلاف جندي
لنقهر بغزواتنا الدامية أرض اوروبا من أذناها الى أقصاها .

الرسول الثالث : ستحتاج الى هذا العدو ، لأن أورليان محاصرة ، والجيش الانكليزي
قد ضعف وانهار ، والكونت سالزبري يطلب النجدة . وهو يسعى
ليحول دون تمرد رجاله عليه اذا لاحظوا قلة رجاله ، ويخشى أن لا
يمكنه التغلب على مثل هذا العصيان .

اكساتر : تذكروا يا سادة ، يمينكم أمام هنري بأن تبيدوا جيش ولي العهد
عن بكرة أبيه أو أن تعينوه صاغراً ذليلاً الى طاعتنا .
بدفورد : أنا أتذكر ذلك جيداً ، وأغادركم الآن لأكمل استعداداتي
(يخرج) .

كلوسستر : سأقصد البرج بأقصى السرعة لتفقد المدفعية والذخيرة . ثم أعلن
تولي الملك هنري الشاب شؤون البلاد (يخرج) .

اكساتر : وبما أنني عيّنت حاكماً بأمر من الملك الفتى ، أنا ذاهب الى مدينة
ألثهام حيث يقيم الآن لاتخاذ التدابير الفعالة الآتلة الى حمايته من كل
مكروه وحفظ حياته بأمان (يخرج) .

ونشستر : فليصرف كلّ منا اذاً الى وظيفته ، ما دمت قد نجيتُ جانباً ولم يعد
لي من عمل أقوم به . لكنني لن أبقى طويلاً بدون مهمة ، فلا بدّ لي
من سحب الملك من ألثهام ، والمباشرة في ادارة دفة الأشغال العامة
(يخرج) .

المشهد الثاني

في فرنسا ، أمام مدينة اورليان

تُسمع موسيقى . يدخل شارل مع جنوده وآلنسون ورينيه وغيرهم .

شارل : أرى أن موقف إله الحرب مارس في السماء ، كما هو على الأرض ، لا يزال مجهولاً غامضاً . وقد آزر الانكليز في انتصاراتهم الأخيرة ، أما الآن وقد أصبح النصر حليفنا ، فقد ابتسم لنا الحظ . ما هي المدن الهامة التي لم تعد تحت سيطرتنا . اننا لا نأتي الآن بحركة امام اورليان . والانكليز الجائعون بسحهم الصفراء كأشباح الموتى يحاصروننا بجمود منذ أكثر من شهر .

آلنسون : هم بحاجة الى التغذية نظير البغال ، وإن تكن مخلاتهم دوماً في رقبتهم وسحهم تشبه الفئران الحفيرة التي تغرق في فئجان ماء . تعالوا نهاجهم ونجبرهم على فكّ الحصار . لماذا نظل هنا جامدين ؟ لقد غاب تالبوت الذي كنا نخشاه . ولم يبق سوى الغبي سالزبري الذي يسعه أن ييلع ريقه غضباً بدون جدوى ، ما دام لا يملك رجالاً ولا مالاً لخوض غمار الحرب .

شارل : اقرعوا نواقيس الخطر . وهيا نهاجهم ونشارك في المعركة تشريفاً للفرنسيين المتحفّذين . أنا مستعد لمساحة من يقتلني اذا رأي أتراجع خطوة أو أهرب . (يخرج الجميع . يسمع صوت نغير استجداد . الانكليز يدحرون الفرنسيين ويكبّدونهم خسائر فادحة) .

يدخل شارل وآلنسون ورينيه وغيرهم .

شارل : من رأى أمراً كهذا؟ ومن هم هؤلاء الرجال؟ أليسوا من الكلاب الجبناء الرعايد؟ أنا ما كنت تراجع أبداً لو لم أترك وحيداً وسط أعدائي.

رينيه : إن سالتزيري مجرم ذنىء. هو يجارب كمن سئم الحياة. وسائر اللوردات كالذئاب الجائعة يهاجمونا ويفتكون بنا كأننا فرائسهم.

آلنسون : أحد مواطنينا ، واسمه فرواسار ، قد نقل الينا نبأ مفاده أن انكلترا لا تنجب إلا أمثال اوليفيه ورولان في عهد الملك ادوارد الثالث. فهل هذا لا يزال صحيحاً كما كان على الدوام؟ هم أشباه شمشون وجليات ، يقبلون على هذه المعركة كأنهم واحد لقاء عشرة ، وهم نحلاء كأنهم جلد على عظم ، وما ظن أحد أنهم يستبسلون بمثل هذه الشجاعة.

شارل : لنغادر المدينة اذاً ، لأن هؤلاء الأندال لا يفكرون ، ولا يزيدهم الجوع إلا شراسة. أنا أعرفهم منذ زمن بعيد ، وأعتقد بأنهم يفضلون مناطق الجدران على فكّ الحصار الذي احكموه حولنا.

رينيه : أظن أن قبضات أيديهم تحركها نوابض أو آلات غريبة لكي يضربوا بانتظام كرقاص ساعة حائط ضخمة. وإلا ما استطاعوا أن يصمدوا هكذا. على كل حال لا بد لنا من أن نقاومهم.

آلنسون : فليكن ما تريد.

يدخل لقيط أورليان

اللقيط : ابن ولي العهد؟ لديّ أنباء تهمة.

شارل : أهلاً ومرحباً بك ، يا لقيط أورليان.

اللقيط : يخيل إليّ أنك كئيب واجف. هل هذا ناجم عن المصيبة الاخيرة؟
كُفّ عن الخوف ، لأن النجدة باتت قريبة. اني آتيك بصبيّة عذراء
أوعزت اليها السماء بأن تطارد الانكليز إلى ما وراء حدود فرنسا.
أما مقدرتها العجيبة على التنبؤ فهي أقوى مما كان للملهات التسع في
روما القديمة. وهي تستطيع معرفة الماضي والمستقبل في كل
الأمور. فهل تود أن أحضرها لك ؟ صدّقي ، أنا واثق بصواب ما
أخبرك به .

شارل : هيا جئني بها (يخرج اللقيط). لكن لكي أوقن أولاً بصدق
معلوماته ، خذ ، يا رينيه ، مكاني كأنك أنت ولي العهد. استجوبها
بحنكة وانظر اليها بحدة وبأس ، فنستطيع هكذا أن نقف على مدى
معرفتها الأمور (يتتحي جانباً).

تدخل العذراء ولقيط أورليان وغيرها

رينيه : أيتها الحسنة ، هل أنت واثقة بأنك قادرة على انجاز هذه الأعمال
الباهرة؟

العذراء : هل تظن ، يا رينيه ، أنك تستطيع خداعي؟ اين ولي العهد؟
(تنجّه نحو شارل) هيا اخرج من مخباك (يتقدم شارل). أنا أعرفك
بدون أن أكون قد رأيتك سابقاً. لا تنذهل ، لا شيء يخفى عليّ.
أودّ أن أكلمك على انفراد. ابتعدوا يا سادة ، واتركونا لحظة على
انفراد.

رينيه : كبداية ، اراها تتصرف بشجاعة (يتتحي الوجهاء جانباً).

العدراء :

يا ولي العهد ، أنا بالولادة ابنة أحد الرعاة ، ولم أندرب ذهنيًا على أي من الفنون. لقد شاءت السماء وسيّدة النعم أن ترفع عي البؤس. ذات يوم وأنا أرعى خرافي الوديعة ، واعرض وجتيّ لحرارة الشمس المحرقة ، ظهر لي ملاك من السماء ، ومن خلال رؤيا جلييلة أشار عليّ بأن أغادر أهلي وأن أبتعد عن منطقتي وعن ويلاتها. وقد وعدني هذا الملاك بأن يساعدني وأن يؤمن لي كل النجاح وقد ظهر لي بأروع مجده. وكنت الى ذلك الحين حنطية اللون ، فاذا بالأنوار التي سلّطها عليّ قد وهبتي هذا الجمال الذي ميّزني عن غيري. إطرح عليّ ما شئت من الأسئلة لأردّها عليها ارتجالاً بدون استعداد. امتحن بسالتي ، إذا شئت ، بإرسالي الى ساحة المعركة فتقنّع بأنّي أقوى من جميع بنات جنسي. لا تتردد. فلن تندم على وثوقك بي واتكالك عليّ في الحرب.

شارل :

لقد أدهشني حديثك الجريء الفخور. وأنا مستعد لأن أمتحنك على هذا الأساس. ستنازليني في صراع منفرد ، فان تغلبت عليّ تكون أقوالك صادقة ، وإلا امتنعت عن الوثوق بشخصك.

العدراء :

أنا على أتم الاستعداد ، وهذا سيني بحده القاطع تريته خمس زناجب. وقد لقينته في مقبرة أحد معابد مدينة تورين بين كومة من الحديد العتيق.

شارل :

هيا إذأ ، وباتكالي على الله ، أنا لا أخشى أية امرأة.

العدراء :

وأنا أيضاً ، ما دمت حية لن اهرب ابداً من امام أي رجل (يتعاركان).

شارل : أوقني يدك، برّيك. أنت جبارة، والسيف في يدك قاطع بئار.
العدراء : الله معي، وبدون عونك اراني في غاية الضعف.

شارل : مهما كانت القوة التي تؤازرك، فقد نويت الاستعانة بك، وبثّ
أتوق الى صحبتك، اذ هيمن لطفك على قوّادي كما أخذ عنفوانك
يشدّد عزيمتي. ايتها العدراء الكريمة، ان كان هذا اسمك فاسمحي
لي بأن أكون لك خادماً لا سيّداً. وأنا بصفتي وليّ عهد عرش فرنسا
ألتبس منك أن تعتبرني هكذا.

العدراء : عليك أن لا تضخّي بنفسك في سبيل الحب. فأنا استمد رسالتي
المباركة من العلاء. وبعد أن اطرد من هنا جميع أعدائك، سأفكر
بما أطلبه من مكافأة.

شارل : بانتظار ما سيحدث، ألتبس منك أن تجودي بنظرة عطف على أسير
هواك.

رينيه (على حدة لآنسون) : يخيل اليّ أن سيدي يطيل الشرح.
آنسون (على حدة لرينيه) : لا شك في أنه يميل الى هذه الصبغة بكل جوارح قلبه،
وإلاّ لما واصل معها الحوار هكذا.

رينيه : هل علينا أن نقاطعه أثناء كلامه الذي لا نهاية له ؟
آنسون : قد يكون له هدف آخر غير الذي نتصوره نحن الرجال المساكين.
لأن هؤلاء النساء المختالات لا يكلّ لهنّ لسان (يتقدم رينيه وآنسون)
رينيه : ابن أنت، يا مولاي؟ هيّا قرّري أحد أمرين : إما مغادرة اورليان
للنجاة، وإمّا البقاء فيها للدفاع عنها.

العدراء : أؤكد لكم طبعاً أنني لن أغادرها . وعليكم إذاً أن تقاتلوا الى جانبي حتى الرمح الاخير . وأنا أكون حاميتكم وفي مقدمتكم .

شارل : وأنا أؤكد لكم صدق ما تقوله هذه الصبية ، وستقاتل بضراوة .

العدراء : لقد ارسلتني الاقدار لأكون وبالأعلى الانكليز . وهذه الليلة بالذات سأفكّ الحصار ويمكنكم أن تنتظروا مني العجائب ، لأنني مصممة على خوض غمار هذه الحرب . فالجد يشبه دوائر في الماء تظلّ تتسع باستمرار حتى تضمحل ولا يبقى لها من أثر . بموت هنري انهارت عظمة الانكليز وجميع امجادهم تبددت هباءً مثوراً في الهواء . أنا الآن كالركب الفخور الجسور الذي حمل ذات يوم قيصر ومصيره .

شارل : وكما كان الحمام الوديع مصدر وحي الأنبياء ، هكذا النسر هو مصدر الهامك . انما لا هيلانة والددة قسطنطين الكبير ولا بنات فيلبوس يعادلنك . فيا نجمة فينوس المتلألئة الهابطة على الأرض كيف يتسنى لي أن أبجلك بنحشوع ؟

آلنسون : لنختصر التفاصيل ، ولنفكّ الحصار أولاً .

رينيه : افعلي ما باستطاعتك يا امرأة لانقاذ حياتنا وأمننا . اطردي الانكليز وتمتعي بالخلود .

شارل : هلمّ بنا نحاول فوراً . هيّا الى العمل . فانا لم أعد أثق بأي نبي اذا لم يتحقق ما أترقبه (يخرجون) .

المشهد الثالث

في لندن امام البرج

دوق كلوسستر يتقدم نحو أبواب البرج ، يتبعه رجاله ببركات زرقاء .

كلوسستر : جئت أتفقد البرج . فند وفاة هنري بت أخشى بعض الاختطافات . أين الحرس ؟ لماذا ليسوا هنا في أماكنهم ؟ (يرفع صوته) افتحوا الأبواب أنا كلوسستر أناادي (يطرق خادمه الباب) .

الحارس الأول (من الداخل) : من يطرق هكذا بشدة ؟

الخادم الأول : دوق كلوسستر النبيل .

الحارس الثاني (من الداخل) : أياً كنتم لا سبيل الى ادخالكم الآن .

الخادم الأول : أهكذا تردّ على اللورد حامي المملكة أيها الوغد ؟

الحارس الأول (من الداخل) : حفظك الرب . هذا جوابنا . نحن نفقد ما أمرنا به .

كلوسستر : من الذي أصدر الأوامر ؟ من غيري يأمر هنا ؟ ليس من يحمي المملكة سواي . اخلعوا الابواب ، وأنا المسؤول عن ذلك . هل وصلنا الى حدّ أن يعصى الأندال اوامري ؟ (يهجم رجال كلوسستر على الأبواب . ويقرب ملازم البرج ودّفيل من الداخل) .

ودّفيل (من الداخل) : ما هذا الضجيج ؟ من الخائن الذي يقاومنا ؟

كلوسستر : أيها الملازم ، هل هو حقاً صوتك الذي يبلغ أذني ؟ هيا افتح الأبواب حالاً ، انا كلوسستر اريد الدخول .

ذِفيل (من الداخل) : اصبر قليلاً أيها الدوق النبيل. لا يمكنني أن افتح لك.
فالكردينال ونشستر معني لأنه هو الذي أمر بأن لا أدع أحداً
يدخل ، لا سيادتك ولا أعوانك.

كلوسستر : أيها الوقح وذِفيل ، هل تعتبر ، أرفع مقاماً مني ، هذا المتكبر المدّعي
ونشستر الذي لم يكن ملكنا المرحوم هنري يحبه ؟ أنت لست وفيّاً لا
لله ولا للملك. افتح الأبواب أو أطرّدك فوراً.

الخادم الأول : افتحوا الأبواب للورد حامي المملكة ، أو أدخلها وأخلعكم معاً إذا لم
تخرجوا حالاً.

يدخل ونشستر تحيط به حاشية من الخدم بيّزات صفراء.

ونشستر : يا هنري المتطاول ، ما معنى كل هذا ؟

كلوسستر : هل أنت أمرت بأغلاق الابواب في وجهنا ؟

ونشستر : أجل أنا أيها المستبدّ ، لأنني لا أعتبرك حامي الملك والمملكة.

كلوسستر : اليك عني ، أيها المتآمر الحقير. فأنت الذي دبرت مقتل ملكنا
المتوفي ، أنت الذي أعطيت لشذاذ الآفاق صلاحيات دينيّة
سأدعك تدفع غالباً ثمن مكائذك.

ونشستر : اخرج أنت من هنا. فأنا لن أترشح من مكاني قيد أنملة. أنت مجرم
ملعون كقايين الذي قتل أخاه.

كلوسستر : أنا لا أنوي أن أقطع رأسك ، بل أكني بطردك فقط. وسأخرجك
من هذا البرج كالعزّة الجرباء.

ونشستر : افعل ما تشاء ، فأنا أمحدّك.

كلوسستر: هل وصلت بك وقاحتك الى حد احتقاري مع رجالي بالرغم من امتيازاتي في هذا المكان؟ سرى لمن الغلبة ، ألبلباس الزرقاء أم الصفراء؟

كلوسستر ورجاله يهاجمون الكردينال .

أيها المفضل ، احرص على لحيثك التي سأنتفها وسأمرغك في الوحل وأدوس قبعتك بالرغم من مقام رؤسائك ، وأشد لك أذنك الاثنتين .

ونشستر: يا لك من ذبابة حقيرة . هاتوا جبلاً (لرجاله) والآن أخرجوه بالقوة من أمامي . لماذا تركونه ها هنا؟ (للكردينال) سأطردك طرد الكلاب ، أيها الذئب المتستر بجلد الحمل . هيا أخرجوا من هنا جميع البرات الصفراء . اخرج ايها المنافق المتخفي بالثوب الأرجواني .

يحدث صخب ، ثم يدخل محافظ لندن ومرافقه

المحافظ: تباً لكم أيها اللوردات ، أصحاب المناصب العليا لأنكم تقلقون الراحة العامة .

كلوسستر: الأمان ، أيها المحافظ . أنت لا تدري بالاهانة التي ألحقها بي بوفور هذا الذي لا يخاف الله ولا يحترم الملك ، والذي استولى زوراً وبهتاناً على البرج لغاياته الشخصية الشريرة .

ونشستر: من يتكلم بهذه اللهجة؟ عدو المواطنين الذي يدفعهم دائماً الى الحرب لا الى السلم ، والذي يفرض عليهم الجزيات الباهظة ليملاً بها جيوبه الجشعة ، والذي جاء الآن يضع يده على أسلحة البرج وما

فيه من ذخيرة لكي يفرض نفسه سيداً على البلاد بعد أن يقضي على الأمير.

كلوستستر: لن اجيبك بالكلام ، بل بالضرب (ينشب شجار جديد)

المحافظ: في هذه المعركة الصاخبة لم يبقَ عليّ إلا أن آمر بإعلان النفي، تقدم ايها الضابط واصرخ بأعلى صوتك.

الضابط: ايها الرجال من جميع الرتب المجتمعون ها هنا والمدججون بالسلاح لمحاربة سلام الله والملك ، نحن نندركم ونأمركم باسم سموه بالعودة الى مساكنكم وبأن لا تحملوا أي سلاح ولا تشهروا من الآن وصاعداً أي سيف أو خنجر، تحت طائلة العقاب بالموت.

كلوستستر: ايها الكاردينال ، أنا آتٍ أن أخالف القوانين. انما سنلتقي أنا وأنت قريباً ونتفاهم على كل هذه الأمور.

ونشستر: أجل يا كلوستستر ستقابل وسيكلفك عنادك غالباً. كن على ثقة بأنني لن أترجع عن هدر دمك بسبب ما بدر منك اليوم من لؤم وخساسة.

المحافظ: سأنادي حَمَلَة المhraوات اذا لم تنسحبوا. يبدو ان هذا الكردينال هو اليوم أوقع من الشيطان.

كلوستستر: الوداع ايها المحافظ. أنت لا تفعل سوى واجبك.

ونشستر: يا لك من وغدٍ يا كلوستستر. احفظ رأسك لأبي مصمم على دحرجته من فوق كتفيك قريباً جداً. (يخرج مع رجاله).

المحافظ: أخلوا هذه الحواجز كي ننصرف. يا الهي ! ما اشدّ حقد هؤلاء

النبلاء. انا لا أشاجر احداً مرة واحدة في اربعين سنة. (يخرج مع رجاله).

المشهد الرابع

في فرنسا ، أمام مدينة اورليان

يصل الى الحاجز ضابط المدفعية وابنه.

ضابط المدفعية : اتعلم يا ولدي كيف ضرب الحصار حول اورليان ، وكيف استولى الانكليز على ضواحيها ؟

الابن : أعرف يا أبي. وقد سدّدت مراراً اليهم قنابلي. لكنني لم أستطع أن انازل منهم وطراً ، يا للأسف.

ضابط المدفعية : انما الآن لن تفشل في اصابتهم. استمع الى تعليماتي. أنا امهر مدفعي في هذه المدينة ، وعلي أن أبهر الناس بضرية بارعة تميزني عن سواي. لقد اخبرني جواسيس الأمير أن الانكليز محصّنين في خنادقهم المحفورة في الضواحي ، وأن مدخلها سرداب سري منشأ هناك في البرج الذي يطلّ على المدينة ويكشف جميع طرقاتها ومكائنها حيث يستطيعون أن يرهقونا بقنابلهم ويقضوا علينا بهجومهم. فلنكني تمنعهم من التحرك سأصّب قنابلي على مخابثهم. فأنا أسهر منذ ثلاثة أيام على مراقبتهم بدقة. والآن يا ولدي تيقّظ أنت بدورك ، لأنني لا أقوى على البقاء هكذا أكثر مما فعلت. واذا

جدّ أمر ، أعلمني حالاً ، وستجلدي عند الحاكم لأنّي ذاهب تَوْاً إليه .

الابن : استرح يا أبي ، ولا يقلق لك بال ، فلن ازعجك اذا تمكنت من رؤيتهم (يخرج ضابط المدفعية) . - -

يدخل من جسر البرج العالي اللوردات سالزيري وتالبوت وسير ولیم كلانسدايل وسير توماس كركرايف وغيرهم .

سالزيري : يا تالبوت ، أنت كل حياتي وسعادي ، كيف جئت الى هنا؟ وكيف عُولمتَ وأنت في الأسر؟ كيف استعدت حريتك؟ أرجوك أن تخبرني ، ونحن صاعدون الى هذا البرج .

تالبوت : كان لدى دوق بدفورد أسير شجاع اسمه سير بنطون كزانتراي ، فاستبدلني به . أولاً اراد أن يستبدلني برجل سلاح غير مرموق . لكنني رفضت ذلك بإباء ، وأعلنت له أنّي أفضل الموت على هذه المقايضة . أخيراً استجاب طلبي . لكن خيانة فستولف مرّقت قلبي . وسأقتله بيدي متى وقع في قبضتي .

سالزيري : لكنك لم تخبرني كيف كانت معاملتك هناك .

تالبوت : طبعاً لم أنجُ من الاهانة والتحقير . إذ إقتدت الى ساحة عامة وعرضت لعيان كل السكان ، وقد قيل عني أنّي أمثل الارهاب الفرنسي ، وأنّي اخيف جميع الاطفال . فتخلصت حالاً من الضباط الذين اقتادوني واقتلعت باظفاري حجارة من الطريق ورميت بها المتفرجين على مذلّتي . واذا بغضبي يربع الجميع فولّوا هارين ولم يحسر أحد على الاقتراب مني خوفاً من الموت المحتم . لأن

الناس لم يصدقوا أنني محجوز ضمن قضبان من حديد. ولقد تفاقم
فرعهم حتى أقدمهم ذكر اسمي صوابهم وظنوني قادراً على تحطيم
القضبان، وإن كانت من الفولاذ، وعلى هدم الأعمدة مهما كانت
صلبة كالصخر. لذلك احاطوني بحراس أشداء لا يفارقوني. ولو
أتيت وأنا في سريري بأقل حركة لكانوا افرغوا رصاص غلذراتهم
في قلبي وقضوا علي.

يدخل ابن المدفعي ويده قضيب مشتعل لاطلاق قنابل المدفع.

سالزيري : تأملت لعلني بأنك قاسيت الأمرين. الآن حان موعد العشاء في

اورليان. ومن خلال الحاجز يسعني أن أعد الجنود الفرنسيين وأن
أرى أين يتحصنون. لننظر الى هذا المشهد المفرح. يا سيدي توماس
كاركراف وسير وليم كلانسدايل صارحاني بآرائكما بالضبط، وإلى
أين تريان أن من الأفضل توجيه قذائفنا لتدميرهم بفعالية محكمة.

كاركراف : اعتقد بأن من الأنسب توجيهها نحو الباب الشمالي حيث تتجمع
أكثريه قواتهم.

كلانسدايل : أنا أرى من الأنسب توجيهها الى جادة الجسر.

تالبوت : أرى أن الأفق هو تجميع هذه المدينة واضعافها بمناوشات طفيفة
ولكن متتابعة (تنطلق قبلة مدفع من الحاجز. فيسقط سالزيري
وكاركراف).

سالزيري : يا الهي، اشفق علينا ونجنا.

كاركراف : يا الهي، ارحمني انا التمس.

تالبوت :

ما هذه الكارثة التي تشلّ فجأة مساعينا؟ تكلم يا سالزبري ، اذا كنت لا تزال تستطيع الكلام . كيف حالك يا خيرة المحاربين؟ ها قد فقدت عيناً وجرحت خدّاً بهذه القذيفة . مشؤوم هذا التصرف ، ولمعونة اليد التي أطلقتها وسببت لنا هذه المأساة الفاجعة ! لقد انتصر سالزبري في ثلاثة عشر معركة عملت أولاًها على ابصال هنري الخامس الى العرش . فكان سيفه يحصد الرؤوس في ساحة الوغى كلما علا صوت البوق ودوى رنين الطبل . ألا تزال على قيد الحياة يا سالزبري؟ فاذا خانك النطق أمكنك أن ترفع عينك الباقية نحو السماء وتلتمس الرحمة والعون فالشمس بعين واحدة تشمل اشعتها الكون بأسره . لا تشفقي ايها السماء على أحد من الأحياء اذا لم ينل سالزبري من لدنك نعمة . اجلبوا جثمانه الى هنا ، كي اساعد على دفنه . وأنت يا سير توماس كاركرايف ألا تزال حياً؟ كَلِّمْ تالبوت على الأقل وارفع نظارك اليه . يا سالزبري عزّي نفسك بهذه الفكرة : لن تفارق الحياة طالما ... هو يشير اليّ بيده ويبتسم ، كأنه يقول لي : عندما أموت وأرحل لا تنسَ أن تُثار لي من الفرنسيين . فأنا كأحد أفراد عائلة بلانتاجينه اتعهد بذلك . ونظير نيرون سأعزف على القيثارة وأنا أرى المدن تحترق . أريد أن تسبب شهرتي شقاء فرنسا (يقصف الرعد . ثم تسمع موسيقى التحذير) . ما هذا الضجيج؟ ما هذا الصخب الآتي من السماء؟ ما هو مصدر هذه الانذارات المدوّية؟

يدخل الرسول .

الرسول : سيدي اللورد ، لقد عزّز الفرنسيون قواتهم ، بينا ولي العهد ت
عذراء نبيّة ظهرت حديثاً ، قد وصل مع جيش لجب لفكّ ا-
(يتنّهّد سالزبري).

تالبوت : اسمعوا ، اسمعوا كيف تنهد سالزبري . ها هو يتحسّر لأنه لا
على الانتقام . أيها الفرنسيون سأحلّ محلّ سالزبري . فان
هناك عذراء أو حية رقطاء ، أو كان ولي عهد أو أشرس
سأسحق رؤوسكم بحوافر جوادي وسأجعل من أدمغتك الم
وحلاً قذراً . خذوا سالزبري الى خيمته ، وسرى ما بوسع
الفرنسيين الجبناء أن يفعلوا (يخرجون وهم يحملون جثمانه

المشهد الخامس

امام باب من أبواب مدينة أورليان

تبدأ المعركة . تسمع موسيقى استنفار . تجري اشتباكات . يمرّ تالبو
المسرح وهو يطارد ولي العهد الهارب امامه . ثمّ تمرّ العذراء وهي
الانكليز الهارين .

يدخل حينئذٍ تالبوت .

تالبوت : أين عزيّتي ؟ أين شعاعتي ؟ أين قواي ؟ ان فيالقنا الا
تنسحب ، وأنا لا أستطيع ايقافها ، لأن امرأة مرتدّين
تطاردهم .

تدخل العذراء .

ها هي قد أقبلت . أنا مستعد لمنزلتك ، أيّها الخبيثة ، وسأستحضر
روحك بعد مماتك . سأسفك دمك ، أيّها الساحرة الشريرة ،
وأرسل حالاً نفسك الى زبانية الجحيم التي تخدمينها .

تعال ، تعالَ لأذْلكَ وأقضي عليك (يتعاركان) . العذراء :

كيف تسمحين بانتصار الشيطان هكذا ، أيّها السماء ؟ حتى إن
انفجر صدري من بذل أقصى جهودي ، وإن تفكّك ذراعي عن
كتفيّ ، سأنزل أشد العقاب بهذه الغادرة المناقة .

وداعاً يا تالوت . لم تأتِ ساعتك بعد ولم يحن أجلك . عليّ الآن أن
اذهب لأموّن أورليان بالأغذية . إنتظرنني اذا استطعت ، فأنا لا أبالي
بقوتك . اذهب وأشحذ هم جنودك الذين أنهمكهم الجوع . ساعدُ
سالتزبري على كتابة وصيته . فهذا نهارنا الموعد وستبعه أيام لا
تحصى من العزّ . (تدخل العذراء الى المدينة مع جنودها) . العذراء :

رأسي يدور كدولاب الهواء . لا أدري أين أنا ولا ماذا أفعل . هناك
ساحرة سلاحها الارهاب لا المقدرة نظير هنيعل قد شتّت رجالنا
وظفرت كما يحلو لها . هكذا يطرد النحل من قفيره بواسطة سحب
الدخان ، والحمام من برجه بواسطة الروائح الكريهة . ونحن ،
بسبب تشبثنا ، ندعى كلاباً انكليزية ، ونظير الجراء نهرب فرعاً
ونحن نواصل العواء .

تسمع موسيقى تحذير قصيرة .

اسمعوا يا بني قومي ، إما أن تجددوا العزم على القتال ، وإما أن
تنزعوا رسم الأسود من شعار انكلترا ، وتتخلوا عن أرض آبائكم

وأجدادكم وتضعوا بدل الأسود خرافاً لأن الخراف وحدها تهرب
أمام الذئاب. فالحيل والبقر تهرب أمام الثور المتوثب بأقل جبانة
منكم حين تولون الادبار امام هؤلاء الانكليز الصعاليك الذين كثيراً
ما اخضعتموهم في الماضي. هذا لا يصدّق. (تُسمع موسيقى
وامتغاثات جديدة). انسحبوا الى خنادقكم ، فأنتم جميعاً شركاء
في موت سالزبري. لأن لا أحد منكم يريد أن يضرب ضربة ليثار
له. ولقد دخلت العذراء اورليان رغم انقنا ورغم كل جهودنا.
آه ! كم أشتهي أن أموت مع سالزبري ! لأن عاراً كهذا يضطرني
الى إخفاء وجهي خجلاً. (تُسمع موسيقى استنفار ، ويلها
انسحاب. يخرج تالبوت ورجاله يلاحقهم الفرنسيون).

المشهد السادس

في ذات المكان

تظهر العذراء على الحاجز ومعها شارل ورينيه وآلنسون وجنودهم.
العذراء : إرفعوا على الجدران أعلامنا الخفاقة . فقد انقذنا اورليان من أنياب
الذئاب الانكليز. وهكذا بررت بوعدي.
شارل : يا مباركة ، يا شجاعة ، إنك تستحقين كل تكريم على بطولتك .
ان وعودك مثل حدائق ادونيس ، بالأمس كانت مزهرة واليوم
بالذات أثمرت ائبع الفواكه . لقد انتصرت فرنسا على يدك القديرة
وأُنقذت مدينة اورليان ، ولم تشهد بلادنا منذ زمن بعيد مثل هذا
الحدث المجيد.

رينيه : لماذا لا تطلب قرع أجراس المدينة ؟ يا سمّو ولي العهد ، أصدر أوامرك الى المواطنين كي يضرّموا نيران الفرح ويعيدوا وقيموا الولايم في الشوارع احتفالاً بالظفر الذي منّ الله به علينا .

آلنسون : ستبتهج كل فرنسا عندما تعلم بأننا أثبتنا رجولتنا وبسالتنا بهذا النصر العظيم .

شارل : ها هي جان دارك ، لا نحن ، قد ربحت معركة هذا النهار . وعرفاناً بمجملها سأشركها معي في الحكم . فجميع رجال الدين في مملكتي سيهللون ويشيدون بفضلها ، وسأبني لها هرمأ أضخم من أهرام ممفيس في مصر . ولتخليد ذكرها بعد وفاتها ، سأحتفظ برماد جثمانها في صندوق صغير من خشب ثمين مطعم من مخلفات داريوس ، سنطوف به امام ملوك فرنسا وملكاتهما . وستكون جان دارك العذراء شفيعة بلادنا فرنسا . هيا نرجع الآن لنحتفل بمأدبة ملكية بهذا اليوم المجيد المظفر (تصدق الموسيقى . ثم يخرج الجميع) .



الفصل الثاني

المشهد الأول

أمام مدينة أورليان

هبط الليل . وظهر أمام باب المدينة رقيب فرنسي واثنان من الحرس .
الرقيب : إلى أمكتكم يا رفاق ، وكونوا يقظين . فاذا لاحظتم قيام ضجة أو اقتراب جندي من السور ، اعلموا الحرس بإشارة بارزة .
الحارس الأول : نعدك بذلك ، أيها الرقيب . (ينسحب الرقيب) . وهكذا يظل الحرس متيقظين في عتمة الليل وتحت الأمطار يتحملون البرد ، بينما الآخرون يغطون في النوم على أسرّتهم الدافئة .
يصل تالبوت وبدفورد وبوركون وجنود حاملين سلام . وغيرهم يقرعون الطبول بشدة .
تالبوت : أيها اللورد الوصي ، وأنت يا بوركون المريع ، وقد أعدت لنا بتحالفك معنا صداقة مناطق ارتوا ووالون وبيكارديا ، بينما الفرنسيون في هذه الليلة الهادئة يستريحون بأمان ، بعد أن شربوا وأكلوا أثناء المأدبة طوال النهار . هيّا نغتم هذه الفرصة لمعاقبتهم على حياتهم التي لم تتجح والحمد لله رغم تغتهم وسحرمهم المشؤوم .

- بدفورد : كم لَطَخ الفرنسي الجبان اسمه بالعار ، وهو يشكّ بقوة زنده ، فلجأ الى زبانية الجحيم مستعيناً بمكرهم وخداعهم .
- بوركون : لا أعرف أن للخونة شركاء . ولكن من هي هذه الصبية التي تشيدون بطهارتها ؟
- تالبوت : يقال انها عذراء .
- بدفورد : عذراء ، وتحارب بضراوة ؟
- بوركون : نتمنى أن تظل طويلاً على هذه الحالة من الرجولة كي تظل تقا تل وهي مدجّجة بالسلاح تحت لواء فرنسا كما بدأت .
- تالبوت : دع الناس يتحدثون هكذا عن الارواح الشريرة . سينصرنا الله ويمنحنا الظفر ، فما علينا إلا أن نصمم على السير في طرقاتهم الحجرية حتى نستولي عليها .
- بدفورد : اصعد أيها الشجاع تالبوت وسنلحق بك .
- تالبوت : ليس كلكم دفعة واحدة . الأنسب ، على ما أرى ، أن ندخل من عدة جهات ، حتى اذا أخفق أحدها يتسنى للباقي أن يتفصوا على أعدائنا .
- بدفورد : انا موافق . وسأذهب من هذه الناحية .
- بوركون : وأنا الى تلك الجهة .
- تالبوت : وهنا سأنجح أو أخفق . والآن يا سالزيري ، أحارب لأجلك ولأجل تثبيت حقوق هنري ملك انكلترا . هذه الليلة سأبرهن لكم

كم أنا وفيّ لك وله . (يتسلق الانكليز الاسوار وهم يصرخون :
عونك اللهم ، أنصر تالبوت ، ويدخل الجميع المدينة) .

حارس (من الداخل) : الى السلاح ، الى السلاح . فالعدو يهاجمنا .

يقفز الفرنسيون على الأسوار وهم بالقمصان . يصل من عدة أمكنة اللقيط
وآلنسون ورينيه وهم نصف عراة .

آلنسون : ما هذا يا سادة ؟ جميعكم هكذا تقريباً عراة .

اللقيط : عراة ! أجل ونحمد الله على نجاتنا .

رينيه : حان الوقت كي نستيقظ ونغادر أسرتنا ، لأننا سمعنا الانذار يعلو
عند ابواب غرفنا .

آلنسون : في الحقيقة منذ أن أصبح حمل السلاح مهتي ، لم أسمع أبداً بمغامرة
أسوأ من هذه .

اللقيط : أظن ان تالبوت شيطان قادم من الجحيم .

رينيه : وان لم يكن من الجحيم ، فالسماء تُعينه .

آلنسون : ها هو شارل مقبل . وقد أدهشتني غيرته وحاسته .

يدخل شارل تصحبه العنراء .

اللقيط : هذا أمر مفروغ منه طالما جان دارك تعهدت بحمايته .

شارل (لجان دارك) : هل هذا كل ما تحسنين عمله ، ايها الأنسة الحبيثة ؟ لقد
خدعتنا أولاً إذ أمنت لنا ربحاً زهيداً ، ثم أنزلت بنا خسارة
فادحة .

- العدراء : لماذا أنت قليل الصبر حيال صديقتك ؟ هل تريد أن تكون مقدرتي على الدوام شرعية سواءً أكنت نائمة أو مستيقظة ؟ هل يتحتم عليّ أن أكون منتصرة باستمرار ، وإلا وجهت إليّ اللوم والعتب ؟ ايها الجندي المتسرع ، لو تيقّظت كما يجب لما حلت بك هذه الكبوة .
- شارل : الخطأ صادر عنك يا دوق آلنسون . فبصفتك الضابط المولج بالحراسة ليلًا ، كان الأولى بك أن تظل ساهراً على تأدية مهمتك .
- آلنسون : لو كانت جميع مواقعك محروسة جيداً نظير الموقع الذي كان في عهدي لما حلت بنا هذه الكارثة المشينة .
- اللقيط : . موقعي أنا كان محروساً جيداً .
- رينيه : وكذلك موقعي ، يا مولاي .
- شارل : أما أنا فطوال الليل لم أكفّ عن اجتياز مقرّ العدراء ذهاباً وإياباً ، يميناً ويساراً ، وأنا أتفقد الحراس في كل مكان . فكيف ومن أين دخل الأعداء ؟
- العدراء : لا تسألوا يا سادتي كيف ومن أين ؟ لا شك في أنهم وجدوا ثغرةً ، حراسها ضعيفة وغير كافية ، فتسلّلوا منها . والآن لم يبق ، أمامنا إلا جمع شتات رجالنا ودرس خطط جديدة لمواجهة العدو وقهره .
- الجندي : اسمع تحذير . يدخل جندي انكليزي وهو يصرخ : تالبوت ، تالبوت . يهرب الفرنسيون تاركين ثيابهم فيلتهما الجندي .
- الجندي : اسمع لنفسك بأن آخذ ما تركوه . وقد أرعدتني صرخة تالبوت كأنها طعنة خنجر . ها أنا أجمع ما خلفه الهاربون وراءهم ، بدون استعمال أي سلاح إلا المناداة باسمه فقط (يخرج) .

المشهد الثاني

في اورليان ، وسط ساحة السوق

يدخل تالبوت وبدفورد وبوركون وضابط وسواهم .

بدفورد : ها قد طلع الصباح وهزم ظلام الليل الذي كان يغطي الأرض بوشاحه الأسود . هيا بنا ندق النفر للانسحاب ، ونوقف مطاردتنا الحامية (ينفخ بوق الانسحاب) .

تالبوت : هاتوا جثمان سالزبري العجوز ، ضعه هنا في ساحة السوق وسط

المدينة الملعونة . الآن وفيت بالوعد الذي قطعته على نفسي أمامه . فلقاء كل قطرة دم سالت من جسمه ، مات هذه الليلة خمسة فرنسيين على الأقل . ولكي ترى الاجيال القادمة كم أوقعنا من الخسائر في صفوف الأعداء انتقاماً له ، سأقيم في أكبر معابدهم ضريحاً يدفن فيه جثمانه ويكتب على بلاطه بوضوح ما يشهد بما أنزلناه من ويلات بمدينة اورليان ، وبالفتح الذي سبب موت المأسوف عليه الذي زرع الرهبة والفرع في كل فرنسا . لكن يا سادة ، يدهشني أن لا نتكلم أيضاً عن سمو ولي العهد ، ولا عن فضيلة جان دارك ، ولا عن أي من هؤلاء الشركاء الجاحدين .

بدفورد : يبدو لي ، يا لورد تالبوت ، انهم في أول المعركة طردوا من أسرّتهم ،

وانهم راحوا يسيرون ، وهم غارقون في النوم ، ويخترقون صفوف المسلّحين ، ثم يقفزون من فوق الحواجز كي يلجأوا الى البراري .

بوركون : أنا ذاتي ، بقدر ما تستي لي أن اميز من خلال ابخرة الشفق عند

اقتراب الليل ، أراني واثقاً بأنني جعلت ولي العهد يهرب مع حسناؤه
المسيطرة عليه وهما لا يفترقان نهائياً وليلاً متشابكتي الأيدي
كالعشاق . فعندما يتم اتخاذ كل التدابير هنا سنطاردهما بكل قوانا .
يدخل رسول .

الرسول : مولاي ، عليك السلام . من هو في هذا المركب الاميري ، المدعو
تالبوت المحارب الذي تشيد بمآثره مملكة فرنسا بأسرها .

تالبوت : ها أناذا تالبوت . فمن يريد أن يكلمني ؟

الرسول : سيدة فاضلة ، هي كونتيس أوفارن المعجبة بشجاعتك وشهرتك ،
وهي التي تلمس منك على لساني ، ايها اللورد الكريم ، أن تنازل
وتزور قصرها المتواضع لكي يتسنى لها أن تفاخر بأنها رأت فعلاً
رجالاً تملأ أبحاده الدنيا .

بوركون : هل هذا صحيح ؟ اني ألاحظ أن حروبنا ستصبح مهازل سلمية اذا
كانت السيدات يلتمسن مثل هذه المقابلات . لا يسعك ، يا
مولاي ، أن ترددي مثل هذا الطلب .

تالبوت : لا تستغرب كثيراً إن احتقرت ذلك . فان ما لا تقوى مجموعة من
الرجال أن تناله مني ، سهل على امرأة لطيفة ، ان تفرضه عليّ
فرضاً . (للرسول) قل لها اذاً اني مستعد لتلبية طلبها ، وأني سأذهب
اليها بكل طيبة خاطر . (للدوق بوركون وبدفورد) ألا تريدان ، يا
سيدي ، أن ترافقاني ؟

بدفورد : كلا ، لأن هذا يخالف اللياقة ، وقد سمعت مراراً أن الضيف غير
المنتظر لا يلقي أي ترحاب .

تالبوت : إذاً ، بما أن هذا رأيكم ، فسأمضي وحدي لاختبار حسن ضيافة هذه السيدة. تعالَ الى هنا أيها الضابط . (يكلم الضابط بصوت خافت). أنت تفهم قصدي .
الضابط : طبعاً يا مولاي. وسأعمل بموجب تعليماتك (يخرجان).

المشهد الثالث

في باحة قصر أوفارن

تدخل الكونتيس يتبعها البواب

الكونتيس : أيها البواب تذكر اوامري. وبعد أن تنفذها أرجع إليّ المفاتيح .
البواب : امرك مطاع ، يا سيدتي . (يخرج).

الكونتيس : لقد رسمت الخطة. وإذا نجحت سأكتسب شهرة نظير «توميريس شيتي» عند موت سيروس. كانت شهرة هذا الفارس تطبّق الآفاق واعماله العظيمة باهرة. اريد أن أضيف الى ما تسمعه اذناي ما تراه أيضاً عيناى من هذه القصص الفريدة.

يدخل رسول تالبوت

الرسول : سيدتي ، حسب مشيئتك وتلبية لدعوتك الكريمة ، ها هوذا تالبوت يلتي دعوتك .
الكونتيس : أهلاً وسهلاً. هل هو هذا؟ (تشير الى تالبوت).

- الرسول : أجل يا مولائي .
- الكونتيس : هل هو من أنزل الضربة بفرنسا وقد أرجف اسمه القاصي والداني ، وعقل لسان الأولاد؟ فما أراه أمامي أستتج ان التقارير خيالية ومغلوطه ، اذ كنت أنتظر ان أرى مارداً كهرقل وجباراً كهكتور ، رؤيته ترعد القرائص وجسمه الضخم وعضلاته المفتولة تبعث الرعب في النفوس . لكني أبصر أمامي ولداً صغيراً بل قزماً مضحكاً . ولا يعقل أن يكون هذا الهزيل النحيل قد ضرب أعداءه ضربة قاضية انزلت بهم الموت والدمار .
- تالبوت : سيدتي ، يؤسفني أن ازعجك . أراك الآن غير مرتاحة . لذا سأزورك فيما بعد . (يتهاى للخروج) .
- الكونتيس : ماذا تقول؟ (للرسول) اذهب واسأله الى أين هو ماضي .
- الرسول : أرجوك أن تقف يا مولائي ، لأن السيدة تود أن تعرف الى أين أنت متجه فجأة .
- تالبوت : والله ، هي مخطئة . وأنا أنوي أن أثبت لها أنني باقٍ ها هنا .
- يدخل البواب ومعه المفاتيح .
- الكونتيس : ان كنت أنت تالبوت ، فأنت اذاً سجين .
- تالبوت : سجين من؟
- الكونتيس : سجيني أنا ، أيها اللورد الملطخ اليدين بالدم . ولذلك استدرجتك للمجيء اليّ . منذ زمن بعيد ، خيالك في قبضتي ، لأن رسمك معلق في قاعة قصري . أما اليوم فشخصك بالذات انتهى الى شرّ

المصير. سأكبل يديك ورجليك بالحديد ايها الطاغية المستبد، بعد
اجتياحك بلادنا وقتلك مواطنينا وأسرك أولادنا وازواجنا.

تالبوت : (يقهقه ضاحكاً) : ها ها ها .

الكونتيس : أراك تضحك ايها الشقي الحقيير، سأقلب ضحكاتك الى آهات
وتهدات.

تالبوت : أنا أضحك لأني اجدك في غابة البساطة، يا سيدتي. أنت
تتصورين أنك تملكين خيال تالبوت طبقاً لأهوائك السخيفة.

الكونتيس : أولاً تكون الرجل المقصود؟

تالبوت : بلى، أنا هو.

الكونتيس : اذاً، أصبح الأصل في قبضتي، كما كنت أحتجز الخيال.

تالبوت : لا، لا. أنا لست خيلاً. أنت واهمة. فأنا شخصياً لست هنا. لأن

من تشاهدينه أمام عينيك ليس سوى جزء صغير من الرجل. أؤكد
لك ذلك يا سيدتي، ولو كان هنا بكامله، فنظراً الى ضخامته
الهائلة، لا يتسع له سقفك مهما علا.

الكونتيس : أرى أن هذا المشعوذ يتكلم بالألغاز. فهو حاضر هنا ويدّعي أنه
غائب عنا. ما هذه التناقضات، وكيف التوفيق بينها؟

تالبوت : سأبين لك ذلك حالاً. (ينفخ في الأبواق وتقرع الطبول. ثم

تقصف المدافع وتخلع ابواب القصر ويدخل الجنود). ما قولك، يا
سيدتي؟ هل اقتنعت بأنك لا ترين سوى خيالي؟ وها هو شخصي
بعينه، وها هي عضلاتي وذراعاي وقواي التي استخدمها لوضع

جميع المتمردين المقاومين تحت نير سيطرتي فأجتاح المدن وأقلب
الأوضاع رأساً على عقب وأدهور كل شيء في هوة العدم كأنه ما
كان .

الكونتيس : أيها المتصر تالبوت ، أطلب منك السماح على ما ألحقته بك من
سوء . فأنت حقاً تفوق ما توحى به طلعتك . أسألك أن لا تقابل
استهتاري بغضبك ، لأنني آسفة على كوني لم أقابلك بالاحترام
اللائق بمقامك وبمقدرتك .

تالبوت : لا ينشغل لك بال ، أيتها السيدة الحسنة ، ولا تتجاهلي شهامي كما
جهلت تفوّقي . فان ما بدر منك لم يغظني أبداً ، والمثّة التي التمسها
منك هي أن تذيّقيني خمرك وما يتوفر لديك من أطايب الحلوى ،
لأن شهية الجندي دائماً مفتوحة وممتازة .

الكونتيس : حباً وكرامة . يسعدني ويشرفني أن استضيف على مائدتي محارباً
لامعاً مثلك (يخرجان) .

المشهد الرابع

في لندن ، وسط جديقة المعبد

يدخل الكونت سومرست وسوفولك وورويك وريشار بلانتاجيني وفرنون
ورجل قضاء .

بلانتاجيني : أيها اللوردات والسادة ، ما معنى هذا السكوت ؟ لا أحد يجرؤ على
اعلان الحقيقة .

- سوفولك : نحن نضج كثيراً داخل المعبد. هذه الحديقة أنسب لحديثنا.
- بلانتاجينيه : اعترفوا كلكم حالاً بأنني بينت الحقيقة ، وإن المشاغب سومرست مخطيء.
- سوفولك : لعمرى ، أنا لست بارعاً في تطبيق مبادئ علم الحقوق ، ولم أخضع أبداً للقانون. لذلك اخضعت القوانين دائماً لمشيتي.
- سومرست : أحكم إذاً بيننا أنت ، يا لورد ورويك.
- ورويك : على كل حال ، من منكما يرتفع صوته في الجو أكثر؟ ومن من الكليين نباحه أعلى؟ ومن من النصليتين حدّها أرهف؟ ومن من الجوادين قياده أسهل. ومن من الصبيتين تغمز بعينها أفضل؟ اعتقد بأن لي من النظر الثاقب ما يكفي للبت في كل هذه المسائل. إنما في هذه القضايا الدقيقة لست أولى حكماً من سواي.
- بلانتاجينيه : لا ، لا ، هذا مهرب مهذب. فالحقيقة المجردة بادية للعيان لا يغفل عن رؤيتها حتى كليل البصر.
- سومرست : ومن جهتي ، هذه ظاهرة ناصعة كالشمس لا تحتاج الى برهان ، حتى انها لا تغيب عن عيون الأعمى.
- بلانتاجينيه : بما أنك لا تفتح فك وتأمي أن تتكلم ، ما عليك إلا أن تعبر عن رأيك بشهادة صامتة. فن ولد في أحضان النبل يبرز نسبه العالي ويؤمن بأنني ادافع عن الحق ، فيقطع من هذه الشجيرة وردة بيضاء.
- سومرست : ومن ليس جباناً ولا متملقاً يحسر على الوقوف الى جانب الحق ويقطف معي من بين هذه الاشواك وردة حمراء.

ورويك : أنا لا أحب الألوان ، وبدون الألوان لا تلميححات ولا تزلفات ، لذا أقطف وردة بيضاء مع بلانتاجينه .

سوفولك : أنا أقطف هذه الوردة الحمراء مع سومرست الشاب ، وأضيف انه وقف الى جانب الحق .

فرنون : تمهلوا ، ايها اللوردات والسادة ، قبل أن تتابعوا ما باشرتوه ، واعلموا ان الذي يقطف من الاثنين وروداً أقل عدداً يكون هو صاحب الحق .

سومرست : ايها الاستاذ فرنون ، هذا حل ملائم ، واذا كان نصبي أنا العدد الأقل فاني اوافق بصمت .

بلانتاجينه : أنا كذلك .

فرنون : اذاً باسم الحقيقة والعدل ، أقطف هذه الزهرة الشاحبة خفراً وحياءً كوجتي العذراء ، وبذا أعلن قراري بتأييد الوردة البيضاء .

سومرست : لا تدع الشوك يؤلم أصابعك ، وأنت تقطف الورد خوفاً من أن تصبغها بحمرة دمك وتنحاز إليّ قسراً .

فرنون : مولاي ، اذا سفكت دمي في سبيل رأيي فان رأيي يضمّد جراحي ويشدني إلى من وقع عليه اختياري .

سومرست : حسناً . هيا ، من يقطف أيضاً ؟

رجل القضاء (لسومرست) : إن لم تخدعني دراساتي ومجلداتي ، أعلن أن هذه الطريقة غير سليمة . لذلك أنا أيضاً أقطف وردة بيضاء .

بلانتاجينه : والآن اين حجتك يا سومرست ؟

- سومرست : هنا في غمد سيني . وما عليّ إلا أن أحكم اليه لأصبح وردتك .
البيضاء بدمك الأحمر .
- بلانتاجينه : في هذه الأثناء أرى وجتيتك قد استعارتا لونهما من ورودنا التي
شجبت لدى بروز الحق الى جانبي .
- سومرست : لا يا بلانتاجينه ، ليس خوفاً بل غضباً ، وقد احمر خداك عاراً
وخزياً بينما أنت ترفض أن تعترف بغلطك .
- بلانتاجينه : أليس من دودة تنخر وردتك ، يا سومرست ؟
- سومرست : أليس من أشواك تحيط بوردتك أنت ، يا بلانتاجينه ؟
- بلانتاجينه : نعم ، اشواك حادة مؤلمة تدافع عن الحقيقة ، بينما دودتك تلتهم
دناءتك .
- سومرست : لن أعدم أصدقاء يحملون ورودي الدامية ويؤكدون أن ما أعلنه هو
عين الضواب بينما المراوغ بلانتاجينه لا يجرؤ على الظهور في
الساحة .
- بلانتاجينه : إذاً ، بحق الوردة النظرة التي أمسكها بيدي انا احتقرك وأحتقر
شعارك ، ايها الولد العاق .
- سوفولك : لا تحوّل ازدراءك الى هذه الناحية ، يا بلانتاجينه .
- بلانتاجينه : لقد فعلت ذلك ، ايها المتعجرف ، وأنا احتقركما كليهما .
- سوفولك : أنا أهزأ بهذا الاحتقار وأردّ كيدك الى تحرك .
- سومرست : كفى ، كفى يا عزيزي ولیم . نحن نكرم هذا المشعوذ أكثر مما
يستحق بمواصلة حديثنا معه .

ورويك : والله أنت تهينه يا سومرست . كان جدك ليونيل دوق كلارنس ثالث
ابناء ادوارد ملك انكلترا . فهل من هذه الاسرة العريقة ينحدر مثل
هذا الدجال ؟

سومرست : بحق من خلقتني سأقرن أقوالي بالافعال على أي صعيد كان . أولم يُنقذ
بوالدك ريشار كونت كمبريدج حكم الاعدام عقاباً على خيانتة في
عهد الملك الراحل ؟ وبخيانتة ألا يلحق بك العار ويجردك من كل
نبل عائلتك العريقة ؟ ان جريمتك لا يزال خزيها يسري في عروقتك
و إلى أن يعاد اعتبارك ستظل في نظر الجميع مشعوذاً دجالاً .

بلاتاجينيه : لقد اتهم ابي زوراً ، ولم يلحق به أي عار . بل نقذ به حكم الاعدام
عقاب خيانة مزعومة . لكنه لم يكن خائناً ، وأنا مستعد لأن أثبت
ذلك بالرغم من ادعاءات من هم ألمع من سومرست عندما يحين
الأوان حسب خطتي . بينما يلتصق بك وبشريكك في الحباسة ،
هذا الاقتراء الذي لن أنساه ، وسأنزل بكما القصاص اللازم في
حينه لغسل اساءتكم بحق . فكونا على حذر متيقظين .

سومرست : أجل ، سنكون دائماً على أتم الاستعداد ، وستذكرك بعدائنا هذه
الألوان التي سيحملها أصدقائي شت أو أبيت .

بلاتاجينيه : بحق السماء ، سأحمل هذه الوردة الشاحبة غضباً كرمز حقدي
الذي سيروتوي من دمك ، كما يحملها جميع أنصاري الى أن تلوي
معي في القبر أو تتفتح أكمامها فرحاً في جو انتصاري .

سوفولك : اكمل ، وليقتلك غرورك . على هذا أودعك حتى لقائنا القريب
(يخرج) .

- سومرست : سأتبعك . فالوداع يا ريشار الغبي . (يخرج) .
- بلانتاجينيه : لقد احتملت سماجتهم ووقاحتهم ، وعليّ أن أصمد في وجههم .
- ورويك : ان هذه اللحظة التي يعيرون بها اسرتك ستمحي في أول اجتماع للمجلس المدعو الى اقرار الهدنة بين ونشستر وكلوسستر . فان لم ترقّ الى مقام دوق يورك ، فأنا لن أكون ورويك . في هذه الأثناء وكعربون لما احفظه لك من مودّة لسومرست ووليم من عداوة ، سأحمل هذه الوردة وأكون الى جانبك . واليك ما أتوقعه : ان المناقشة التي جرت في حديقة المعبد ، وهذا الانقسام الى فريقين ، وردة حمراء ووردة بيضاء ، سيؤدي بحياة ألوف الرجال في هذه الليلة الجنائزية بالذات .
- بلانتاجينيه : عزيزي الاستاذ فرنون ، انا مدين لك لأنك قطفت زهرة لصالحني .
- فرنون : ولأجلك سأحملها على الدوام .
- رجل القضاء : وأنا أيضاً .
- بلانتاجينيه : أشكركم يا سادتي . هيا بنا نتناول طعام العشاء نحن الاربعة . فاني اجسر على القول أن هذه المشادة ستروي دماء غزيرة في وقت قريب .

المشهد الخامس

في برج لندن

يدخل مرتيمور يحمله اثنان من الحراس على كرسي
مرتيمور : يا حارسي الأمين في شيخوختي المتخاذلة ، دعني أنا المنازع أسترح
ها هنا . فان سجنى الطويل قد سبب لي العرج كأني رجل أنقذ
هذه اللحظة من منصة الاعدام . فقد شخت نظير نسطور من كثرة
المهموم ، وأعلنت هذه الشعرات البيضاء نذير الموت ، قرب نهايتي
أنا ادمون مرتيمور ، وخمد النور في عينيّ نظير سراج شمع زيته
وكاد ينطفئ ، وأرهق كفيّ الهزيلتين وقر الحزن والأسى ،
وارتعشت يداي كأوراق الخريف التي تتساقط الى الحضيض عن
أغصانها اليابسة ، وفقدت رجلاي قواهما ، وقد جفّ عودي ، ولم
تعودا قادرين على حمل جسمي الذي أمسى كالخرف المعطوب
يسير بي الى القبر برجلين هرمتين عاجزتين كأنهما أحسّتا بأنّي بتّ لا
أملك ملاذاً ولا ملجأ في هذه الدنيا الفانية . قل لي بربك أيها
الحارس هل سيأتي ابن أختي؟

الحارس الأول : أجل ، سيأتي ريشار بلانتاجينه يا مولاي . فقد ارسلنا الى المعبد
وإلى منزله من يستدعيه ، وقيل لنا أنه قادم .

مرتيمور : هذا يكفي لتهدئة روعي . مسكين هذا الوجه ! ان مذلته هي
مذلتي . فتنذ بدء حكم هنري «موت» الذي سبقت عظمته
أبجادي السالفة التي أورثني الاحتجاز منذ ذلك الحين ، غاب
ريشار عني وتركني في غياهب النسيان ، كما خسرت ميراث العزّ

والشرف . لكن الموت وهو نصيب اليائس ومنقذ البائس من الشقاء
والهوان ، لن يلبث أن يجود عليّ بالخلاص . وكم وددت أن يكون
زمن مَراته العنيفة قد ولى وأن يدعني وشأني بأمان وسلام .
يدخل ريشار بلانتاجينه .

الحارس الأول (لمرتيمور) : مولاي ، وصل ابن اختك الحبيب .

مرتيمور : ريشار بلانتاجينه نسبي ؟

بلانتاجينه : أجل ، يا خالي النبيل المتهم بالدنايا ، وصل ابن اختك تدفعه اليك
اهانة جديدة .

مرتيمور : اقرب مني كي أضمك الى صدري بذراعيّ الهزليتين ، قبل أن
ألفظ أنفاسي الأخيرة . دع شفقي تقبل وجنتيك بعطف وحنان .
والآن اشرح لي يا سليل أسرة يورك العريقة ما ألححت اليه من تحقير
جديد .

بلانتاجينه : اتكىء على ذراعي يديك الهزيلة فاعلمك بسبب انزعاجي . في
نقاش حول قضية حقوق ، تبادلْتُ اليوم أنا وسومرسنت بضع
كلمات ناشفة إذ عَيَّرني بظروف موت والدي . فأغلق هول هذا
الاهتمام في ، وإلا كنت ألقمته جواباً كالحجر . لذا أرجوك ، يا
خالي العزيز ، باسم والدي وفي سبيل شرف اسرتنا واكراماً لنسابتنا ،
أن تفيدني بصراحة عما سبب وفاة أبي كونت كمبريدج ، ولماذا قُطع
رأسه ؟

مرتيمور : نفس الحجة ، التي من أجلها سجنْتُ أنا يا ابن أختي ، منذ أيام

شبابي وأودعتُ زنزانة ضيقة بغضضة ، كانت الدافع الى اعدامه
الرهب .

بلانتاجينه : أرجوك أن تذكر لي ما أجهله من تفاصيل لا أستطيع تخيلها .

مرتيمور : سأشرحها لك بقدر الامكان اذا لم تباعثني منّي قبل أن أنهي لك
القصة . ان هنري الرابع جد الملك الحالي قد خلع ابن اخته
ريشاز ، بكر الملك ادوارد الثالث ، وريثه . وفي عهده وجد أفراد
عائلة برسي الشمالية أن اغتصابه التاج كان ظلماً وعدواناً فحاولوا أن
يجلسوني على العرش . وادّعى هؤلاء اللوردات المناوئون أن أبعاد
ريشار تمّ هكذا لأنه ليس وريثاً شرعياً له من صلبه ، وهذا يجعلني
أقرب بالنسب الى الإشتتار بالملك ، لأن والدتي سليلة ليونيل دوق
كلارنس ثالث أولاد ادوارد الثالث ، بينما هو يتسبب الى يوحنا دي
غان الذي لم يكن سوى الرابع في هذه السلالة . انما ، إستمع الي
جيداً ، في هذه القضية الخطيرة التي ترمي الى ردّ الحقوق الشرعية
لصاحبها ، قد فقد المعارضون حياتهم كما فقدت أنا حريتي . بعد
زمن طويل ، خلف هنري الخامس ، المتوفي الآن ، والده بولنبوك
على العرش ، بينما والدك كونت كمبريدج انحدر من النبيل ادمون
لنكلي دوق يورك الذي تزوج اختي والدتك ، ففص لحزبي
العميق ، وجند جيشاً جديداً كي ينقذني ويعيد الي التاج . لكن
هذا الكونت المنصف أخفق مثل غيره فنقذ فيه حكم الاعداد وقطع
رأسه . وهكذا أيدت أسرة مرتيمور صاحبة الحق بهذا العرش
المتنازع .

بلانتاجينه : وأنت ، يا مولاي ، آخر شخص من هذه السلالة الكريمة .

مرتيمور : هذا صحيح . وبما أنني لم أرزق أولاداً ، وكلامي المتهدج ينيء بدنو أجلي ، فأنت وريثي الوحيد ، وأرجوك أن تستخلص مرامي . لكنني أوصيك بالحذر الشديد أثناء تنفيذ مهمتك الشاقة الخطرة .

بلانتاجينه : لن أنسى ما تسديه الي من نصيح سديد . انما يجئ الي أن انزال عقوبة الاعدام بوالدي لم يكن سوى عمل دموي شنيع وطغيان دنيء .

مرتيمور : أكرم ، يا ابن اختي هذا السر السياسي ، لأن أسرة لنكاستر قد وطدت قواعدها وكالجيل الراسخ لا سبيل الآن الي زحزحتها بسهولة . لكن خالك على وشك الانتقال الي العالم الآخر كما ينقل الأمير بلاط حكمه وقد تعب من طول الإقامة في نفس المكان .

بلانتاجينه : آه ! يا خالي . كم أود التخلي عن سنين عديدة من عمري لاطالة أيام شيخوختك .

مرتيمور : هل تريد أن تزيد شقائي وآلامي نظير الجزار الذي يطعن عدة مرات ضحيته ، بينما طعنة واحدة تكفي للقضاء عليها . لا تأسف على ما فات ، إلا إذا كانت سعادتك رهينة في الميدان . أصدر أوامرك لدفني بشكل لائق . وعلى هذا استودعك الله ، آملاً أن تحقق جميع أمانيك ، وأن تكون حياتك حافلة بالأفراح والتوفيق في أيام السلم وأيام الحرب على السواء .

بلانتاجينه : لترافق السلامة نفسك الراحلة . لقد أقمت طويلاً في السجن . وقضيت أيامك في عزلة كالناسك المتعبد . أجل ، سأحفظ

نصائحك في أعماق قلبي وسأسعى الى تحقيق أحلامي . أيها الحراس
خذوه من هنا وسأقيم له جنازة لائقة أبهى من حياته القائمة .
(يخرج الحراس حاملين مرتيمور) هنا انطفأ مشعل وجود مرتيمور ،
وقد خبا نوره الذي اخمدته الاطماع الخسيسة . أما الالهانة
والمسبات البذيئة التي وجهها سومرست الى اسرتي فلن أسكت عنها
أبداً بل سأعمل على رفع الحيف عني لإحقاق الحق المغتصب .
لذلك سأسرع الى المجلس حيث اسعى الى ردّ اعتباري واسترداد
مكانتي جاعلاً من الشر اداة لخيري (يخرج) .



الفصل الثالث

المشهد الأول

في لندن ، وسط قاعة المجلس

تصيح الموسيقى. يدخل الملك هنري واكساتر وكلوستر وورويك وسومرست وسوفولك وأسقف ونشستر وريشار بلانتاجينه وغيرهم. يتقدم كلوستر لتسليم وثيقة اتهام فيتزعها منه ونشستر ويمزقها.

ونشستر: أنت تأثينا بمستند استغرقت كتابته تفكيراً طويلاً وبمنشور متقن التدبيح، يا همغري كلوستر. فاذا كنت تهمني ولديك ما تثبت به قولك، لا تتأخر أبداً عن ابرازه بدون استعداد، لأني متأهب لردّ جميع ادعاءاتك حالاً بصورة ارتجالية.

كلوستر: يا زجل الدين، يا متجبر، ان هذا المكان يفرض عليّ التبصر والصبر، وإلا لكنت عدّدت لك ما ألحقته بي من إهانات. لا تظن إن بينت لك كتابةً جميع جرائمك المنحطة التي اخترعتها واني غير قادر شفاهياً على تكرار ما سطرته ريشتي. كلا، يا محترم. فهذه جسارتك الحقيرة اردّها اليك مع كل مساوئك التي لا تخفى حتى على الأولاد، مقرونة بكبرياتك وعجرفتك. فأنت أبغض المرايين وعلى جيبتك وصمة اسفل الطباع، أنت عدو السلام أما خيانتك

فلا تحتاج الى برهان . ألم تحاول أن تسلبني حياتي في كمين عند جسر لندن بالقرب من برجها . واذا نبشنا خباياك اخشى أن لا يتجو حتى إليكك نفسه من حباثل حسدك وحقدك الأسود ايها اللثيم العاتي .

ونشستر : اني أتحداك يا كلوستستر . تكرموا يا سادة باصفائكم الى ردي . لو كنت طامعاً جشعاً أو مغتصباً دينياً كما تدعي ، فكيف بقيت فقيراً ؟ لماذا لا أحاول أن أتقدم أو أن أترفع بل أكتفي بتسميم واجبات منصبي ؟ ومن جهة الفوضى ، من هو المتشبت بالسلام أكثر مني إلا حين إستجابة التحدي . لا يا سادتي الأفاضل ، ليس هذا ما يغيظ الدوق ولا ما يثيره . المهم هو أنه يريد أن ينفرد بالحكم وأن يتمتع وحده بالخطوة في عيني الملك . ان ما يجعل خدي يصبغ بالاحمرار هي الاتهامات الموجهة اليه . لكنه سيعلم أني أوازيه نسباً وكرامة ومقداراً .

كلوستستر : أنت توازيني ؟ يا لقيط جدي ؟
 ونشستر : أجل أيها المحتال . أنت لست سوى مدعٍ يسيطر على عرش سواه .
 كلوستستر : أولست أنا حامي هذا العرش أيها الأحقق الوقح ؟
 ونشستر : وأنا ، أولست من رجال الدين البارزين ؟
 كلوستستر : بل أنت سارق استوليت على هذا القصر وجعلت منه مغارة لصوص .
 ونشستر : تباً لك من منافق دجال ، يا كلوستستر !

كلوستستر: ان ما يستدعي الاحترام هو مقامك الرفيع لا شخصك الوضع .

ونشستر: ستعالج روما هذه المشكلة .

ورويك: هيا بنا أيها الرجل الفريد في عصره .

سومرست (لورويك): يا مولاي ، من صالحك أن لا تصل المسألة الى روما .

ورويك (لسومرست): حاول أن توقف الأسقف عند حده .

سومرست: يتجمل إليّ أن على مولاي أن يعرف جميع واجبات رجال الدين .

ورويك: يتجمل إليّ أنا أيضاً أن الواجب يقضي عليك ، يا سيدي ، أن تكون

متواضعاً اذ لا يليق برجل الدين أن يخوض مثل هذه المباحكات المريبة .

سومرست: نعم ، عندما يمس وقاره واعتباره .

ورويك: لا أهمية هنا لوقاره (يشير الى كلوستستر) أوليس سيادته حامي

الملك ؟

بلانتاجينه (على حدة): أنا بلانتاجينه ، كما أعتقد ، عليّ أن أصون لساني من

الزلل ، خشية أن يُقال لي: تكلم يا صاح ، عند الاقتضاء . هل

لحكّمك الجريء من محل في مناقشات اللوردات ؟ وإلا كنت

ألقمت ونشستر أحجاراً تخرسه الى الأبد .

الملك هنري: يا اخواني كلوستستر ونشستر أبرز حُرّاس المصلحة العامة ، أودّ إن

كان لرجائي من وزن لديكم ، أن تصلحوا بين المتخاصمين بصدقة

ومودة . ما هذه الفضيحة التي تظال عرشي الذي اختلف في خدمته

اثنان من النبلاء أمثالكم . صدقوني يا سادتي ان قلت لكم ان

الخلاف المدني كالحية الرقطاء تسمّ أحشاء الحكم . (تسمع
صرخات من الخارج) لتسقط البزات الصفراء . ما هذا الضجيج ؟
ورويك : هذه مشاجرة أثارها رجال الأسقف (صيحات جديدة :
الحجارة ، الحجارة)

يدخل محافظ لندن ووراءه بعض الحرس .

المحافظ : يا سادتي الكرام ، وأنت أيها الملك الفاضل هنري ، اشفقوا على
مدينة لندن هذه وارحمونا . ان رجال الأسقف ورجال كلوستستر
الذين حرّم عليهم من عهد قريب حمل السلاح قد ملأوا جيوبهم
حجارة وانقسموا الى فريقين متعادين وراحوا يتراشقون بعنف حتى
كادت رؤوسهم تهشم . لقد تكسّر زجاج نوافذنا في جميع
الشوارع واضطربنا من قبيل الاحتياط الى اغلاق حوانيتنا .

يدخل رجال كلوستستر ، ورجال ونشستر وهم يتضاربون .

الملك هنري : اني انذركم ، بموجب سلطتي ، ان تجمدوا ايديكم الآتمة وان
تلتزموا الهدوء والسلام . أرجو يا عمي كلوستستر أن تضع حداً لهذه
المشاجبات .

الحارس الأول : اذا منعتم عتّا الحجارة قاتلنا بأسناننا .

الحارس الثاني : تجاسروا قدر استطاعتكم ، فنحن مصمّمون على العراك (يتواصل
الشجار) .

كلوستستر : اتم رجالي ، وأنا أطلب منكم أن توقفوا هذه المشاحنة وان تضعوا
حداً لهذا التراع السافل .

الحارس الثالث : نحن نعلم أن سعادتك رجل مستقيم ، ونحاول ، بفضل كرم نسبك الملكي ونظراً الى كونك لا تعترف بسيد عليك سوى جلالة الملك ، ان تكون اميراً فاضلاً على رأس حكم صالح ، وأن لا تتلقى أية أهانة من صعلوك ، لذا ترانا مع نساتنا وأولادنا مستعدين جميعاً للقتال في سبيل نصرتك ومحاربة أعدائك وافتدائك بدمائنا .

الخادم الأول : أجل ، سنقاتل ، وبأظفارنا سننبش أرض المعركة اذا قدر لنا أن نموت لأجلك .

كلوستستر : قفوا ، قفوا ، اقول لكم . ان كنتم حقاً تحبوني كما تصرحون ، أرجوكم أن تبرهنوا على صدق نيتكم وتمالكوا انفسكم .

الملك هنري : كم يدمي قلبي هذا الخلاف ! هل بإمكانك يا لورد ونشستر أن تسمع أناقي وترى دموعي بلون أن يرق قوادك لحالي ؟ من غيرك سيكون حليماً رحوماً بحقي ؟ من يصون السلم اذا حلا لرجال الدين أن يتخاصموا ؟

ورويك : يا حامي المملكة ، تحمّل مسؤوليتك ، واذا لم تشأ أن تبلي نداء الواجب اقتل مليكك واهدم اركان المملكة . انظر كم سببت بعدائك من الشقاء ومن الضحايا . بادراً الى توطيد التفاهم والوثام اذا لم تكن متعطشاً الى سفك الدماء .

ونشستر (يشير الى كلوستستر) : إما أن يعلن خضوعه أو لن أرضى أبداً بالوفاق .

كلوستستر : اشفاقي على الملك يضطريني الى الإزعان . وإلا عمدت الى ازهاق روح هذا الحبر قبل أن ألين .

ورويك : انظر يا مولاي ونشستر؟ لقد تحاشى الدوق موجة التذمر ، وهذا
محياه الهاديء يدلّ على ذلك . فلماذا يلازمك هذا العيوس
المأسوي؟

كلوسبستر : اليك يا ونشستر أمدّ يدي .

الملك هنري : تبّاً لك يا عمي بوفور . لقد سمعتك تؤكد في مواعظك أن الحقد
خطيئة فظيعة . فهل لك أن تطبق بنفسك الدرس الذي تلقيه على
غيرك ، وأن لا تكون أول المخالفين؟

فروويك : اتسمع ايها الملك الكريم ، جدير هذا الأسقف المراهي؟ يا للعار ، يا
لورد ونشستر . سلّم بالواقع . ما هذا التصرف؟ أحتاج الى ولد كي
يعلمك واجبك؟

ونشستر : اذاً، تراني أنحني أمامك ، وأقابل محبتك بمودتي وأصافح اليد
الممتدة اليّ .

كلوسبستر (على حدة) : أخشى أن يكون تصرّحك عكس ما تضرّمه لي . اسمعوا يا
أصدقائي ، ويا مواطني المخلصين . هذا يدل على وجود هدنة فيما
بيننا نحن الاثنين وبين جميع رجالنا . فاسأل العون من الله كي
يوقّتي في كل مساعيّ .

ونشستر (على حدة) : ربنا لا يأخذ بيدي ، إن لم أكن صافي النية .

الملك هنري : يا عمي العزيز ، دوق كلوسبستر الكريم ، كم يسرني هذا التفاهم
والوئام ! (لرجال الدوق ورجال الأسقف) : اذهبوا يا أصحابي ،
ولا تسببوا لي أي قلق كما فعل سادتكم .

الخادم الأول : أمرك مطاع يا مولاي. أنا ماضٍ إلى الجراح.

الخادم الثاني : وأنا أيضاً.

الخادم الثالث : وأنا ذاهب لأرى أي دواء أجري في الحانة (يخرج المحافظ ورجال الدوق ورجال الأسقف).

ورويك : أيها الملك الحكيم. نلتمس منك أن تقبل باسم ريشار بلانتاجينييه ، ما نقدّمه لجلالتك (يقدم ورقة معروض للملك).

كلوسستر : فكرة ممتازة يا مولاي ورويك. (للملك) فعلاً ، أيها الأمير العزيز ، إذا أخذت جلالتك هذه الظروف بعين الاعتبار يكون الحق بجانبك خاصة إذا منحت ريشار حقوقه حسب ما يبتته أنا لجلالتك في محلة التّهم.

الملك هنري : هذه الأسباب ، يا عمي العزيز ، كانت موجبة. وهكذا ، يا سادتي اللوردات الأكارم ، يسعدني أن أعيد إلى ريشار جميع ما يحقّ له بسحب مولده النبيل.

ورويك : لتُعَدَّ إلى ريشار جميع حقوق أسرته ، وهكذا يُعوّض عما لحق بوالده من اهانات.

ونشستر : ما يريده سائر الوجهاء أريده أنا أيضاً.

الملك هنري : إذا كان ريشار أميناً ، فلن أتوقف عند هذا بل أعيد إليه كل ما يخصه من إرث بيت يورك الذي ينحدر منه رأساً.

بلانتاجينييه (للملك) : خادملك المطيع يعاهدك على الخضوع لأوامرك وعلى خدمتك بوفاء حتى المات.

الملك هنري : إركع اذاً ، وضع ركبتك تجاه رجلي ، ولقاء هذا الامتثال أقلدك
 سيف يورك الموسوم بالشجاعة والإقدام . إنهض يا ريشار بصفتك
 كفرد أصيل من آل بلاتناجينيه . إنهض ايها الأمير ، دوق يورك .
 بلاتناجينيه : أتمنى لريشار كل النجاح ، ولأعدائه السقوط ، كما أرجو أن تبرهن
 دائماً عن اخلاصك ، وليهلك كل من أراد سوءاً بجلالتك .
 الجميع : لتحيا أيها الأمير الكبير ، دوق يورك القدير .

كلوسستر (للملك) : الآن أصبح من الضروري أن تستعجل جلالتك في اجتياز
 البحر كي تتوج ملكاً على فرنسا . لأن حضور الملك يولد الحب في
 قلوب رعاياه وأصدقائه الأوفياء ويخزل جميع أعدائه .
 الملك هنري : عندما يتكلم كلوسستر بصدق ، يتعظم شأني كملك لأن نصيحة
 الصديق تفشل مكائد الأخصام .

كلوسستر : مراكم جاهزة . (يخرج الجميع ما عدا اكساتر)

اكساتر : أجل علينا أن نعتصم بالاقدام سواء في انكلترا أو في فرنسا . لأننا لا
 نعلم بما يجتبه لنا المستقبل . ان هذا الخصام المتأجج بين الزعماء
 يشتعل تحت رماد خداع وصدقة مصطنعة لا بد لها من أن تنفجر
 وتلتهم نيرانها الأخضر واليابس معاً . ونظير أعضاء فاسدة في الجسم
 تتلفها القروح وتنخر فيها العظم واللحم والأعصاب ، هكذا يتشر
 الحسد في الدين ويلتهم كل شيء وقد بت الآن أخشى تحقيق هذه
 النبوءة المشؤومة التي تملأ ، في أيام هنري الخامس ، حتى افواه
 الاطفال الرضع قائلين :

للملك هنري المولود في «منموت» كل الأفراح
وللملك هنري المولود في «وندسور» كل الاتراح .
وهذا بديهي لا يحتاج الى برهان ، حتى أن اكساتر تمنى أن يدنو
اجله قبل أن تحلّ بنا هذه الكوارث الفظيعة . (يخرج) .

المشهد الثاني

في فرنسا ، امام حواجز مدينة روان

تدخل العلاء متخفية مع جنود مرتدين ثياب فلاحين حاملين اكياساً على
ظهورهم .

العلاء : ها هي أمامنا ابواب مدينة روان التي يجب علينا أن نفتح فيها ثغرة .
انتبهوا وخذوا حذرکم ، وأثناء حديثکم تكلّموا كسائر أهل السوق
الذين يأتون لبيعوا قمحهم . فإذا تمكنا من الدخول كما أتمنى ،
ووجدنا المكان مهماً غير محصّن ، نَبّهت أصدقاءنا بأشارة كي
يطلبوا من ولي العهد شارل المبادرة الى مهاجمتهم .

الجندي الأول : سنملاً أكياسنا من غنائم المدينة ومنصبح قريباً سادة روان . لذلك
علينا أن نظرق بشدة . (يطرقون الابواب) .

الحارس (من الداخل) : من الطارق ؟

العلاء : نحن فلاحون مساكين من فرنسا جئنا نبيع قمحنا .

الحارس : ادخلوا ، ادخلوا . فقد افتتح السوق (يفتح الأبواب) .

العدراء : والآن ، يا روان ، سأزعزع شوارعك وأهدمها برمّتها (تدخل
العدراء مع جنودها الى المدينة) .

يتقدم شارل ولقيط أورليان وآلنسون والقوات الفرنسية حتى
الحواجز) .

شارل : لتبارك السماء هذا التدبير الحكيم ، سننام مرتاحين في روان هذه
الليلة .

اللقيط : من هنا دخلت العدراء مع جنودها . وبما أنها أضحت قرية منا
ستدّلنا على الممر الآمن والأفضل .

آلنسون : ان رَفَعْنَا المشعل في أعالي هذا البرج دلّ ذلك على أن المكان الذي
تسلّلنا منه مهمل غير محروس .

تظهر العدراء في أعلى البرج ممسكةً بمشعل يلهب .

العدراء : ها هي الشعلة المباركة التي تجمع مدينة روان بسكانها وهي مصدر
شؤم على اتباع تالبوت .

اللقيط : انظر أيها النبيل شارل مشعل صاحبتنا الذي ينير ارجاء هذا البرج .

شارل : دعها تضيء نظير الشهاب المتقمم ، مؤذناً بسقوط جميع أعدائنا .

آلنسون : لا تُضِيع الوقت سدى . فلتفاصيل نتائج خطيرة . تعالوا ندخل
هاتفين لولي العهد ، ثم ندمّر مراكز العدو (يدخلون المدينة) .

تسمع موسيقى ائذار . يدخل تالبوت وبعض الانكليز .

تالبوت : كُفّري يا فرنسا بدموعك عن هذه الخيانة ، إن عاش تالبوت بعد
هذا الجحود . وهذه العدراء الساحرة ، هذه الدجالة الماكرة قد

فاجأتنا بمكيدتها الجهنمية التي نجونا منها بشقّ النفس وكانت لصالح الفرنسيين .

يدخل الجميع الى المدينة . تُسمعُ موسيقى انذار ، تليها حركة جنود يخرج بدفورد من المدينة مريضاً محمولاً على كرسي يتبعه تالبوت وبوركون وجنود انكليز . حيثُ تظهر العذراء على الحاجز مع اللقيط وآلثسون ورينيه وغيرهم .

العذراء (للانكليز) :نهاركم سعيد ، ايها الذوات ، هل تحتاجون الى قح لصنع خبزكم ؟ أظن أن دوق بوركون سيصوم بعض الوقت قبل أن يحصل عى خبز بهذا الثمن لأن القمح كان مملوءاً زوّاناً وكان مذاقه مرّاً .

بوركون : تنذري على هواك ، أيها الماكرة الخبيثة . أرجو أن أدوسك قريباً برجلي مع قحك ، وأنا ألّعن هذا المحصول الكريه .

شارل : قد تموت سيادتك جوعاً قبل أن تصل الى هذه الغاية .

بدفورد : ليكن انتقامنا لقاء هذه الخيانة ، بالفعل لا بالقول .

العذراء : ماذا تنوي عمله أيها الشائب المتطاوّل ؟ هل تود أن تكسر رمحك وأن تحمل النير ، وأنت مقعد على هذا الكرسي ؟

تالبوت : تبا لهذه الشيطانة الفرنسية ، هذه العاهرة خالعة العذار المحاطة بعشاقها المهتكين ، هذه الماكرة التي لا تتورّع عن الهزء بشيخوخة رجل نصف مائت ونعته بالجبانة . سأريك أيّتها الآنسة حين أهاجمك مرة أخرى ، أنا تالبوت ، كيف سأتلّعب عليك ، وإلاّ متّ خجلاً وخزياً .

- العذراء : ألا تزال شديد الحماس يا مولاي؟ عليّ أن ألوذ بالصمت ، ومهما دوى صوتك ، يا تالبوت ، ستمطر السماء حتماً (يتشاور تالبوت وأصحابه) . بارك الله في المجلس . من سيكون الخطيب هذا النهار؟
- تالبوت : تجاسروا واخرجوا كي تتصدّوا لنا في السهل .
- العذراء : سيادتك ، على ما يظهر ، تظن أننا مجانين لتعرّض لمسألة لا نخصنا .
- تالبوت : أنا لا أكلم الدجالة الساحرة ، بل أكلمك أنت وآلنسون والآخريين . هل تريد أن تخرج للقتال على غرار هؤلاء الجنود؟
- آلنسون : كلا ، يا سيدي .
- تالبوت : اذهب واشتق نفسك ، يا هذا . تبّاً لساقي البغال الفرنسيين ، الذين يظنون مخبئين خلف الجدران كاللصوص الاندال ، ولا يمرّؤون على حمل السلاح كالرجال الشجعان .
- العذراء : هيا ننسحب ، أيها الضباط ، ونغادر الحاجز ، لأن نظرات تالبوت لا تنبئ بأية بادرة صالحة . (لتالبوت) : ليكن الله معنا يا مولاي . لقد جئنا لنراك وثبت وجودنا هنا . (تغادر العذراء الحاجز مع الجنود) .
- تالبوت : وبعد قليل من الوقت سنكون هناك حيث أودّ أن أستبدل العار بأعظم مجد يليق بالوسائل أمثالي . أستحلفك يا دوق بوركون بشرف اسرتك التي عانت اضطهاد الشعب الفرنسي ، ان تسارع الى انقاذ هذه المدينة التي توشك أن تموت .
- بوركون : أمنيّتي تعانق أمنيّتك .

تالبوت : لكن قبل الذهاب تعالوا نعتني بهذا الأمير المزعج دوق بدفورد الهام. تعال يا مولاي. ستمكث في مكان آمن من هنا وأنسب لمرضك ولتقدمك في السن.

بدفورد : يا لورد تالبوت ، لا تذلي هكذا. اريد أن أبقى داخل روان لأشاركك السراء والضراء.

بوركون : ايها الشجاع بدفورد ، دعنا نؤكد لك ...

بدفورد : لن أرحل عن هذا المكان. كلا ، لقد قرأت في الماضي أن التنين بندراكون كان مريضاً. فحضر وهو على فراشه الى ساحة الوغى وانتصر على أعدائه. يحل الي أنا أيضاً ألي أستطيع استنهاضهم جنودنا لأني كنت دائماً على وفاق معهم.

تالبوت : تباً لروحك المتمرد في جسم عليل منازع. ليكن ما تشاء ، ولتحرسك السماء يا بدفورد العجوز. والآن كف عن النقاش ، يا بوركون المقدام. علينا أن نستجمع قوانا المشتتة وننقصر على عدونا الوقح.

يخرج بوركون وتالبوت ورجلها تاركين بدفورد وحرسه. يسمع نفيير التحذير ، وتحرك الجيوش. يدخل سير جون فستولف وضابط.

الضابط : الى أين أنت ذاهب هكذا بسرعة ، يا سير فستولف ؟

فستولف : الى أين أذهب ؟ أنا هارب لأنجو بنفسني. اذ ربما خسرنا المعركة.

الضابط : ماذا تقول ؟ أنت هارب يا لورد تالبوت ؟

فستولف : أجل ، أنا وجاعة تالبوت ، لنغتم أنفسنا (يخرج).

الضابط : يا لك من فارس جبان ! ليحلّ بك البؤس والشقاء . (تسمع موسيقى الانسحاب وتليها حركة جيوش . العذراء والنسون وشارل والفرنسيون يخرجون من المدينة مشتتين) .

بدفورد : لتنتلق الآن نفسي الى خالقها بأمان ! لأن عينيّ أبصرتا هزيمة أعدائنا أين هي ثقة الرجل المتخاذل ، وأين قوته ؟ ان من يتحلّوننا بيضاءهم هم الآن راضون بالخلاص هرباً من بطشنا . (يلفظ انفاسه الاخيرة وهو محمول على كرسيه) .

تسمع موسيقى تحذير . يدخل تالبوت وبوركون وسواهما .

تالبوت : لقد خسرتنا المدينة واسترجعناها في يوم واحد . وهذا عمل عظيم يا بوركون . فلتحفظ لنا السماء كل أجماد هذا الانتصار الخالد .

بوركون : يا تالبوت المحارب الظافر ، اني أقدرك شخصياً كل التقدير واشيد بنبل بطولتك وسموّ شمالك .

تالبوت : أشكرك ، أيها الدوق الكريم . لكن أين العذراء في هذه الساعة ؟ أعتقد بأن شيطان حماسها يرقد الآن . وأين عنتريات اللقيط ، وأين أعلام شارل ؟ هل تبددوا جميعاً ؟ ان روان تنكس رأسها وهي ترثي لحال المهزمين من ابنائها الشجعان . هيا بنا نحلّ النقاط الحساسة في المدينة ، ونوكل امر حراستها الى ضباط يقظين . ثم نذهب الى باريس لموافاة الملك ، لأن هنري الشاب قد سبقنا إليها مع النبلاء من رجاله .

بوركون : كل ما ترغب فيه يا لورد تالبوت يعجبني .

تالبوت :

على كل حال ، قبل أن تمضي لا تنسَ النبيل بدفورد الذي لفظ
انفاسه الأخيرة منذ هنية . علينا أن نقيم له في روان جنازة تليق
بمقامه الرفيع . اذ ليس من محارب اشجع منه ابلى البلاء الحسن ،
وليس من انسان انبل منه ساهم مثله في ادارة شؤون البلاط . لكن
الملك والعظماء لا بدّ لهم هم أيضاً من أن يشربوا كأس المنيّة ، لأن
هذه النهاية مصير محتوم على كل البشر بدون استثناء في هذه الدنيا
التعيسة الباطلة (يخرجون) .

المشهد الثالث

في سهل قرب مدينة روان

يدخل شارل واللقيط آلسون والعذراء ورجالهم .

العذراء :

هذّبوا روعكم أيها الأمراء في هذه المحنة ، ولا تسمحوا لأنفسكم
بأن تروا روان مستردة على هذا النمط . فالعطف ليس دواءً شافياً بل
سماً زعافاً يقضي على كل من يتجرّعه مستكيناً . دعوا المتعصب
تالبوت يتصرّ لحظة ويعرض ريشات ذيله كالطاووس المغرور .
سنقتض عليه ونحطّم كبرياءه ، ولن تتجه اليه بعد ذلك انظار ولي
العهد وسواه من المخدوعين بأوهام تبجّحه .

شارل :

لقد تبعناك حتى الآن ونحن لا نشك بمهارتك . ولن تثنينا عن
الاتكال عليك أية كبوة عابرة تعترض سبيلك .

اللقيط : ابجتي ايها العذراء في ذهنك عن دوافع سرية ، ونحن نجعل شهرتك تطبق الآفاق .

آلنسون : سنقيم لك تمثالا في مكان بارز ونكرمك كأنك قديسة . فتصرفي كعذراء لطيفة ولا تسعي إلا لصالحنا .

العذراء : هذا ما يتحتم عليكم أتم أيضاً عمله . فصواب الرأي يقضي بأن نقنع دوق بوركون بحجج دامغة يدعمها كلام معسول ، وأن نحمله على التخلي عن تالبوت والالتحاق بنا .

شارل : بربك يا صديقي ، اذا نجحنا في الوصول الى مبتغانا فان رجال هنري لا يسعهم أن يصمدوا في فرنسا . وستقلع هذه الأمة عن مقابلتنا بوقاحتها المعهودة فتقتلع جنورها من مناطقنا .

آلنسون : سنبعدهم عن فرنسا الى الأبد ، ولن يكون لهم موطئ قدم في بلادنا .

العذراء : سترون يا سادة ما سأفعله لبلوغ المرام . (تقرع الطبول) . اسمعوا ، يمكننا أن نعرفوا من قرع هذه الطبول ان جنودهم يزحفون نحو باريس .

(يسمع النشيد الانكليزي . تالبوت ورجاله يجتازون المسرح مبتعدين) .

ها هو تالبوت يمر وأعلامه مرفوعة ، وكل الجيش الانكليزي يتبعه .

(يصدح النشيد الفرنسي . ويدخل دوق بوركون وقواته) .

الآن يسير الدوق وأصحابه في المؤخرة ، وقد جعله حظه الميمون في

هذا الوضع . تعالوا نطلب التحدث اليه ونفاوضه (يدق النفير لطلب مفاوض).

شارل : التفاوض مطلوب ، يا دوق بوركون .

بوركون : من يطلب مفاوضتي ؟

العذراء : مواطنك شارل أمير فرنسا .

بوركون : قل حالاً يا شارل ، ماذا تريد ؟ فأنا راحل من هنا .

شارل : تكلمي يا عذراء ، واسحريه بالفاظك الحماسية .

العذراء : ايها الشجاع بوركون ، يا أمل فرنسا الذي لا يجيب ، قف لتحدثك خادمتك المتواضعة .

بوركون : تكلمي بايجاز ولا تسهبي .

العذراء : انظر الى بلدك الجميل ، انظر الى فرنسا الخصبة ، وشاهد المدن

الكبيرة والصغيرة التي شوحتها وحشية غزوات العدو الشرس . وكما تتأمل الأم المنهوكه ولدها الذي اختطفه الموت من بين ذراعها ، انظر ، انظر الى نزاع فرنسا . أبصر هذه الجراح العميقة الخبيثة التي أثختها بها . هيا وجه خنجرك الى صدر غيرها ، واطعن من طعنوها لا من دافعوا عنها ببسالة . ان كل قطرة دم تسيل من قلب وطنك الصريع يجب أن تؤلك أكثر من نهر من دم الغريب . اخرف اذاً سيلاً من الدموع لتغسل بها جراح بلدك المغلوب .

بوركون : لقد سحرتي بكلماتك البليغة واستدرت عظمي فجأة .

العذراء : ان جميع الفرنسيين يستغيثون بك ، وهم لا يشكون بأصالة مولدك

وشرعية نضالك. قل لي من حالقت؟ أأمة شامخة لا تتق بك الا بقدر ما تخدم مصالحها؟ ان تالبوت متى استقر في فرنسا بعد أن يستخلكم كأداة شر لتهديم البلاد، من من الانكليز غير هنري سيكون سيدك؟ حيثئذ تصبح منبؤاً ومطارداً كالمهارب من وجه العدالة. تذكر الماضي وفكر جيداً حتى تفتنع بصحة ما أقوله لك. ألم يكن دوق أورليان عدوك اللدود؟ ها قد أطلق سراحه بدون فدية نكاية ببوركيونيون وبجميع أصدقائه. أنت تقاتل أبناء وطنك وتناصر من سيكونون قريباً جلاديك. هيا عُدْ الى رشدك أيها النبيل الضالّ. فان شارل وجميع أعوانه يفتحون لك صدورهم.

بوركون : أنا مقتنع بسموّ هذه الكلمات التي صعقتني كقذائف المدفع ، والتي حدث بي الى الركوع على ركبتي. ساحني يا وطني ، واعفوا عني يا أبناء بلدي. وأنت أيها المولى الكريم تقبل اخلاصي ومودتي. ها هي كل امكاناتي ، وها هم جميع رجالي في خدمتك. والآن وداعاً يا تالبوت لأنني لم أعد أثق بك.

العدراء (على حدة) : ها هوذا الفرنسي الصادق في عواطفه الذي لا يحيد عن الحق.

شارل : أهلاً بك أيها اللدوق الباسل. ان صداقتك عزيزة على قلوبنا.

اللقيط : وتنفخ فينا روح الجرأة والبسالة.

آلنسون : لقد قامت العدراء بدور رائع تستحق عليه إكليلاً من الغار.

شارل : هيا بنا الآن إلى السير يا سادة ، لننضمّ الى قواتنا ونسعى للتغلب على عدونا.

المشهد الرابع في باريس ، داخل القصر الملكي

يدخل الملك هنري وكلوستستر ونبلاء آخرون وفرنون وباسيه وغيرهم ويأتي لملاقاتهم تالبوت وبعض ضباطه .

تالبوت : أيها الأمير الوسيم ، وأنتم أيها النبلاء الأشراف ، علمت بقدمكم الى هذه المملكة فاوقفت بعض الوقت نشاطي الحربي لكي آتي وأقدم للملكي واجب الاحترام . وبناء على ذلك ، وبعد أن أخضعت لسلطتك أكثر من خمسين قلعة واثنى عشرة مدينة كبيرة وسبع مدن صغيرة محاصرة رغم اسوارها المتينة العالية ، وما يناهز المئة والخمسين سجيناً من كبار القوم ، ها هي يدي تضع سفي عند أقدام جلالتك ، وبأمانة الجندي الأمين اتوج هامتك باكليل فتوحاتي مرضياً بذلك ربي وضميري الذي يأبى إلا المجد والشرف الرفيع .

الملك هنري : عمي كلوستستر ، هل هذا هو اللورد تالبوت الذي أقام طويلاً في فرنسا؟

كلوستستر : أجل يا مولاي ، وهو تحت تصرف جلالتك .

الملك هنري : أهلاً بك أيها الضابط الشجاع ، أيها اللورد المظفر . عندما كنت أنا فتى ، ولا أزال في شرح الشباب ، أتذكر بأنني سمعت أبي يكرر ان ليس من بطل امتشق الحسام وحارب بمثل مهارتك . فندأمد طويل أنا أقدر وفاءك وخدماتك الجليلة . ومع ذلك لم تنل مني أية مكافأة على شهامتك ولا أي شكر على براعتك في القتال ، لأنني

قبل هذه الساعة لم يتسنّ لي أن أراك وجهاً لوجه . فلأجل هذه الخدمات أسألك أن تهض لأمنحك لقب كونت شروز بري ، وتظهر بهذه الرتبة الرفيعة في حفلة تنويجي .

(يدق النغير وتقرع الطبول ، ويخرج الملك هنري وكلوستر وتالبوت والنبلاء) .

فرنون (لباسيه) : والآن يا سيدي ، أنت الذي قاتلت فوق امواج البحر ورفعت عالياً لوالي الذي تحمله الى جانب النيل لورد يورك ، هل تتجاسر على ترديد الكلام الذي قلته فيما مضى ؟

باسيه : أجل يا مولاي ، اذا جرؤ لسانك على العواء أمام اللورد النيل دوق سومرست .

فرنون : أيها المحتال ، أنا أكرم اللورد على ما يستحقه .

باسيه : من هو هذا الرجل ، وهل يساوي يورك ؟

فرنون : كلا ، على ما اعلم . أسمعني ؟ وكبرهان على ذلك ، خذ هذا (يضرب باسيه) .

باسيه : أيها الوقح ، أنت تعلم أن شريعة السلاح تقضي بانزال عقوبة الموت

بمن يشهر سيفه ، وإلا فهذه الطعنة ستسيل دمك الطاهر كالنهر .

أنا ذاهب لمقابلة جلالته ، وسأطلب منه السماح لي بالانتقام منك

على هذه الاهانة التي لا تُغتفر ، ستري ما سيكون من أمري .

سألحق بك وأجعلك تدفع باهظاً ثمن تصرفك الأرعن .

فرنون : حسناً ، ايها اللثيم . سأكون الى جانب الملك حالما تمضي اليه . ثم

سألحق بك حالما تشاء ان اوافيك . (يخرجان) .

الفصل الرابع

المشهد الأول

في باريس ، وسط قاعة التوزيع

يدخل الملك هنري وكلوستر واكسائر ويورك وسوفولك وسومرست
ونشستر وورويك وتالبوت وحاكم باريس وغيرهم .

كلوستر : أيها اللورد الأسقف ، ضع التاج على رأسه .

ونشستر : حفظ الله الملك هنري السادس .

كلوستر : الآن وأنت حاكم باريس ، أقسم اليمين (يركع الحاكم) أقسم بأنك
لن تعترف إلا بسلطة الملك ، وأن تعتبر أصدقاءه أصدقاءك وأعداء
الذين يناوئون حكمه كأعدائك ، وأنك ستني بتعهدك هذا . وفَّقك
الله في جميع مساعيك . (ينخرج الحاكم وحاشيته) .

يدخل سير جون فستولف

فستولف : أيها الملك الكريم ، بينما كنت آتياً من مدينة كاليه على جوادي لأصل
بأسرع ما يمكن وأشهد تويجك ، سلّمني أحد الرجال رسالة
موجهة اليك من دوق بوركون .

تالبوت : تباً لك يا دوق بوركون ، ولك أيضاً أيها الفارس القلبر . لقد
أقسمت ، في أول مرة أصادفك بأنك لست أهلاً لنيل حمالة

جوابك وهي سمة شرف لا تستحقها نظراً الى جانبك (يتزع عنه حمالة جرابه) اني أفعل ذلك لأنك تدنس مثل هذا الامتياز السامي. أعذرني أيها الملك هنري ، واعذروني أتم أيضاً أيها النبلاء. عندما لم يكن لديّ في معركة «باتيه» سوى ستة آلاف محارب ، وكان الفرنسيون حوالى عشرة مقابل واحد ، قبل الصدام الأول ، وقبل أن أسدّد أية ضربة ، هرب هذا الجبان نظير صعلوك رعديد. وفي هذه المعركة فقدنا ألفاً ومئتي رجل. وأنا والعديد من النبلاء فوجئنا بذلك وكان نصيبنا الأسر. فاحكموا أيها السادة الكرام ، اذا كنت أسأت التصرف ، وإذا كان هؤلاء الجبناء يستحقون أن يحملوا شارة الفروسية الرفيعة هذه.

كلوسستر : في الحقيقة هذا عمل خسيس يعيب حتى الرجل العادي ، فكم بالحرى الفارس والضابط والوجه .

تالبوت : عندما أنشئ هذا الامتياز ، يا سادة ، كان فرسان حمالة الجراب من ذوي الأصل النبل والشجعان الأفاضل ومن الرجال الذين برزوا كالأبطال في ساحات الوغى لا يهابون المنايا ولا تنال منهم الشدائد ، بل يتغلبون على الصعاب والمحن. أما من لا يملك المواهب والمزايا الحميدة فلا يستحق أن يكون من الفرسان ، لأنه يلطّخ هذا الشرف السامي ، وبناءً على ذلك ، حتى إن كان أهلاً للحكم في مثل هذا الموقف ، يظل مجرداً من هذا الشرف كدجال حقير مولود في ظل سياج ويدّعي أصالة النسب العريق .

الملك هنري (لفستولف) : استمع أيها المنبؤ في قومك الى الحكم الصادر عليك

بأن ترحل حالاً من هنا ، وإن كنا اعتبرناك فارساً بدون استحقاق ،
فمن الآن وصاعداً نحن نحتقرك ونريد بعدك تحت طائلة معاقبتك
بالموت الزؤام إن خالفت مشيئتنا (يخرج فستولف) والآن يا مولاي
حامي المملكة، إقرأ هذه الرسالة التي وردتني من عمي دوق
بوركون.

كلوسستر (يقرأ الرسالة) : ماذا يريد مولاي أن يقول ؟ هل غير رأيه ؟ ما هذا التعبير
الجلاف : الى الملك ؟ هل نسي أن العاهل سيده وولي نعمته ؟ ما هذا
التوجيه الوقح ؟ هل هو دليل تقدير واحترام ؟ ماذا جرى ؟ يقرأ :
« لأسباب خاصة ، وقد صعقتني كارثة بلادي ، كما ألتني الشكوى
المريّة التي صدرت عمّن ثقل عليهم وقرظلمك ، قد أبيت مخالفتك
المشؤومة وانضويت تحت لواء شارل ملك فرنسا الشرعي » .
يا للخيانة المشينة ! هل للصداقة والمودة والايمان المغلظة أن تؤول الى
مؤامرة أخطّ وأقدر من هذه ؟

الملك هنري : ماذا جرى يا عمي ، يا مولاي بوركيبيون المقفرة ؟

كلوسستر : أجل ، لقد أصبح اللورد علوك اللود.

الملك هنري : هل هذا النبأ السيء كل ما تضمنته الرسالة ؟

كلوسستر : نعم يا مولاي . هذا كل ما هو مكتوب .

الملك هنري : اذاً ، سيذهب اللورد تالبوت ويكلمه وسيتال عقابه على هذه

السفالة . (لتالبوت) ما قولك أيها السيد ؟ هل يناسبك هذا
التدبير ؟

تالبوت : تسألني ان كان يناسبني يا ملكي الكريم ! أجل ، ولو لم تبتهني اليه
لكنك التمسست منك تكلفني بهذه المهمة الخطيرة .

الملك هنري : هيا اجمع قواتك وهاجمه ، وليعلم كم ساءتني خيائته وأية جريمة
ارتكب بحق أصحابه .

تالبوت : أنا ذاهب يا مولاي وكلّي توق الى جعلك تلمس لمس اليد تحبّط
اعدائك وتدهورهم (يخرج) .

يدخل فرنون وباسيه .

فرنون : دعني أقاتل ، أيها الملك الكريم .

باسيه : وأنا أيضاً يا مولاي ، إسمح لي بخوض المعركة الى جانبه .

يورك (مشيراً الى فرنون) : هذا أحد رجالي ، أرجوك أن تستمع اليه أيها الامير
النيل .

سومرست (مشيراً الى باسيه) : وهذا من رجالي ، ايها الحبيب هنري ، أرجوك أن
تشمله بعطفك ورعايتك .

الملك هنري : صبراً أيها اللورد . دعها يذهبا . (لفرنون وباسيه) قولاً لي ما سبب
هذا الطلب ، ولماذا ترغبان في القتال ، ومن ستقاتلان ؟

فرنون (مشيراً الى باسيه) : أنا سأنازله لأنه أهانتني .

الملك هنري : ما هي هذه الإهانة التي تشكوان منها كلاكما ؟ هل لي أن أعرفها لأرى
بماذا احييكما ؟

باسيه : بينا كنا نجتاز البحر من انكلترا الى فرنسا ، لامني هذا بكلام قاسٍ

على اختياري الوردة التي أحملها وهي بلون الاحمرار الذي صبغ
خديّ سيدي ذات يوم حين شاء أن ينكر الحقيقة في قضية حقوق
كانت موضوع نقاش حادّ بينه وبين دوق يورك. وقد أضاف إليها
بضع كلمات غير لائقة بل مهينة. فلكي أعاقبه على هذا التحقير
الغليظ ، ودفاعاً عن شرف مولاي طلبت تعزيز هذا الشرف بقوة
السلاح.

فرنون : وأنا أيضاً طلبت الأمر عينه أيها اللورد النبيل ، لأنه مهما كان بارعاً
في دفاعه المزيف الخداع ، ومهما لطف الجو بنفاقه المعهود ، أعلم يا
مولاي أنه تحداني وتهجّم على هذا الرمز النبيل (يشير الى الوردة
البيضاء التي يحملها) مدعياً أن شحوب لون هذه الوردة دليل على
انحطاط مولاي.

يورك : أولن تكفّ عن هذه الأساليب الوضيعة يا سومرست ؟

سومرست : حقك الشخصي ، يا لورد يورك ، يظهر عليك دائماً بصورة مبطنة
لا تستطيع اخفاءها.

الملك هنري : يا الهي ، ما هذا الهوس الذي يسيطر على عقول البشر؟ لأنفه
الأسباب يشهرون عداوتهم القاتلة. فيا ابناء عمي يورك
وسومرست ، هدّئا روعكما وعيشا بسلام.

يورك : لنُصِفَ حساباتنا هذه بالاحتكام الى السلاح أولاً ، ثم تفرض
جلالتك علينا السلام والوثام.

سومرست : المشاجرة لا تخصّ أحداً سوانا نحن الاثنين ، فاسمح لنا بأن نصفّيا
فيما بيننا.

يورك (يرمي بققازه في وجه خصمه) : هذا هو ردّي ، فاسمح لي بجوابك ، يا سومرست .

فرنون : كلا ، لننظّل المناوشة حيث بدأت .

باسيه : تفضّل بالقبول ، أيها اللورد الوقور .

كلوسستر : اطلب موافقتي ؟ ملعونة هي مشاجراتكما . ولتهلككما معاً ولنقض على ثرثراتكما الوقحة . تباً لكما من شريرين متبجحين . أولاً نخلجان من المجيء بهذه البذاءات والطلبات المشينة ، لتقلقا وتضايقا الملك وتضايقانا أيضاً ؟ (ليورك وسومرست) وأتما أيها اللوردان ، يحيل اليّ أنكما مخطئان بتشجيع اتهاماتهما المجرمة . والأفطع أنكما تستفيدان من خلافاتكما لثيثار الخازنات بينكما شخصياً . اسمعا جيداً ، عليكما أن تنهجا سبيلاً أجكم من هذا .

اكساتر : الأمر يؤلم جلالته . فارجوكم أيها اللوردات الكرام أن توثقوا عرى الصداقة فيما بينكم .

الملك هنري (لباسيه وفرنون) : إقتربا مني اتما اللذان تودان أن تتقاتلا . أرجو منكما إن كنتما حقاً تريدان راحة بالي أن تنسيا مشاكلكما وأسبابها . (ليورك وباسيه) وأتما أيها اللوردان تذكّرا أننا نحن هنا في فرنسا وسط شعب متقلب متمايد ، اذا عرف ما بينكما من خصام وانقسام انقلب علينا وتحدّانا بتمرد عنيد وثورة جارفة . وما عدا هذا ، فأية اهانة تلحق بكما عندما يعرف الامراء الاجانب انكما لأجل مسألة تافهة ، أتما كبيراً نبلاء الملك هنري ، تتعاديان وتساخران وترجّان

مملكة فرنسا في أسوأ المهالك . أناشدكما أن تتذكرا فتوحات والدي ،
وسني حدائتي ، كي لا نخسر ، لأسباب تافهة ، عرش فرنسا الذي
كلّفنا دماء ذكية ثمينة . دعوني أفصل في هذا الخلاف المريب .
(يتناول وردة حمراء) اذا حملت ، هذه الوردة فأنا لا أرى موجباً
للظن بأنني أميل الى سومرست أكثر من يورك . فكلاهما من
أنسابي ، أنا حامل التاج والصولجان . لعمرى ان ملك اسكتلندا
المتوّج هكذا يقنعكم ويزوّدكم بما هو أفضل من ارشاداتي
وحججي . وإلا لما جئنا لنواصل بسلام عيشنا في ظل التفاهم
والانسجام . يا ابن عمي يورك ، أنا أختارك وصياً على ولايات
فرنسا ، وأنت أيها اللورد الكريم سومرست إجمع رجالك
وفرسانك ، وكمناصرين أوفياء ومخلصين كرماء أباً عن جدّ ، سيروا
بشجاعة واتفاق ، وصّبوا جام غضبكم على رؤوس اعدائنا . فاني
أيها اللورد حامي المملكة ، بعد استراحة قصيرة ، سأعود الى مدينة
كاليه ، ومن هناك الى انكلترا حيث آمل أن يلغني قريباً نبأ الانتصار
على الملك شارل وألنسون وكل الزمرة الخائنة . (تسمع موسيقى ،
ويخرج الملك هنري وكلوستر وسومرست وونشستر وسوفولك
وباسيه) .

ورويك : أيها اللورد يورك ، يخيل اليّ أن الملك قد أصغى راضياً الى خطاي .
يورك : في الواقع ، هذا ما لا يعجبني ، لأنه يحمل شعار سومرست .
ورويك : هذه ليست سوى اهواء . فلا نلثمهم عليها . يسرني أن أؤكد لك أيها
الامير العزيز ، أنه لم يفكر بأي شر .

يورك : لو صدقته ! ... لكن الأولى بنا أن نفعل هذا الأمر ، إذ لدينا مسائل أخرى يجب أن نهتم بها . (يخرج يورك وورويك وفرنون) .

اكساتر : حسناً فعلت يا ريشار ، اذ قطعت فوراً كل صلة بهذا الموضوع . فلو اظهرت عواطفك ، لكنا اكتشفنا ، كما أخشى ، اشنع حقد وأقبح عدااء وأعنف تعصب يمكن تصوره واحتماله . مهما كانت القضية شائكة ، فالرجل الأكثر بساطة يسعه أن يبصر الخلافات المؤذية البعيدة عن المروءة وعن اتفاق رجال البلاط وتكاتفهم ، بل هذا الانقسام المفضي الى تفاقم الحزازات والى التناحر المشؤوم ، في الحقيقة لا يستبعد أن يكون الصولجان مجلبة الويلات عندما يكون في يد ولد عديم الخبرة ، ويكون شره أقدح عندما ينخر قلبه الحسد والحساسة التي تجرّ الفوضى والخراب (يخرج) .

المشهد الثاني

في فرنسا ، امام مدينة بوردو

يدخل تالبوت ومعه رجاله .

تالبوت : يا نافخ النفير إذهب الى ابواب بوردو ، واطلب ظهور القائد على الحاجز . (يسمع صوت النفير ويظهر القائد الفرنسي عند الحاجز)
ايها الضابط الذي يدعوه الانكليز جون تالبوت ، ويعتبرونه أكبر رجل مسلح في خلعة هنري ملك انكلترا الذي يقول لك : افتح ابواب المدينة واخضع له . واهتف للملكي كأنه ملكك ، قدم له

الاحترام والإجلال كأحد رعاياه الأوفياء وسنبتعد عنكم انا ورجالي الأشداء. أما اذا احتقرتم السلام الذي أعرضه عليكم فتستمطرون عليكم الغضب والوبال من أسلحتي الثلاثة المبيدة ، ألا وهي الجوع الكافر والحديد المدمر والنار المحرقة التي بطريقة عين تحوّل ابراجكم الشاخنة الى ركام ، ومنازلكم العامرة الى حطام على رؤوسكم جميعاً ، اذا رفضتم الصداقة التي اكنّها لكم .

القائد :

يا لك من يوم مشؤوم يقود الى الخراب والدمار ، وهو آفة شعبنا وقد ذاق مر الاستبداد . أنت لا تستطيع الدخول الينا إلا على اشلاء القتلى . لأننا ، كما أعلنت لك ، محصّنون ومستعدون للقتال بضراوة . فاذا صممت على الانسحاب ، فولي العهد المحاط بحماية شديدة البأس متاهب لزوجك في غياهب الهلاك على ساحة الوغى . فحولك ، أينما كنت ، تلاقي فرقاً شاكية السلاح ، واقفة لك بالمرصاد فوق الأسوار لتسفيك كاسات المنون وتسدّ عليك مسالك الحرب ، فلا تقوى على التحرك يمينا أو يساراً بدون أن تواجه الموت الزؤام الذي يحصد امثالك الجبناء ممّن يتبيّون مواجهته إلا بوجوه شاحبة وأسنان تسطك هلعاً . لقد أقسم عشرة آلاف فرنسي على صبّ قنابل مدافعهم بدون هوادة على رأس تالبوت الانكليزي . فها أنت واقف هنا تفيض حيوية وحسن نية وهمّة عالية وقناة لا تلين . وهذا أقصى تكرم أخصّك به أنا عدوك لقاء أبحادك السالفة . لأنني قبل أن يتم نزول الرمال في الساعة الزجاجيّة ، وفيما العيون البرّاقة تبصر الصحة التي تملأ بريدك قد ذوت وشجبت كأن صفرة الموت تعلو محياك . (يسمع قرع طبول بعيدة) . اسمع اسمع .

هذه الطبول تعلن وصول ولي العهد ، بل هذا نذير نهايتك وناقوس
الحزن الذي ينشأ بقرب موكب جنازة شخصك البغيض ، ونعي
موتك المريع فوراً . (ينسحب القائد وجنوده من الحاحز) .

تالبوت :

هذه ليست رواية . ها أنا أسمع العدو يقترب ، هيا بنا أيها الفرسان
الشجعان نستكشف طلائعه . تباً لهذه المحاولات المستهترة اليائسة .
اننا مطوقون من كل الجهات . قبحاً لكم ايها القطعان
الانكليزية الحائرة التي تحاصرها جماعات الفرنسيين بيقظة وإحكام .
فيا أيها الانكليز ، ان كنتم فعلاً كالغنم ، فكونوا من نوع أصيل ، لا
بهائم تخاف المطاردة ، بل كونوا كالغزلان النافرة التي ترتد بقرونها
الجارحة ، فتززع الملع في قلوب مهاجميها . على كل منا أن يدع
العدو يدفع ثمننا باهظاً من حياته قبل أن ينال منا الوطر . أجل
دعهم يدفعون ثمن هجومهم غالباً ايها الأصدقاء ، بعون الله
وشفيئنا الفارس جاورجيوس . فبحياة تالبوت ، وبحق انكلترا ،
يجب أن تظل بنود أعلامنا خافقة ومرفرفة فوق معاركنا الضارية
(يخرجون) .

المشهد الثالث

في سهل بمنطقة كسكون

يدخل يورك مع رجاله ، ثم يوافيه رسول .

هل عاد الكشافاة البواسل الذين ارسلناهم لمطاردة جيش ولي
العهد ؟

يورك :

الرسول : أجل عادوا ، يا مولاي ، وأعلنوا لنا أن ولي العهد قد توجه إلى بوردو مع قواته لمحاربة تالبوت . وفي هذه الاثناء أبصر جواسيسك جيشين أهم من جيش ولي العهد قد انضموا إليه وتابع الجميع مسيرتهم إلى بوردو .

يورك : تباً لهذا الحقيق سومرست الذي يؤخر هكذا وصول الإمدادات الموعودة ، من خيالة لفلك هذا الحصار . ان تالبوت الألمي يتظر نجدتي . لكني ذهبت ضحية خائن حقير ، وما عدت قادراً على مساندة هذا الفارس النبيل . كان الله بعونه في هذه المحنة . فاذا اخفق ، فعلى حروب فرنسا السلام .

يدخل سير ولیم لوني .

لوسي (ليورك) : يا قائد القوات الانكليزية ، هل من حاجة أمس من هذه الآن ونحن على أرض فرنسا؟ سارع إلى نجدة النبيل تالبوت الذي يحيط به حالياً حزام حديدي يهدده بالهزيمة والدمار . فإلى بوردو ، أيها اللدوق المحارب ، إلى بوردو ، يا يورك . وإلاً وداعاً يا تالبوت ، ويا فرنسا ، ويا شرف انكلترا .

يورك : يا الهي ، إن سومرست هذا الذي يعنيه كبرياءه ، يشل حركتي . لماذا لم يذهب عوضاً عن تالبوت؟ لكننا أنقذنا وجهاً باسلاً ، وتخلصنا من خائن جبان . إني أبكي غضباً وتحرقاً ، وأنا أرى أنفسنا نهلك هكذا ، بينما الخونة المارقون يرقدون هنا غير مباليين .

لوسي : هيا ارسلوا نجدة إلى هذا المولى الغائص في ضيق خانق .

يورك :

إن مات فقدنا كل شيء . وأكون أنا قد نقضت وعدي كمحارب .
نحن نبكي وفرنسا تضحك ، نحن ننهزم وخصومنا ينتصرون علينا
دائماً . وكل ذلك بسبب الخائن الحقيير سومرست .

لوسي :

تغمّد الله اذا تالبوت بفيض رحمته ، وكذلك ابته الشاب جون
الذي وافاه منذ ساعتين . بعد أن انقضت سبع سنوات بدون أن
يشاهد احدهما الآخر ، ولم يلتقيا اليوم إلا ليموتا معاً .

يورك :

يا للأسف ! كم كان فرح تالبوت عظيماً وهو يرحّب بولده ليرافقا
الى القبر . كفى . يكاد الألم يخنقني ، وأنا أفكر بهذين الصديقين
اللذين فرّق بينهما البعد طويلاً ، وهما يلتقيان ساعة دنوّ أجلهما .
وداعاً يا لوسي . ان كل ما يوسعي أن أفعله هو أن ألن المانع الذي
حال دون مساعدتي هذا الرجل . فقد ضاعت من أيدينا مدن ماين
وبلوا وبواتيه وتور بسبب اهمال سومرست وتقاعسه (يخرج) .

لوسي :

وهكذا بينما سوس الخلاف والعداء ينخر قلوب قوادنا نرى الجمود
والاستهتار يؤمّنان لأعدائنا الفتوحات المبينة وقد امتاز بها القائد
الأكبر الذي يكاد جثثانه أن يبرد ، أعني به الرجل الدائم الغلبة
هنري الخامس . وفي هذه الساعة ، كل وجودنا ومجدنا وأرضنا ،
برمّتها تتدهور الى أعماق الهاوية ويبتلعها العدم .

المشهد الرابع في سهل آخر من مقاطعة كسكون

يدخل سومرست مع قواته ، يرافقه أحد ضباط تالبوت

سومرست :

لقد فات الأوان. لم يعد بإمكانني أن أرسلهم في هذه الساعة. فيورك وتالبوت قد تهاونا في التفكير بهذه الحملة. وكل قواتنا مجتمعة يمكن تطويقها وهي خارجة من هذه المدينة المحاصرة. لأن تالبوت المستهتر قد غامر بجميع إجماعه بحماقة ، ولأن يورك أرسله ليحارب ويموت بحقارة كي يتسنى له هو أن يبرز بعد أن يغيب الموت تالبوت عن المسرح العسكري.

الضابط :

ها هو سير وليم لوسي الذي انتدبه الجيش معي لنصرة المهزومين. يدخل سير وليم لوسي.

لوسي :

من أرسلك ؟ اللورد تالبوت الذي ذهب ضحية الخيانة والعداء اللدود ؟ فقد طلب العون الذي لم يؤمن له ، فحاصره الموت وقضى عليه . وبينما الضابط النبيل تترف أعضاؤه المهشمة دماً غزيراً ويطيل المقاومة بانتظار وصول النجدة ، أنت امله الخائب ، أنت مستودع شرف انكلترا كنت واقفاً على الحياد بدافع حسدك الدنيء . لا تدعُ حقدك الشخصي يحرمه من المدد الذي يتوجب عليك تقديمه له حين عرّض هذا الوجه الكريم حياته لقوى ساحقة . ان لقيط اورليان وشارل وبوركون وآلنسون ورينيه يحيطون به ، وتالبوت يهلك بسبب تحاذلك وحقدك.

سومرست : يورك الذي دفعه الى القتال ، ويورك هو الذي يجب عليه أن يغيبه .

لوسي : ان يورك من جهته يناهض سعيك ويقسم بأنك أنت الذي تمنع عنه النجدة .

سومرست : يورك كاذب . كان عليه أن يطلب الفرسان ، وكان حصل عليهم . أنا لا احترمه كثيراً ، ولا أحفظ له أية مودة . وأعتقد بأن أهواءه المنحطة هي التي دفعته الى الامتناع عن ارسال المدد .

لوسي : ان جحود انكلترا ، لا قوة فرنسا ، هو الذي سبب التهلكة لتالبوت في إقدامه على هذا التجني . ولن يعود حياً الى انكلترا لأنه سيموت ويذهب ضحية خلافاتكما .

سومرست : هيا اذهب . سأرسل الخيالة حالاً ، وبعد ست ساعات ستصل اليه وتنجده .

لوسي : سيصل هذا العون متأخراً ، بعد أن يكون تالبوت قد أُسر أو قُتل ، لأنه لن يتمكن من الهرب متى شاء ، وهو لا يقبل ان يهرب حتى ان تتمكن من ذلك .

سومرست : لقد مات اذاً . الوداع ايها الشجاع تالبوت . بالرغم من أن مجده وشهرته تطبق الآفاق ، ستأتي مذلتة عن يدك أنت (يخرجان) .

المشهد الخامس في معسكر الانكليز امام بوردو

يدخل تالبوت وابنه جون

تالبوت : لقد أرسلت في طلبك يا بني لأعلمك فنون الحرب حتى يظل اسم تالبوت حياً مزدهراً في شخصك بعد أن يحف عودي وأصبح عاجزاً عن الاتيان بأية بطولة ، مقعداً على كرسي الشيخوخة والهزال . ولكن يا لسخرية القدر ! ها قد وصلت لتشارك في وليمة الموت وسط الاخطار المحيقة بنا من كل جانب . لذا يا ولدي الحبيب ، أطلب منك أن تمتطي انشطجيادي وأن تبحث عن طريق للهرب فوراً . هيا لا تتأخر .

جون : أولستُ أدعى تالبوت ؟ أولستُ ولدك ؟ فكيف أهرب ؟ لو كنت تحب أمي لما لوثت اسمها بالعار وحسبني لقيطاً جباناً ، لأن من يحمل اسم تالبوت يبقى في قلب المعركة ولا يهرب كالرعديد .
تالبوت : أهرب ، واثار لموتي ، اذا أنا قُلت .

جون : من يهرب هكذا يظل دائماً في المؤخرة .

تالبوت : اذا بقينا كلانا هلكنا حتماً معاً .

جون : اذاً دعني أبقى هنا ، وانجُ أنت بنفسك . فلأن خسارتك ستكون هائلة يجب عليك أن تأخذ حذرک وتحتاط لكل طارئ . أنا لا يعرقني أحد ، فلن يكون لموتي أي صدى ، ولن يفاخر الفرنسيون

بالفضاء عليّ بل بموتك أنت . فبغيابك تضيع كل آمالنا . وهربك
 لن يبق على الأجداد التي اكتسبتها بشجاعتك ، لن سأفقد أنا أيضاً
 شرفي ، وإن لم تبدر مني بعد أية مأثرة . سيؤكد الجميع أنك هربت
 لتأتي بالعظائم ، أما أنا اذا ازعنت لألحاحك سيؤكدون أن هربي
 ناجم عن الخوف . ان آمالي هنا كبيرة بالدفاع عن حياتنا وشرفنا ،
 وأنا أفضل ألف مرة أن أبذل دمي هنا ولا أظل على قيد الحياة
 تحت نير الذل والهوان .

تالبوت : أنت تريد اذاً دفن كل آمال والدتك هنا في ضريح واحد .

جون : أجل هذا أولى عندي من تلويت شرف أمي .

تالبوت : برضاي عليك ، أليس منك أن تذهب .

جون : سأقاتل ، ولن أهرب أمام أعدائي .

تالبوت : ستصون سمعة أبلك ، إن أنت ابتعدت عن هذا الميدان .

جون : لن أجنّي هكذا سوى العار والذلّ .

تالبوت : أنت لم تكتسب بعد أي مجد ، وليس لديك ما تفقده .

جون : يكفيني مجد اسمك . فهل عليّ أن ألطّخه بعار هربي ؟

تالبوت : اوامر والدك تغسل هذه اللطخة عنك .

جون : اذا قتلتُ ، أني لك أن تشهد بأنّي أعطتك ، واذا أزمعنا أن نموت

كلانا حتماً فعلينا أن نهرب معاً .

تالبوت : وهكذا ادع رفاقي يقاتلون بدوني ويموتون . لن أرضى أبداً أن ألوث

شيتي بهذا العار .

جون : هل تريد اذاً أن الطّخّ شبابي بهذه الدناءة ؟ لم يعد بامكاني أن أنسلخ عنك وأنت ذاتك لا تستطيع أن تنشطر الى اثنين. فابق أو اذهب . افعل ما يحلو لك ، وأنا أصنع ما أنت فاعل ، ولا أريد أن أحيا اذا كان أبي سيموت .

تالبوت : أستأذنك اذاً يا بنيّ العزيز ، فأنت ولدت لامعاً وخلقت لتفارق الحياة في هذا النهار بالذات . تعال لنحارب سوّة ونموت جنباً الى جنب فتعاق روحانا ونغادر أرض فرنسا معاً نحو السماء دار الخلود . (يخرجان) .

المشهد السادس

في ساحة القتال

تسمع موسيقى استفار ثم مناوشات . يخلّص تالبوت ابنه المحاصر .

تالبوت : يا الهي أعنّا وأعن جنودنا على القتال . لقد أخلف الوصي بوعه لي وأسلمني الى غضبة سيوف فرنسا . أين ولدي جون ؟ قف ، يا بنيّ وتنفس الصعداء . لقد منحتك الحياة وأنقذتك الآن من الهلاك .

جون : أنا أقدر أنك كنت لي أباً مرتين ، وأني أصبحت ابنك مرتين . لقد أوشكت أن أفقد حياتي عندما أنقذتني بسيفك المرفف الحدين . ورغم كل ما كان يحيط بنا من مخاطر ، منحتني هكذا ببسالتك حياة جديدة .

تالبوت : عندما لمع سيفك بشرارة مستعدة من بريق خوذة ولي العهد ، تاق قلب والدك الى تأمين النصر لك ، لتكون دائماً مرفوع الرأس عالي الجين . حينئذٍ تتعش شيتي بحماس شبابك واندفاعك الى القتال ،

فيتقهقر آلسون اورليان وبوركون ، وتسلم انت من غضب فرنسا .
وكذلك لقيط اورليان كاد يهرق دمك يا ولدي . واذا بياكورة
طعناتك النجلاء تنزل عليه كالصواعق ، وتنفض على رأسه بغتة .
واثناء تبادل الضربات سفكت دمه الحقيق ، ثم قلت له بازدراء : ها
هو دمك النجس الفاسد الخسيس قد سال بدلاً عن دمي النقي النبيل ودم
ولدي الباسل الفخور بانتسابه الى أسرة تالبوت العريقة . وفي
هذه اللحظة كدت اسدّد اليه الطعنة القاضية عندما وصلت النجدة
وأنقذت حياته . تكلم يا حبيب والدك ، ألسن مرهقاً ، يا جون؟
كيف حالك الآن؟ هل تريد مغادرة ساحة القتال والابتعاد عن
الهلاك ، الآن وقد أصبحت أهلاً للفروسية؟ فتثار لموتي اذا حان
أجلي ، ما دمت لا أجد من يعوّض عن عضلاتك المقتولة . ان
تعريض حياتي للخطر في مركب غير مأمون هو هوس غير مشكور .
فاذا لم ينل مني الفرنسيون اليوم مأرباً سأرزح غداً تحت وقر تقدّمي
في السن . لن يربح أحد بقتلي ، وبقياتي هنا لن يطيل عمري سوى
يوم واحد . أما موتك فيقضي على أمك وعلى اسمي وعلى مجد
انكلترا . فاذا بقيت ، تغامر بكل ما لدينا وأكثر ، بينما جميع ذلك
ينجو من الهلاك اذا هربت أنت .

جون :

ان سيف اورليان لم يجرّحني ، بينما كلامك قد ادمى فؤادي . وقبل
أن نمرّغ كل هذه المآثر بأحوال الحساسة ، قبل أن نصحّي بهذا المجد
الباهر لانقاذ حياة هزيلة ، وقبل أن يفارق تالبوت الشاب أباه
المسن ليغنم نفسه ، أتمنى أن يسقط الحصان الجبان الذي سيحملني
ويموت . هل كتب عليّ أن أكون أحقر من أي فلاح فرنسي ،

فيقتلني الحزن والأسف. لا ، لا . بحق الأبحاد التي اكتسبتها ، اذا هربت لن استحق أبداً أن أدعى ابن تالبوت . فلا تحدثني أبداً عن الحرب لأني لن أطيعك . فان ابن تالبوت قد صمّم على أن يموت عند أقدام أبيه تالبوت المقاتل الشجاع الصنديد .

تالبوت :

اتبع اذاً خطي والدك في هذه المغامرة اليائسة ، يا ابني الحبيب ، ان حياتك غالية عندي . فاذا شئت ان تحارب ، قاتل الى جانب أبيك ، وبعد أن تثبت للجميع جدارتنا وبسالتنا ، يمكننا أن نموت معاً (يخرجان) .

المشهد السابع

في مكان آخر من ساحة القتال

تسمع موسيقى استنفار . تجري مناوشات . يدخل تالبوت جريئاً يسانده احد الخدم .

تالبوت :

أين حياتي الثانية ؟ ان حياتي أنا قد انتهت . اين تالبوت الشاب ؟ أين جون الباسل ؟ أيها الموت الظافر في ظل الأسر المشين ، ان شجاعة تالبوت الشاب تجعلني ابتسم ، لأنه عندما أبصرني جاثياً على ركبتني من شدة الألم شهر فوق رأسي سيفه الذي يقطر دماً ، ونظير الأسد الجائع ضاعف غضبه وطعناته القاتلة . لكن حالما رأى المدافع عني أنه وحيد سهر على نزاعي بلون أن يواصل كرّه وفرّه ،

إذ انتابه دوار ملوّخ ، راح يحوم حولي بالرغم من كثافة صفوف
الفرنسيين المحيطين بي. وفي بركة الدم هذه أغرق ولدي حماسه
الثائر ، فخرّ صريع شجاعته واقدامه ولوى عنقه كالزهرة النضرة
المتباهية وقد لفحتها حرارة الرياح الخمسينية المحرقة .

بدخل الجنود حاملين جثمان جون تالبوت .

الخادم (لتالبوت) : يا عزيزي اللورد ، ها هو ابنك الشهيد .

تالبوت : تباً لك ايها الموت القاسي الغادر ، لماذا وصمتنا بطابع بطشك
وطغيانك؟ مستخلص قريباً من نير استبدادك. فقد اتحدنا بروابط
المجد الابدي وشققنا بأجنحتك عنان القضاء الأزرق الفسيح ،
وستنجدو كلانا ، أنا وابني ، من ربة العدم والنسيان ، اذ ندخل
عالم الخلود من بابه العسير على مر الدهور . أنت يا من يجرحك
جابهت الموت الفظيع ، كَلِّم اباك قبل أن يقضي نجه . تجلّد اجرع
كأس الحمام بشمم وإياء ، اقترض أنه أحد أعدائك الفرنسيين ، يا
ولدي المسكين . يحيل اليّ أن ابني يتسم ويصرخ متخدياً : اذا كان
الموت فرنسياً ، سيموت في هذا النهار بالذات . اقتربوا ايها الرجال
ومددوه هنا على ذراع أبيه . لم يعد قلبي قادراً على تحمّل مثل هذه
المأساة . وداعاً ايها الجنود . لقد حصلت في هذه اللحظة على ما
أردت امتلاكه الآن وقد أصبحت يداي نعشاً لشباب ولدي
الحبيب (يخرج)

تُسمع موسيقى . يخرج الجنود والخدم تاركين الجثثتين على الأرض .
يدخل شارل وآلنسون وبوركون واللقيط والعذراء مع قواتها .

شارل : لو أرسل يورك وسومرست نجدةً لكان يومنا هذا اصطبغ بلون الدم .

اللقيط : بغضب مهروس ارتوى سيف تالبوت الشاب القليل الخبرة من دماء الفرنسيين .

العذراء : لقد صادفته مرة وقلت له : ايها الشاب البتول ستغلبك عذراء . لكنه بازدرء مباغت اجابني : تالبوت الشاب لم يولد ليكون ضحية حيزبون . قال هذا وانقضَّ على الجيش الفرنسي ، وتركني وشأني بفخر كأني عدوة حقيرة .

بوركون : طبعاً كان نصيبه أن يصبح فارساً نبيلاً . لكنه دُفن بين ذراعي ابيه الذي جرَّ عليه البؤس والشقاء .

اللقيط : تعالوا نحطّم عظامه ونقطع اشلاءه ارباً ارباً . فقد كانت حياته مجد انكلترا ودهشة فرنسا كلها .

شارل : لا ، لا . لا تفعلوا ذلك لأنه غير لائق بكم . لا تهينوا الاموات الذين غادرونا بعد أن كانوا معنا احياء مناضلين .

يدخل سير وليم لوسي يحيط به بعض رجاله ، ويتقدمه حارس فرنسي .

لوسي : ايها الحارس الأمين ، أوصلني الى خيمة ولي العهد كي أعرف لمن يعود فضل انتصارنا في هذا النهار الميمون .

شارل : ما غاية مهمتك في تقديم الخضوع والولاء ؟

لوسي : الخضوع ، يا مولاي ولي العهد ، كلمة فرنسية محضة . اما نحن

المحاربون الانكليز فلا نعرف لها معنى . لقد جئت لأطلع على عدد
اسرانا لديكم والتعرف على موتانا .

شارل : هل تتكلم عن اسرى ؟ نحن سجتنا ججيم . لكن قل لي عمّن
تبحث ؟

لومي : عن جبار ساحات الوغى اللورد تالبوت الشجاع كونت شروز بري
الذي ما خُلِقَ إلا للانتصار في الحروب ، كونت واشفورد
وواترورد وفالانس ، لورد تالبوت وكودريك وأرشفيلد ، لورد
سترانج بلاكمير ، لورد فردون ألتون ، لورد كرومويل وينفيلد ،
لورد فورنقال شفيلد المثلث الظفر لورد فلكون بريدج الفارس
المغوار الحاصل على رمز الجزّة الذهبية ، المارشال في جيش هنري
السادس ملك فرنسا .

العذراء : هذا اسلوب غريب في النعوت الخيالية . ان من يملك خمسين دولة
لا يكتب بمثل هذا الاسلوب السخيف . أمّا من تجود عليه بكل
هذه الألقاب والنعوت فهي هو ملقى عند اقدامنا وقد أكل لحمه
الذباب .

لومي : لقد قتل تالبوت الذي كان يعتبر وحده ضربة فرنسا ، هذا الفرد
البارز في مخيلتكم فقط . لو كانت حدقتا عينيّ قديفتين لانطلقنا
لنشويه محياكم . كم أود أن أرد هؤلاء الأموات الى الحياة ، كي
يرتجف أهالي فرنسا من الهلع . لو بقي ظله فيما بينكم لكان أشجعكم
اصطكت ركبته من الفرع . أعطوني جسديهما لأحملهما وأدفنهما كما
تستحق أجداهما .

العذراء : يحيل الي أن هذا الوقح هو شبح تالبوت العجوز الغبي الذي تتكلم عنه باعتزاز . هيا خذ هاتين الجنتين التنتين ، إذ لو تركناهما هنا لافسدتا اجواءنا ولوثتا الهواء الذي نتنشقه .

شارل (لوسي) : عجل في أخذ هاتين الجنتين من هنا .

لوسي : سأنقلهما . انما من رمادهما سينبتق طائر الفينيق الذي سترتجف منه كل فرنسا هلعاً .

شارل : المهم أن نتخلص منهما . افعل بهما ما يحلو لك ، الآن وقد اسعدنا الحظ باحتلال باريس . كل شيء أصبح يخصنا بعد مقتل الطاغية تالبوت .



الفصل الخامس

المشهد الأول

قصر الملك في لندن

يدخل الملك هنري وكلوستر واكساتر

الملك هنري : هل قرأت رسائل البابا والامبراطور والكونت ارمانياك؟
كلوستر : أجل يا مولاي ، وهذا مفادها : إلحاح من سيادتك بتواضع لعقد
السلم بين مملكتي فرنسا وانكلترا .

الملك هنري : ما رأيك في هذا الطلب؟
كلوستر : انا موافق يا مولاي ، لأنه الوسيلة الوحيدة لحقن الدماء واستتباب
الأمن في كلا البلدين .

الملك هنري : اجل يا عمي العزيز . لقد فكرت دائماً في ذلك . لأن استمرار العداء
عمل بربري غير طبيعي ، اذ لا داعي لسفك الدماء بين شعبين
متجاورين .

كلوستر : فوق ذلك ، يا مولاي ، لتوطيد هذه العلاقة ودعم الصلح الذي
يهمّ شارل صاحب السلطة في فرنسا ، فان هذا الأخير يعرض
عليك الزواج من ابنته الوحيدة التي تملك بائنة ضخمة وثمينة .

الملك هنري : انت تقترح عليّ الزواج يا عمي ! لكني لا أزال فتياً ودراسني وكبي
انسب لي الآن من مناجاة اية حبيبة . على كل حال ليدخل
السفراء ، فيتلقّى كل منهم الجواب الذي يرضيه ، ولن أرفض أي
فخر يضاف الى اجماد بلادتي . فعلي بركة الله .
يدخل جبر وسفيران ثم ونشستر بحلة كردينال .

اكساتر : ما هذا ؟ اللورد ونشستر جالس الى جانب الكردينال ؟ هل نرى
تحقيق نبوءة هنري الخامس حين قال : اذا أصبح هذا الرجل يوماً
كردينالاً فان قبعته ستعادل تاج الملك .

الملك هنري : سادتي السفراء ، لقد تفحصنا طلبات كل منكم وناقشناها ووجدنا
أن عرضكم صالح بقدر ما هو معقول . لذلك قررت أن أصدر
شروط الصلح على اساس الصداقة ، ولن أتأخر في ارسالها مع
اللورد ونشستر الى فرنسا .

كلوستستر (لأحد السفراء) : اما بما يخص اقتراح سبيلك ، فقد افهمت سموه مفصلاً
ما يقتضي عمله ، حتى أنه اعجب بفضائل العروس وجالها وما
ستحمله اليه من بائنة فخمة ، وبات ينوي ان يجعل منها ملكة
انكلترا .

الملك هنري (للسفير) : وبرهاناً على رضائي ، قدّم له هذه الجوهرة كعربون مودتي
(لكلوستستر) وبناءً على ذلك شكّل موكب الحرس ايها اللورد
حامي المملكة لترافق السفير بأمان الى مرفأً دوفر . وهناك يركب
السفينة لترجعه الى بلاده (يخرج الملك هنري وحاشيته ، ثم
كلوستستر واكساتر والسفراء) .

ونشستر : قف ايها الحبر الجليل . ستنال قبل رحيلك مبلغ المال الذي وعدتك به لقاء الشعائر الخطيرة التي خلعتها عليّ .

الحبر : أنا لا أنتظر انعام جلالتك .

ونشستر (على حدة) : والآن أرجو أن لا يقدّم ونشستر خضوعه ، وان لا يستسلم الى نبيل أكثر منه شموخاً . يا همفري كلوسستر ستري بالرغم من عراقه نسبك وسعة نفوذك ان الأسقف لن يدعك تتسلط عليه . سأجعلك تنحني امامي وتجنّو على ركبتك ، أو أقلب هذه البلاد بالخلافات والدسائس رأساً على عقب (ينخرجون) .

المشهد الثاني

في فرنسا ، وسط سهل منطقة أنجو

يدخل شارل وبوركون وآلنسون والعذراء والفِرَق الراجعة .

شارل : هذه الأنباء ، يا سادة ، يجب أن ترفع معنوياتنا المنهارة . يقال ان الباريسيين الاقوياء قد ثاروا وعادوا الى حزب فرنسا الحربي .

آلنسون : إزحف على باريس ، يا شارل فرنسا بصفتك الملكية ولا تدع جيشك يستولي عليه الجمود .

العذراء : ليكن السلام حليفك ، اذا عادوا الينا . وإلا ليحلّ الدمار في قصورهم .

يدخل أحد الكشافين .

الكشاف : نتمنى النجاح لقائدنا البطل الالهام والازدهار لأنصاره الشجعان .

شارل : أسألك أن تقول لي ما هي توجيهات كشافينا ؟

الكشاف : الجيش الانكليزي مقسوم الى شطرين ، وقد جُمع الآن في وحدة متلاحمة لشن هجوم كاسح عليكم في الحال .

شارل : هذا تنبيه مفاجيء ، يا سادتي . لكننا على أتم الأبهة لمواجهة كل طارىء .

بوركون : انا متكل على غياب ظلّ تالبوت عن هذا المكان . فالآن وقد رحل عن هذا العالم ، يا مولاي ، لا أرى من داع للخوف .

العدراء : من كل الاحساسات الخبيثة ، الخوف هو أبشعها . أصدر اوامرك ، للجيش كي يتقدم ويحرز النصر الذي أصبح في متناول يدك يا شارل ، مهما أرغى وأزبد هنري ، ومهما أسف الكون بأجمعه لهذه الحقيقة الأكيدة .

شارل : الى الأمام اذاً ، يا سادة ، وليكن النصر حليف فرنسا العزيزة (يخرجون) .

المشهد الثالث

امام مدينة أنجييه

تسمع موسيقى انذار تليها حركة جنود ، وتدخل العدراء .

العدراء : الوصي يتصر والفرنسيون يهربون . فهلّم بنا الى نجدهم بعضا

سحرية وتعاويز فعالة. وأنت ايها الارواح المختارة تنهينني وتشيرين الى الأمور التي ستحدث قريباً. (يسمع قصص رعد) ايها الخدام الامناء ، وانصار ملك الشمال القادر ، إظهروا لي وساعدوني في هجومي .

يدخل بعض الشياطين

لدى ظهوركم هذا العاجل ، أعترف بمبادرتكم المألوفة . والآن أينها الأرواح المأنوسة التي الجأ اليها من بين جميع القوات الكامنة في أرجاء العالم الأسفل ، ساعدوني هذه المرة أيضاً ، وأمنوا لي انتصار فرنسا . (يتجول الشياطين صامتين) . لا تتركوني حائرة بصمتكم الطويل . لقد تعودتم أن تغنّوا بدمائي ، وأنا مستعدة لأن أقطع أحد أعضائي واعطيكم اياه مقابل خدمات جديدة ، بشرط أن تتنازلوا وتساعدوني مرة أخرى . (يحنون رؤوسهم) . لا أمل بالنجدة . سأجعل جسمي مكافأة لكم اذا ليّتم طلبي . (يهزون رؤوسهم) . ماذا تعنون ؟ هل ان تضحيتي بجسمي وبدمي لا تستحق الحصول على مساعدتكم المعتادة ؟ اذاً خلّوا نفسي ، أجل ، وجسمي أيضاً وكل ما أملك لأن هذا أفضل من أن تنصّر انكلترا على فرنسا . (يغيبون) . ها هم يتركونني وحيدة . فهل حان اذاً زمن سقوط فرنسا وفقدانها كل عزها وسعادتها ، ودحرجة رأسها في أحضان انكلترا ؟ ان نضرّعائي السابقة أضحت هزيلة فقوي الجحيم عليها ولم اجرؤ على منازلته . والآن أرى مجد فرنسا ممرّغاً في الوحل (تخرج) .

تسمع موسيقى استنفار . يدخل الفرنسيون والانكليز وهم يتقاتلون والعذراء
ويورك يتماكان بالأيدي فتوسر العذراء ويهرب الفرنسيون .

يا ابنة فرنسا ، اعتقد بأنك وقعت أخيراً في قبضتي . والآن انقذي
نفسك بعصاك السحرية ، وحاولي أن تستردّي مني حريتك . هذه
كبة نادرة لا تليق بدهاء الشياطين . انظروا الى هذه المشعوذة كيف
تقطّب حاجبها أنها ساحرة تريد أن تمسخني على هواها .

العذراء : لا سبيل الى مسخك وجعلك اقبح مما أنت عليه .

يورك : ان ولي العهد شارل شاب لطيف وليس من أحد غيره معجب ببريق
عينيك .

العذراء : لعن الله شارل ، ولعنك أنت أيضاً . أتمنى لكما أن تظالكا أيدي
الشر المدمرة وأتما في سريركما .

يورك : يا لك من ساحرة بغيضة ومجدّقة سليطة اللسان تستحقين قطع
لسانك .

العذراء : دعني أصبّ عليك جام غضبي ولعتي .

يورك : صيّها على فسقك ، يا فاجرة ، عندما تحترقين قرياً فوق كومة الحطب
المتأججة جمرأ (يخرجون) .

سمع موسيقى . يدخل سوفولك ممسكاً بيد السيدة مرغريت .

سوفولك : أيّا كنت ، تظلين سجينتي (يتفحصها) . ما أروع جمالك الجذاب .
لا تخشي أمراً ولا تهربي . فلن أملك بأذى . دعيني أقبل هذه
الأنامل الناعمة بخشوع وهدهوء ، واطركني أضع يدي على خصرك

التحليل. (يرسل اليها قبلة على رؤوس أصابع يده ، ويطوق خصرها بذراعه). من أنت؟ أنا معجب جداً بشخصك الكريم.

مرغريت : اسمي مرغريت. وأنا ابنة ملك نابولي.

سوفولك : انا كونت سوفولك. لا تخافي ، يا آية الآيات. لن ادعك تفلتين من يدي. وكما تحتضن البجعة صغارها تحت جناحيها الدافئين هكذا أود أن أحتضنك أنا ، ابنتا الحسنة الفاضلة. لكن اذا كان هذا الحبس يغيظك ، سأطلق حريتك واعتبرك صديقتي العزيزة (تدير ظهرها كأنها تريد الذهاب). أرجوك أن تبقي هنا ، لأنني لا أتحمل غيابك. ان يدي تود انقاذك. اما قلبي فيمانع للاحتفاظ بك. ان الشمس التي ترسل اشعتها على صفحة ماء الينبوع الضافي كالبثور ليست سوى انعكاس لمعان عينيك. هكذا يترأى بهاؤك لناظري ، وأتوق الى مغازلتك. لكن لساني لا يطاوعني. أريد أن أصف بهاء جمالك ، وسأطلب قلماً وحبراً لكي أسطر افكاري على الورق. تباً لصمتي ! أولاً أحسن الكلام؟ أولم اصبح في الحقيقة اسير لحظك الفتان ، أنت ، يا أميرة الحسن التي يربط الحياء لسانك وتسحر انظارك جوارح قلبي وأصدق مشاعري؟

مرغريت : قل لي يا كونت سوفولك ، إن كان هذا اسمك ، ما هي القدية التي يتحتم علي دفعها لكي أغادر هذا المكان بصفتي سجينتك؟

سوفولك (على حدة) : كيف يمكنني أن أذل صدّها وأن أبين لها عمق حبي وأعرف إن كانت هي أيضاً تهواني؟

مرغريت : لماذا لا نجيبني؟ ما هي الجزية التي يجب علي أن أدفعها لك؟

سوفولك (على حدة) : هي جميلة ، ولا بدّ لي من مغازلتها ، وهي امرأة ولا بدّ لي من امتلاكها .

مرغريت : اتريد أن تقبل منّي الفدية أم لا ؟

سوفولك (على حدة) : ما أغباني ! عليّ أن أتذكر أن لي زوجة . فكيف تصبح مرغريت عشيقتي ؟

مرغريت : الأولى بي أن أدعه وشأنه ، لأنه لا يريد أن يفهم ما أسأله .

سوفولك : كلامها يفسد وصولي اليها ويغرقني في بحر الشقاء والأشواق .

مرغريت : هو يتكلم بدون ادراك ، ويبدو لي كأنه مهووس .

سوفولك : مع ذلك يمكنني أن أتساهل معها قليلاً .

مرغريت : أفضل أن تجيب على سؤالي .

سوفولك (على حدة) : لا بدّ لي من الحصول على هذه السيدة المدعوة مرغريت .

لكن لمن ؟ أجل ، للمليكي . (بصوت مرتفع) . خطّتي فاشلة .

مرغريت : يتحدث عن خطة . فلا بدّ من أن يكون متأمراً .

سوفولك (على حدة) : لكن هواي قد يرتضي ذلك ويعود السلام الى المملكتين انما

هناك عقبة كأداء ، لأن أباهما ، وإن يكن ملك نابولي ودوق أنجو

ودوق ماين ، هو فقير وعنيد لا يتنازل الى هذا التحالف .

مرغريت : أنصتُ الي ايها الضابط . هل لك أذنان سامعتان ؟

سوفولك (على حدة) : بالرغم من قلة الاكتراث أرى أن هنري لا يزال شاباً ، ولا

بد له من الازعان . (بصوت مرتفع) لديّ سرّ أود أن أبوح لك

به ، يا سيدتي .

مرغريت (على حدة) : لا بأس عليّ أن أكون أسيرته . يظهر عليه أنه فارس لبق ظريف ، ولن يقلل من احترامي على كل حال .

سوفولك : أرجوك أن تتنازلي وتصغي الى ما سأقوله لك .

مرغريت (على حدة) : هل سينقلني الفرنسيون ؟ في هذه الحالة لا حاجة الى الاستنجاد بشهامته .

سوفولك : سيدتي العزيزة ، أرجوك أن تعيرني سمعك في قضية ...

مرغريت (على حدة) : لا بأس ، كثيرات غيري كنّ أسيرات نظيري .

سوفولك : بماذا تتمنين هكذا ، يا سيدتي ؟

مرغريت : ساحني على هذا الالتباس .

سوفولك : قولي لي ، أيتها الاميرة اللطيفة : ألا تجدين أسرك لديّ مسلياً ومفرحاً ، اذا قبلت أن تصبحي ملكة ؟

مرغريت : أعتقد بأن الملكة في الأسر هي أتعس وأشقى من أي عبد في أذلّ عبودية .. ألا أعلم أن الامراء يمتازون بحريتهم أولاً .

سوفولك : ستكونين حرّة ، اذا كان ملك انكلترا ، البلد السعيد ، حرّاً .

مرغريت : ماذا تفيدني حريته ؟

سوفولك : اتعهد لك بأن أجعل منك زوجة هنري ، وأن أضع صولجاناً من الذهب في يدك وتاجاً مرصعاً بالأحجار الكريمة على رأسك ، اذا رضيت بأن تصبحي ...

مرغريت : أصبح ماذا ؟

- سوفولك : عشيقتي .
- مرغريت : انا لا أستحق أن أكون زوجة هنري .
- سوفولك : لا ، يا سيدتي الفاتنة ، انا الذي لا استحق أن أتغزل بسيدة رائعة
مثلك لأجعل منها زوجته بدون أن ينوبني نصيب من هذا
الاختيار . فما قولك يا مولائي ؟ هل توافقين ؟
- مرغريت : اذا قبل ابي بذلك ، فأنا لا مانع لدي .
- سوفولك : اذاً علينا أن نرسل ضباطنا وأعلامنا امامنا . ثم عند اسوار قصر
والدك نطلب مفاوضته بواسطة مندوبينا . (تتقدم الفرق
الانكليزية) .
- تسمع موسيقى تشريفية ، ويظهر رينيه على الحاجز .
- سوفولك : اسمع ، يا رينيه . ان ابتك اسيرة .
- رينيه : اسيرة من ؟
- سوفولك : اسيرتي أنا .
- رينيه : وما العمل يا سوفولك ؟ انا جندي ، ولا يسعني البكاء ولا التملل .
- سوفولك : هناك حلّ ، يا مولاي ، إقبل للاحتفاظ بعظمتك ، بأن تزوج الملك
ابنتك التي أقنعتها ورضيت به بصعوبة ، فيؤمن هذا الأسر الحلو
حرية ملكية لابنتك .
- رينيه : هل تتكلم جدياً ، يا سوفولك ؟
- سوفولك : الحسنة مرغريت تعلم بأن سوفولك لا يحايي ولا يراوغ ولا يكذب .
- رينيه : نظراً الى شرفك الرفيع ، أصدقك واسعى لتلبية طلبك النبيل .

- سوفولك : وأنا أنتظر مجيئك (رينيه يغادر الحاجز).
- تسمع موسيقى ، ويظهر ريبه عند أسفل السور .
- رينيه : أهلاً وسهلاً ومرحباً بك في ديارنا ، ايها الكونت الشجاع . يمكنك أن تتصرف في مقاطعة أنجو كما يخلو لسموك .
- سوفولك : شكراً يا رينيه ، يا أيها الأب السعيد بهذه الابنة الحميلة التي خلقت لتكون شريكة حياة ملك . ما هو ردك على طلبي ؟
- رينيه : بما أنك تنازلت الى مغازلة ابنتي لتجعل منها أميرة زوجة ملك هو سيد خطير ، أرجو أن تدعني أحكم مقاطعتي انجو وماين . بعيداً عن كل الضغوط وكل ويلات الحرب . وفي هذه الحالة تصبح ابنتي قريبة هنري ، اذا شاء هو ذلك .
- سوفولك : ان فديتي هي أن أردّ اليها حريتها . اما المقاطعتان المذكورتان فاني اتعهد لك بأن تحفظ بهما بكل أمان واطمئنان .
- رينيه : اذاً باسم جلاله الملك هنري ، وبصفتك ممثلاً لهذا العاهل الكريم ، أرجوك أن تقبل يد ابنتي لتكون زوجته الوفية .
- سوفولك : يا رينيه ، أمير فرنسا ، أقدم لك كل احترامي ، وأنا أخدم مصالح مليكي (على حدة) على كل حال يسرني أن أقوم بهذه المهمة بكل فخر واعتزاز . (بصوت عالٍ) انا عائد اذاً الى انكلترا بهذا النبأ السار ، لأستعجل هذا الحدث السعيد . فوداعاً يا رينيه . ضع هذه الجوهرة النادرة في مكان امين داخل قصرك الذهبي الذي يليق بها .
- رينيه : اعانقك كما أعانق الملك هنري ، لو كان حاضراً ها هنا .

مرغريت : وداعاً ، يا مولاي . أقدم لك أطيب تمنياتي وثنائي واحترامي
(تبتعد) .

سوفولك : وداعاً يا سيدتي العزيزة . اسمعي ، يا مرغريت . ألا توجّهين كلمة
مجاملة للميكى ؟

مرغريت : أحمل اليه من قبلي أجمل تمنيات تليق بصبيبة عنراء تضع نفسها في
خدمته .

سوفولك : كلامك اللائق المتواضع في محله . انما ، يا سيدتي ، اسمحي لي أن
أسألك : أوليس لديك من بادرة حب نحو جلالته ؟

مرغريت : هذه قبلة لك ، لأنني لا أجسر أن أوجّه اليه بادرة زهيدة كهذه .
(يخرج رينيه وتتبعه مرغريت) .

سوفولك : لماذا هذه ليست لي ؟ قف يا سوفولك . عليك أن لا تضيق في هذه
المتاهة ، لأن مسوخاً قبيحة تختبئ فيها وتضمّر الشر والخيانة . عليّ
أن أقنع هنري بما أصفه له من جمالها ومزاياها الفريدة . تذكر فضائل
مرغريت السامية وبهاء طلعتها ومواهبها وما تتقنه من الفنون
الجميلة ، وتحيل صورتها الفاتنة المعكوسة على صفحة الماء ، حتى
إذا مثلت ، بين يدي هنري ، تتمكن من استرعاء كل انتباهه
وحصر كل أفكاره فيها . (يخرج) .

المشهد الرابع

في معسكر دوق يورك ضمن مقاطعة انجو

يدخل يورك وورويك وغيرهما.

- يورك : اليّ بهذه الساحرة المشعوذة ، المحكوم عليها بالموت حرقاً
تدخل العذراء يحيط بها الحرس الى جانبها أحد الرعاة .
- الراعي : آه ! يا جان ، هذه هي الضربة القاضية التي تصيب قلب والدك .
لقد بحثت عنك في كل البلاد ، وعندما حظيت بشخصك الحبيب
تحتم عليّ أن أشاهد موتك الأليم . آه ! يا ابنتي العزيزة جان ،
سأموت معك .
- العذراء : أيها المنكود الحظ ، انا من عائلة نبيلة ، وأنت لست أبي ولا قربي .
- الراعي : كفى ، كفى . لا تتكذّر ، يا مولاي . كل الناس يعرفون انها ابنتي ،
وامها التي لا تزال على قيد الحياة تؤكد ذلك أيضاً .
- ورويك (للعذراء) : يا جاحدة ، تريدان أن تنكري أهلك !
- يورك : هذا دليل على خساسة حياتها المجرمة المنحطة . ان موتها أولى عقاب
على جريرتها .
- الراعي : تباً لك ، يا جان ! أنت هكذا عنيدة ؟ الله يعلم أنك من لحمي
ودمي وقد اجريت من عيني سبلاً من الدموع . أسألك أن لا
تنكريني ، يا عزيزتي جان .

العدراء : اليك عني ، أيها الفلاح الدنيء . أنت تتسبب اليّ ، أيها الرجل ،
لتحطّ من قدر اسرّي وعراقة محنّدي .

الراعي : لا شك في أنني شرفّ رجل الدين الذي عقد زفاني الى أمك .
اركعي وتلقّي بركتي ، يا ابنتي الكريمة . الا تريدان الازعان للواقع ؟
فاذاً ملعونة ساعة ولادتك . ليت اللبن الذي ارضعتك اياه امك
ينقلب الى سمّ قاتل . وحين ترعين خرافي في الحقول ، كم أتمنى أن
يفترسك ذئب جائع . أنت تنكرين والدك ، أيها الفتاة الجاحدة .
احرقوها ، احرقوها . فالتار أولى بها ان تلتهمها وتريجني من
عقوقها . (يخرج) .

يورك : خذوها . كفاها أن تعيش في الأرض فساداً .

العدراء : دعني أؤكد لك أولاً أنّي ، أنا التي ترفضها ، لست ابنة راعٍ أفاق ،
بل أنا سليلة ملوك ، وبتول فاضلة مباركة ، اختارتها العلياء ، بناءً
على وحي سماوي ، لصنع معجزة خارقة . لا علاقة مطلقاً بيني وبين
الارواح الشريرة . انما أنتم الذين ارتكبتم الف إثم ، لأنكم تتمتعون
بما يستحقه غيركم من النعم ، تظنون أن اجتراح العجائب لا يمكن
أن يتم إلا على ايدي الشياطين . انتم مخطئون لأن جان دارك لا تزال
عدراء منذ طفولتها وعفيفة نقية حتى في افكارها ، ودم بتوليبتها
الطاهر الذي تسفكونه سيطلب بالانتقام منكم عند أبواب
السماء .

يورك : اجل ، أجل ... خذوها الى الاعدام حرقاً .

ورويك (للجلادين) : اسمعوا يا سادة ، لا تتذرعوا بكونها عدراء كي تقلّلوا لها رزم

الخطب . ضعوا الكمية اللازمة وادلقوا فوقها براميل القطران وعلى الحشبة التي تربطونها اليها بغية تقصير مدة عذابها .

العدراء : لا سبيل الى تلين قلوبكم القاسية ، كالصخر الجلمود . فان جان تكشف لك عن دهائك الذي يؤمن لك الامتيازات القانونية . أنا حبل ، ايها القتلة القساة . فاذا دفعتم بي الى ميتة عنيفة ، لا تقتلوا على الأقل الجنين الذي أحمله في أحشائي .

بورك : معاذ الله . العدراء حبل !

ورويك : هذه أكبر معجزة حدثت الى الآن . انظروا الى أي درك انحدرت بكم حقاقتكم وتبجحكم بالفضيلة .

بورك : لقد فاجأها ولي العهد بكلام رقيق ، فظنّت أن في ذلك ملاذها ونجاتها .

ورويك : مهما كان الحال ، اقضوا على اعدائكم لأننا لا نريد أن نمنح الحياة للقطاء ، لاسيما عندما يكون شارل علة وجودهم .

العدراء : اتم على خطأ فاضح . ان جنيني ليس من صلبه ، ما دمت قد عشقت آلنسون .

بورك : آلنسون ، هذا الداهية اللعين ؟ سيموت جنينك وان كان يملك الف حياة .

العدراء : اسمحوا لي بأن أبين لكم سهوي . ليس شارل ولا الدوق الذي سميت منذ لحظة ، بل هورينيه ملك نابولي من اغواني وظفر بهيامي .

ورويك : رجل متزوج ! هذا إثم لا يغتفر .

يورك : ويحها من عاهرة ! في الحقيقة ، أظنها تختار بمن تهم من الرجال
العديدين في حياتها المشينة .

ورويك : هذا برهان قاطع على تهتكها واستهتارها في توزيع عواطفها .

يورك : مع ذلك ، أنت تدّعين ، ايها الفاجرة ، انك عذراء . ان اقوالك
تدينك ، أنت وجنينك . لا تتوسلي ، لأن كل التماساتك باطلة .

العذراء : هيا اذاً ، انقلوني من هنا . فليس لديكم مني سوى اللعنات . اتمنى
ان لا ترسل الشمس اشعتها الى البلاد التي تأويكم ، وأرجو أن يظل
الليل الكثيب والموت الزوام مخيمين على كل ما يحيط بكم حتى يجم
على صدوركم كابوس اليأس والشقاء ، وتطوق أعناقكم أغلال
الذل والهوان وتدفعكم الى شق أنفسكم (تخرج يسوقها الحراس
امامهم) .

يورك : سيحترق جسمك وتحولك النار الى رماد ، لأنك من زبانية
الجحيم .

يدخل ونشستر والكردينال بوفور وحاشيته .

ونشستر : أحبيك ، أيها اللورد الوصي ، وأنا أسلمك رسائل الملك . أعلم
يامولاي ، ان الدول الصديقة قد احزنتها هذه المؤامرة الدنيئة ، لذا
التمست بجماعة أن يقام سلم دائم يشمل شعبنا وفرنسا الطامعة وها
هو ولي العهد وحاشيته قادمون ليفاوضوكم في بعض البنود .

يورك : هل أفضت جميع جهودنا الى هذه النتيجة ؟ بعد التضحية بعدد
كبير من النواب والضباط والوجهاء والجنود الذين سقطوا صرعى

بسبب هذا التراع الذين لم يَضْنُوا بأنفسهم في سبيل خير وطنهم للوصول الى عقد صلح نسائي؟ ها قد خسرنا عن طريق الحياة والخذاع والنذالة، أكثر مدننا التي فتحها اجدادنا اليواسل! ورويك، يا ورويك، انا أتوقع بألم فقدان مملكة فرنسا برمتها. صبراً، يا يورك. اذا عقدنا صلحاً، سيكون ذلك بأقسى شروط تجعل الفرنسيين لا يرمحون سوى القليل القليل.

ورويك:

يدخل شارل وحاشيته وآلسون واللقيط وريبنه وغيرهم.

يا لوردات انكلترا، بما أن الاتفاق تمّ على اعلان الهدنة في فرنسا، جئنا نطلع منك على شروط المعاهدة.

شارل:

تكلم، يا ونشستر، لأن الغضب المتفاقم الذي يثور في صديري، لدى رؤية هؤلاء الأعداء، يجعل صوتي يرتجف ويغصّ ثم يمتنع في حنجرتي.

يورك:

يا شارل، وأنتم جميعاً، هذا ما تقرر: بما أن الملك هنري يوافق بداعي الشفقة والرحمة على انقاذ البلاد من حرب مدمرة وعلى جعلكم تنفّسون الصعداء في سلم مثمر، ستصبحون اتباع عرشه المخلصين. وأنت يا شارل، في هذه الحالة ستزعن للواقع وترضى بأن تكون نائب الملك وخاضعاً لأوامره، مع أنك تتمتع بالجلوس على العرش.

ونشستر:

هل يتحتم عليه أن يكون ظلّ نفسه، وأن يكال رأسه بتاج، لا يؤمن له من السلطة إلا امتيازات ابسط الرعايا؟ ان هذا العرض سخيف وغير معقول ولا مقبول.

آلسون:

شارل : من البديهي أي أملك الآن على أكثر من نصف الأراضي الفرنسية ، واني مكرّم ومعتبر كملك شرعي . فهل يتحتم عليّ أن أتنازل عن سلطتي المطلقة لكي استحصل على القسم الآخر ، وأحكم ما تبقى من المناطق بصفة نائب الملك ؟ كلا ، يا مولاي السفير ، أنا أفضل أن أحتفظ بما لديّ وأن لا أفقد امكانية استرداد سائر الأراضي ، وأنا أطلب المزيد .

يورك : يا شارل الثرثار ، لقد تدخلت بوسائل سرية للحصول على السلم . والآن وقد سوّيت الأمور بالحسنى تتلرع بحجج واهية توسعية . إقبل المنصب الذي تلتسمه كمثّة يجود بها عليك مليكتنا لا كحقّ تطالب أنت به . وإلا سنشنّ عليك حرباً ضرورياً لا تنهي .

رينيه : أتم تصرّون على مناقشة بنود هذه المعاهدة التي اذا ضاعت ، أراهن على عشرة مقابل واحد ، اننا لن نجد بديلاً لفرصة ملائمة مثلها .

آلسون (لشارل بصوت خافت) : بالصراحة ، من واجبكم أن تحافظوا على سلامة رعاياكم ، وتحموهم من المجزرة الرهيبة والابادة الشرسة التي يتعرضون لها من جرّاء متابعة هذه المعارك . إقبل اذاً هذه الهدنة ، على أن تنقضيها متى شئت .

ورويك :- ماذا تقول ، يا شارل ؟ ألا تزال شروطي معمولاً بها ؟

شارل : أجل ، بهذا الاحتياط الوحيد ، يمكنك أن تقلع عن كل طمع بالمدن التي تضمّ الحاميات .

يورك : اقسم لك بشرفك كفارس مغوار بأنك ستظل وفيّاً لجلالة الملك ،

وأنا واثق بأنك لن تعصى ، ولن تتمرد على تاج انكلترا ، لا أنت ولا أنصارك الأمانة (شارل ورجاله يتظاهرون بالرضى) والآن سرح حاشيتك اذا شئت ، واطوِ اعلامك وأوقف قرع طبوك ، لنبدأ منذ هذه اللحظة عهد سلام ووثام بيننا (يخرجون).

المشهد الخامس

في لندن ، داخل القصر الملكي

يدخل الملك هنري وهو يتحدث الى سوفولك ثم يدخل كلوستر واكساتر.

الملك هنري : أيها الكونت النبيل ، ان وصفك الرائع للحسناء مرغريت قد أدهشني ، وفضائلها التي تعزز مفاتها الخارجية ، قد ولدت في قرارة نفسي اشواق الحب العميق. ونظير عاصفة عنيفة هبّ الهوى واجتاح كياني كأنه سفينة تتقاذفها الأمواج وتلاعب بها كما لو كانت تجتذبها تارة الى أعماق اليم تريد إغراقها وطوراً تدفعها الى شاطئ السلامة لانقاذها. فهل يطول بي المدى كي أتمتع بأحلى ملذات الغرام ؟

سوفولك : هذه القصة السطحية ، يا مولاي ، ليست سوى مقدمة مديح تستحقه ، لأن مواهب هذه الصبية النادرة ، لو كانت لي المقدرة ، لوصفها على حقيقتها ، للمأت المجلدات الضخمة في تعداد مزاياها الحميدة وخصالها الكريمة ، لأنها تأخذ فعلاً بمجامع قلوب اغلظ

الرجال ، فكيف بفؤادك المرهف الحس . هناك ما هو أهم ، إذ فوق ما هي عليه من بهاء وسناء ، وما تتحلى به من صفات ممتازة لا تضم حنايا ضلوعها الا نفساً متواضعة تنوي الخضوع لك وتمنى دوام العز والسؤدد لعرشك . وهذا دليل قاطع على أن عفتها وشماثلها ستكون دوماً عند حسن ظنك ، يا ملكي المقدى هنري ، كزوج محبوب مرهوب .

الملك هنري : وأنا لن أطلب منها أكثر من هذا . فيا أيها اللورد حامي المملكة أرجوك أن ترضى بأن تكون مرغريت ملكة انكلترا .

كلوسستر : هكذا أكون قد قبلت بالشر المستطير . أنت تعرف ، يا صاحب السمّ ، أنك خطيب فتاة أخرى رفيعة الشأن . فكيف تتنصّل من اتفاقك السابق بدون أن تسيء الى شرف تعهداتك ؟

سوفولك : نظير حاكم يتملص من قسم غير قانوني ، أو نظير رجل قد تعهد بتجربة قواه في مغامرة لا يتسنى له الفوز فيها ، فينسحب في الوقت المناسب قبل أن يفتضح أمره وينكشف عجزه ، فيغنم نفسه بدون أن يتعرض للخجل والاهانة .

كلوسستر : ارجوك أن تخبرني المزيد عن مرغريت هذه . فوالدها ليس سوى كونت مهما ادّعى من ألقاب رنانة فارغة .

سوفولك : لكن أباه ، أيها اللورد الكريم ، هو ملك نابولي الشهير في ايطاليا ، ومثل هذا المقام الرفيع في فرنسا ، توطد مخالفته السلام وتمكّن الفرنسيين من مواصلة مناصبتنا العداء .

كلوسستر : هكذا هو حال الكونت ارمانياك ، لأنه نسيب مقرب الى شارل .

اكساتر : من جهة ثانية ، تؤمن ثروته بائلة ضخمة ، بينا رينيه يميل بطبعه الى الأخذ أكثر من العطاء .

سوفولك : بخصوص البائلة ، يا سيدي ، أرجوك أن لا تحطّ من كرامة مولاك الملك ولا تضعه في مثل هذا المستوى من الحساسة والفقر ، الى درجة ان يفضل مصلحته على عواطف قلبه ، والمادة على الحب . إن هنري قادر على اغناء زوجته الملكة ، وليس بحاجة الى اموال قريبته ليضاعف ثراه . كم من الفلاحين البؤساء يحاولون أن يساوموا على ثروات نساءهم كما يساومون على ثمن بقرة ، أو نعجة أو فرس . فالزواج اسمي من أن يتم على يد سمسار . هي ليست بالمرأة التي نتمناها نحن ، بل شريكة الحياة التي يختارها قواد جلالة الملك والرفيقة الحبيبة التي يهاها ويقودها الى مضجع الزوجية . وبما أن جلالته يفضل مرغريت ، فهذه حجة أولى لكي تكون موضوع تحييدنا نحن أيضاً . لأن الزواج القسري ليس سوى جحيم ملدى العمر تتلاحق فيه الخلافات والمشاحنات والدسائس . بينا زواج الحب والرضى يؤدّي الى التفاهم والسعادة ، وهو صورة مصغرة للسلام السماوي الدائم . وبالنسبة الى هنري كملك أتى له أن يجد نصيباً أنسب من الصبية مرغريت ابنة ملك نابولي . فجأها لا يضاهيه حسن ، وعراقه نسبها لا توازيه اية أسرة بالكرامة والرفعة . ثم أن شجاعته وخصالها تميّزها عن جميع نساء الأرض ، ما عدا كونها متحدرة من سلالة ملكية فاضلة . ان هنري ابن فاتح مؤهل لإيجاب غيره من الفاتحين . لاسيما اذا اقترن ، بدافع الحب ، بسيدة تحاكيه نبلاً كالحسنة مرغريت . أرجوك اذاً أن تقبل يا مولاي بعقد

هذا الزفاف الميمون الذي يجعل من مرغريت ملكة فريدة عصرها لا
سبيل الى أية فتاة أخرى أن تكون لها بديلة .

الملك هنري : لست أدري إن كنت قد تأثرت بوصفك الرائع يا لورد سوفولك ، أو
بدافع شبابي المتحمس الذي لم يبلغ بعد درجة الهيام المستعر بحجارة
الصبابة والحنين ، إلا أنني واثق بأن خفقان قلبي يزداد سرعة واشواق
الملئمة بالأمل والحشية تتجاذبي وتضاعف اضطراب أفكاري .
أرجوك أن تعجل وتمخر عباب البحر الى فرنسا ، يا مولاي ، وان
ترتب الأمور بكل الوسائل لجعل السيدة مرغريت ترضى بالهجيء
إليّ على متن أول سفينة قادمة الى انكلترا لتتوج ملكة وفيّة مباركة
وتجلس الى جانبي على العرش . ولتغطية نفقات هذا الحدث الميمون
يمكنك أن تفرض على شعبي ضريبة خاصة . أسألك أن تسرع في
الرحيل ، لأنني الى حين عودتك سأظل فريسة الهواجس والقلق .
(لكلوسستر) وأنت أيها العم الحبيب ، اطرده عنك فكرة الرفض .
واذا حكمت عليّ بحسب ما كنت أنت عليه ، لا بحسب حالتك
الحاضرة ، أنا واثق بأنك ستعذرني على اصراري المبالغ فيه .
وبناء على رغبتني ، سأنسحب الى خلوة أكون فيها بعيداً عن كل
صحبة ، كي أتملّ في هذه القضية واصبر اشواق المستعجلة
(ينخرج) .

كلوسستر : أجل ، اشواقه التي أخشى أن تعذّبه وترافقه مدى العمر (ينخرج
كلوسستر واكساتر) .

سوفولك : هكذا تغلب رأبي على رغبة الجميع . وهكذا يتوق العاشق المتيم
الى الفوز بالحب آملاً أن يكون هذا الحب لخيرته وهنائه . ها قد
أصبحت مرغريت ملكة ، ستدير الملك كما يحلو لها ، وأنا سأدير
مرغريت على هواي ، وبالتالي ادير الملك والمملكة معاً .

(انتهت)

وليم شكسير

هنري السادس

الجزء الثاني

أشخاص المسرحية

	الملك هنري السادس
عمّه :	همفري دوق كلوستر
أسقف ونشستر، عم والد الملك :	الكردينال بوفور
دوق يورك :	ريشار بلانتاجينييه
	ادوارد { ولداه
	ريشار
من أنصار الملك	{ دوق سومرست
	دوق سوفولك
	دوق بوكينجهام
	لورد ساي
	لورد كليفورد
	كليفورد الشاب
من أتباع يورك	{ كونت سالزبري
	كونت وزويك
حاكم البرج :	لورد سكايل
أخوه :	سير همفري ستافورد

سير جون ستانلي

فوكس

: مشاغب

جاك كاد

جورج

جون

ديك

ميشال

سميث : الحالك

أتباعه

: وجهه من كُنت .

إسكندر إيدن

: سجينان لدى سوفولك .

وجيهان

{ هيويم
ساوثويل
كاھنان .

: ساحر .

بولنبروك

: يستحضره هذا الأخير .

روح

: صانع دروع .

توماس هوزنر

: أجيّره .

بطرس

موظف شتھام .

محافظ ستنبان .

: شرير .

سمكوكس

ربان سفينة .

بحار .

ولتر ويتمور : بحار .
الملكة مرغريت : زوجة الملك هنري .
اليونور دوقه : كلوسستر .
مرجري جوزدن ساحرة
زوجة سمكوكس .

لوردات ، سيدات ، حاشية ، مستدعون ، قضاة ، مرشد ،
شرطي ، ضابط ، ذوات ، أمراء ، حَمَلَة صقور ، حرس ، جنود ،
رُسُل ، الخ .

تجري الأحداث في أنحاء مختلفة من انكلترا .



الفصل الأول

المشهد الأول

لندن — في حديقة القصر الملكي .

تُسمع موسيقى آلات مختلفة . من ناحية يدخل الملك هنري ، ودوق كلوسستر وماالزبري وَوَزْويك والكردينال بوفور ، ومن ناحية أخرى تدخل الملكة مرغريت يقودها سوفولك ، ويتبعها سومرست ويورك ويوكنكهام وغيرهم .

سوفولك : لقد كُلفتني جلالتك عند ذهابي الى فرنسا أن أمثل سيادتكم وأتزوج باسمك الأميرة مرغريت ، وها قد قمت بالمهمة الرفيعة وأجريت مراسم الزفاف في مدينة « تور » الأثرية الشهيرة بحضور ملوك فرنسا وصقلية ودوق أورليان وكالابر وبريطانيا والنسون وسبعة كونتات واثني عشر باروناً وعشرين أسقفاً جليلاً . والآن أجتو بتواضع أمامك وأمام انكلترا الممثلة بنبلائها الكرام وأتنازل عن حقوقي على الملكة لأيادي جلالتك البيضاء بعد أن مثلت بفخر واعتزاز ظللك الشامخ . فإليك بأروع هدية تستي لمركز أن يمنحها ، وأجمل ملكة ، أسعد الحظ ملكاً أن يحظى بها .

الملك هنري : انهض يا سوفولك . وأهلاً وسهلاً ومرحباً بك أيتها الملكة مرغريت .
لا يسعني أن أجود عليك كعربون حبي الكبير لك بأرق من هذه
القبلة . لأنك بهذا الحيا الصبوح تنعمين على نفسي بعالم واسع من
الملذات الأرضية ، في ظلال ألطاف الهوى الذي يوحد أفكارنا .

الملكة مرغريت : يا ملك انكلترا العظيم ، يا سيدي المبجل الكريم ، إن الخطاب
الطويل الذي وجهته إليك في ذهني ، يا مليكي العزيز ، نهراً
وليلاً ، وفي سهراتي وأحلامي ، في اجتماعات البلاط وفي ابتهاجاتي
جميعها تشجعي على تحية مليكي بهذا الكلام البسيط النابع من
وحي روحي وهو يغمر قوادي بفيض من البهجة والسرور .

الملك هنري : لقد سحرني منظرها ، لكن لطف حديثها الذي تحليه بها حكمتها ،
نقلني من رضى الامتنان الى دموع الفرح الذي يثلج قلبي . أرجو يا
مولاي أن تحيي حبيتي تحية الإعجاب الكامل .

الجميع (جائين على ركبهم) : لتحيا الملكة مرغريت بهجة انكلترا .

الملكة مرغريت : أشكركم جميعاً (تصدق الموسيقى)

سوفولك : مولاي حامي المملكة ، تفضل بقبول شروط السلم المعقود بين
عاهلنا وملك فرنسا شارل . وقد قبلت بالإجماع لمدة سنة ونصف .

كلوسستر (يقراً) : هذا نصّ المعاهدة : لقد تمّ الاتفاق بين ملك فرنسا شارل وبين
وليم بول مركزيز سوفولك ، سفير هنري ملك انكلترا ، على اقتران
هذا الملك بالسيدة مرغريت ابنة رينيه ملك نابولي وصقلية ، وأن
يتوّجها ملكة على انكلترا قبل الثلاثين من الشهر القادم . وأن يتمّ

الجللاء عن دوقية انجو وكونتيّة ماين ، وأن يُسلّمًا إلى أيها . (يقع
المستند من يده) .

الملك هنري : ما بك ، يا عمّاه ؟

كلوستستر : ساحخي ، يا مولاي ، لقد أصابني خفقان مفاجيء في القلب ،
فأظلمت الدنيا في عينيّ إلى حدّ أنّي لم أعد أقوى على متابعة القراءة .

الملك هنري : أرجوك ، يا عمي ونشستر ، أن تواصل القراءة عنه .

الكردينال : ثمّ تمّ الاتفاق بين الدوقيتين أنجو وماين على إخلائها وتسليمها إلى
أيها الملك ، وأن توافي العروس ملك انكلترا على نفقتها الخاصة
بدون أن تكون مصحوبة بأيّة بائنة .

الملك هنري : هذه الشروط تناسبني . أرجوك أن تركع أيها المركز لأجعل منك
دوق سوفولك ، وأن أقلدك السيف . يا ابن عمي يورك ، أرجوك
أن تستلم منصبه كوصي على عرش فرنسا إلى أن تنقضي مدة السنة
والنصف بتمامها . أشكر عمي ونشستر ، كما أشكر كلوستستر ويورك
وبوكنكهام وسومرست وسالزبري ووزويك . وأكرّر شكري لكم
جميعاً على حسن الاستقبال الذي أحطّم به الأميرة ملكتي . هيا بنا
لنعود ونهتّم عاجلاً باستعدادات التتويج (يخرج الملك ثمّ الملكة
وسوفولك) .

كلوستستر : يا نبلاء انكلترا ، يا أعمدة الدولة الثابتة ، لا بدّ للوق همفري من
الإفصاح لكم عن آلامه وآلامكم وآلام كافة الشعب في طول
البلاد وعرضها . فإن أخي هنري سيذلّ شبابه ومواهبه ويسكن
الريف أيام برد الشتاء القارس وحرّ الصيف المحرق ليحتلّ فرنسا

ويستردّ إرثه الشرعي . وأخي بدفورد يرهق ذهنه للحفاظ بالسياسة على ما اكتسبه هنري . وأنتم يا سومرست وبوكنهام ويورك الشجاع وسالزبري المظفر ووزويك ، لا بدّ من أن تكونوا قد تلقّيتُم جراحاً بالغة في فرنسا ومنطقة نورمندي . وأخيراً أنا وعمي بدفورد ، وكذلك جميع المستشارين المحنكين في هذه المملكة ، بعد أن نعقد الجلسات الطويلة صباحاً ومساءً لمناقشة وسائل توطيد دعائم إمبراطوريتنا في فرنسا ، يكون سمّوه قد توجّ منذ حدوثه في باريس ، رغم أنف العدو ، وهكذا سيخيب مسعانا ويضيع تعبنا ويهدر شرفنا سدىً . فإن فتوحات هنري واجتهادات بدفورد اليقظ ، وإنجازاتكم كمحاربين ، ونصائحنا بأجمعها ستذهب أدراج الرياح . فيا نبلاء انكلترا ، إن مجرد تحقيق هذه المعاهدة المشينة وهذا القران المشؤوم ، يذهب بمجدكم ويمحو اسمكم من الأذهان والتاريخ ، ويشطب ذكركم من سجل الأخلاق والقيم ، ويهدم صرح فرنسا المحتلة ويلقي كل كيائنا في هوة العدم ، كأن شيئاً لم يكن .

الكردينال : ما معنى هذا الكلام ، يا ابن أخي ؟ وما معنى هذا الأسف وهذه الملامة التي تجرّمنا جميعاً ؟ إن فرنسا لنا ، ونحن مصمّمون على الاحتفاظ بها الى الأبد .

كلوسستر : أجل ، يا عمّاه ، سنحتفظ بها إن استطعنا . إنما الآن هذا مستحيل . فإن سوفولك الذي جعلت منه دوقاً منذ هنية ، وخلعت عليه سلطة واسعة ، قد منح دوقيّتيّ انجو وماين للملك رينيه المسكين الذي لا تلائم ألقابه هزال ماليّته .

سالتز بري : بحق وفاة من مات لأجل الجميع ، إن هاتين الكونيتيتين كانتا مفتاح مقاطعة نورمندي . لكن لماذا تدمع عينك ، يا بني الحبيب ؟

ورويك : إذا بكيتُ فلأنَّ ما تذكره قد ضاع منّا الى الأبد . إذ لو كان هناك من أمل في استعادته ، فإن سيني سيهدر دماً زكياً ، ومآقي ستدرفان دموعاً سخينة . فأنا قد احتلت مقاطعتي انجو ومان ، أجل أنا قد احتلتهما بقوة ساعدي ، وضممتها الى أراضينا ، وها هي المدن التي تلقيت جراحاً عديدة في سبيل كسبها ، تُعاد لقاء كلام مسالم . يا إلهي ، ما أتعس حظي !

يورك : ليت صوت دوق سوفولك يَخْتَنق في حنجرتي ، لأنه سَوْد صفحة شرف هذه الجزيرة المحاربة . إن قضية فرنسا تمزّق قلبي ، قبل أن أوافق على هذه المعاهدة . لقد قرأت أن ملوك انكلترا كانوا دوماً يقتنون المبالغ الطائلة من المال ويتلقّون باثئات ضخمة من زوجاتهم . لكن ملكنا هنري يرفض الاحتفاظ بممتلكاته ليتزوج فتاة لا تأتيه بأية بائنة .

كلوسستر : هذا مزاح سَمِيج ، بل أمر لم يسبق أن سمعنا بمثله . إن سوفولك يطالب بمبالغ ضخمة لأجل المصاريف والنفقات التي يقتضيها سفر السيدة الى هنا . أفما كان من الأفضل أن تبقى هي في فرنسا وأن تموت هناك من الجوع على أن... ؟

الكردينال : يا مولاي كلوسستر ، أنت تحتدّ أكثر من اللازم . هذه رغبة مولانا الملك .

كلوسستر : مولاي ونشستر ، أنا عالم بما يجول في خاطرك . ليست كلماتي التي لا

تعجبك ، بل وجودي هنا هو الذي يضايقك . لا بدّ للحقد من أن يظهر ، أيها الحبر المتجبر . ها أنا أبصر غضبك في حياك . هل تريد أن نعيد مشاجراتنا الى سابق عهدها ؟ وداعاً يا مولاي . يمكنك أن تقول بعد خروجي من هذا المكان أنني توقعت فقداننا فرنسا . (يخرج) .

الكردينال : وهكذا ذهب حامينا غاضباً . أنت تعلم أنه من ألدّ أعدائي . ماذا أقول ؟ من ألدّ أعدائنا كلنا ، وأخشى أن يكون أقل صداقة من سواه نحو الملك . لا تنسوا يا سادة ، إنه أقرب أمير للملك ، وإنه الوريث المرتقب لتاج انكلترا . حتى إن اكتسب هنري بزواجه إمبراطورية وجميع ممالك الغرب الغنيّة ، سيجد سبباً ليظهر عدم رضاه . احذروه يا سادة ، ولا تنخدعوا بكلامه المعسول . كونوا حريصين ويقظين تجاهه . ما همّ إن اكتسبَ الى جانبه غالبية أفراد الشعب الذين يعتبرون همفري دوق كلوسستر الكريم ويصفقون له بأيديهم وهم يهتفون له بصوت عالٍ : حرسك الله يا صاحب الجلالة ، أو حفظ الله دوق همفري النبيل . أنا أخشى ، يا سادة ، رغم كل هذا التمليق ، أن نجد فيه حامياً خطراً ويصدق فيه القول : « حاميا حراميا » .

بوكنكهام : لماذا إذاً يحمي مليكنا الذي بلغ سن الرشد ويستطيع أن يحكم بنفسه ؟ يا ابن عمي سومرست ، انضمّ اليّ ، وأنتم جميعاً أيضاً ، وبعون دوق سوفولك ستمكّن قريباً من قلب دوق همفري عن كرسيه .

الكردينال : هذه المشكلة الهامة لا تتحمل التأجيل . فأنا ذاهب حالاً الى دوق سوفولك (ينخرج) .

سومرست : يا ابن عمي بوكنكهام ، مهما عظم كبرياء همفري ، وثقلت علينا وطأة سلطته ، لا بدّ لنا من مضاعفة سهرنا على الكردينال المتغطرس ومراقبته . فإن وقاحته تتعدّى حدود الاحتمال أكثر من جميع أمراء البلاد مجتمعين . فإذا قلبنا كلوسستر ، فهو الذي سيصبح حامي المملكة .

بوكنكهام : أنت ستصبح حامي المملكة ، يا سومرست ، أو أنا ، إن لزم الأمر ، رغم أنف دوق همفري والكردينال معاً . (ينرج بوكنكهام ثم سومرست) .

سالزيري : ها هو الكبرياء بعينه يفتح المسيرة ويتبعه التبجح والتجبر . وبينما يعمل هؤلاء الرجال لأجل ارتقائهم ، يحمل بنا أن نعمل نحن لصالح البلاد . لقد أبصرت على اللوام همفري دوق كلوسستر يتصرف كوجيه نبيل الأخلاق ، لكنني غالباً ما شاهدت الكردينال المتشامخ جندياً أكثر منه رجل دين ، متعالياً مزدرياً ، كأنه سيّد مطلق يستبدّ بالجميع ، ويحكم كأنه لصّ يسلك سبلاً لا تليق برئيس دولة . يا بنيّ ورويك ، أنت عزاء شيخوختي ، وأنا أعتبر أن مآثرك المجيدة وصراحتك وفضائلك التزيهة ، هي التي أكسبتك تقدير كافة المسؤولين . وليس من أحد محبوباً نظيرك ، ما عدا دوق همفري الكريم . أما أنت ، يا أنخي يورك ، فإن أعمالك المشكورة في إيرلندا لاستتباب الأمن والنظام بين الناس ، وإنجازاتك الباسلة

الحديثة العهد في فرنسا ، عندما كنت وصياً على مليكتنا ، جميعها تزيدك هبة وشرفاً في عيون الشعب . فلتتحدّ إذأ لأجل الخير العام ، ولتكتاتف في جهادنا لردع كبرياء سوفولك والكردينال ، والتصدي لغطرسنا وللجُم طمع سومرست وبوكنكهام . ولنندعم بكل قوتنا وسلطتنا تصرفات دوق همفري ، ما دامت مساعيه تستهدف صالح البلاد .

ورويك : ليكن الله في عونى ، ما دمت أسعى لخير الأمة والوطن .

يورك (على حدة) : أنا أقول هذا القول أيضاً لأسباب وأهداف أهم .

سالزيري : هيا نستعجل ونبدل كل ما بوسعنا في هذا السبيل لخير الانسانية .

ورويك : أنت تتكلم عن الانسانية ! إنك تذكرني ، يا والدي ، بمقاطعة ماين التي فقدناها والتي كان ورويك قد ضمها الى أراضيها والتي ودّ أن يحافظ عليها ولو بذل آخر أنفاسه . أنت تتكلم عن خير الانسانية ، يا أبي ؟ بينا أنا أتكلم عن مقاطعة ماين التي سأنزعها من فرنسا ، ولو كلفني ذلك حياتي . (يخرج ورويك ويتبعه سالزيري) .

يورك : لقد سلّمت مقاطعتا انجو وماين للفرنسيين ، وضاعت باريس ،

ومصير مقاطعة نورمندي مربوط بخيط رفيع . ثم بعد كل هذه المصائب عقد سوفولك معاهدة ، وجميع النبلاء وافقوا عليها . بينما هنري مغتبط بمبادلة دوقيتين مقابل حسناء ابنة دوق . أنا لا يسعني أن ألومهم ، إذ ماذا يهمهم كل ذلك ؟ إنهم يبدّدون أموالك يا يورك ، لا أرزاقهم . هكذا أتيج للقراصنة أن يستفيدوا من غنائمهم ، وأن يستخدموها لشراء الأصدقاء ، وأن يحصلوا على المحظيات ، وأن

يبتدروا أموالهم على الحفلات كما يفعل الأثرياء المسرفون ، وفي هذه الأثناء ترى المالك الشرعي ، السخيف ، العاجز ، يكي ويندب كل هذه المقتنيات المفقودة ويتلوى من الألم ويهز رأسه يائساً ويقف مرتجفاً على انفراد . وهؤلاء الانتهازيون يتقاسمون أمواله ويستأثرون بها بينما هو يدع نفسه جائعاً بدون أن يجسر على التدخل أو على لمس أي درهم من رزقه . وهكذا يظل يورك هنا يكتوي بنار العذاب ويعضّ شفتيه أسفاً وحسرة ، وهم يسامون ويبيعون ممتلكاته باستهتار . كأن ممالك انكلترا وفرنسا وايرلندا تستبدّ بلحمي ودمي كما فعل الهجران المشؤوم بالحسناء ، « ألتيه » التي أهلكت نفسها على حساب قلب الأمير كاليدون . أجل ، أعطيت مقاطعتا انجو وماين للفرنسيين . هذا النبأ يصعقني لأنني وضعت كل اتكالي على فرنسا كما غرست كل ثقتي في تراب انكلترا الخصب . سيأتي يوم أطلب فيه ، أنا يورك ، بأرزاق وممتلكاتي . ولهذا الغاية سأنضمّ الى جماعة نافيل وأظهر ما يشبه العطف كي أحذّره من دوق همفري . ثم عندما أجد الظرف المناسب ، سأطالب بالتاج لأنه الهدف الذهبي الذي أنوي الوصول اليه . كلا ، هذا المتكبر لتكاستر لن يغتصب مني حقوقي ولن يلمس الصولجان بيده ، وهو الولد القاصر ، ولن يحمل التاج على رأسه أبداً ولن تظفر رغبته التقيّة بالعرش . إذاً لن يهدأ لي بال ، أنا يورك ، إلا إذا سنحت لي الفرصة لإشباع نهمي الى العظمة والمجد . وفيما الآخرون يغطّون في نوم عميق ، علي أنا أن أظلّ مستيقظاً حذراً حتى أستولي بغتة على مقدرات الدولة . سأنتظر الى أن يسكّر هنري بخمرة الغرام مع عروسه ، هذه الملكة الغريبة

التي اشتريتها له انكلترا بثمن باهظ ، ويتخاصم بسببها دوق همفري وأترابه النبلاء . حينئذ سارفع الوردة البيضاء بلون الثلج ، وهي تعبق الجو بأريجها العطر ، ثم أضيف على علمي شعار يورك كي أقاتل الى جانب آل لنكاستر وأجبر الملك بالقوة على التنازل لي عن عرشه ، لأن سلطته الدينية قد أسقطت انكلترا .

المشهد الثاني

في قصر دوق كلوستر .

يدخل دوق كلوستر والدوقة .

الدوقة :

لماذا أرى سيدي منحني الرأس كالسنبلة الناضجة الرازحة تحت وقر كابوس « ساريس » المرهق ؟ لماذا يقطب دوق همفري القوي حاجبيه كأنه يحتقر أفراح هذه الدنيا ؟ لماذا تحرق عينك في بلايا هذا العالم كأن تأملاته تلف أنظاره بالظلام ؟ ماذا أرى هنا ؟ تاج الملك هنري تحيط به كل تشريفات العالم ؟ فإذا صح هذا الأمر ، عليك أن تسمر عيونك فيه وتزحف على بطنك حتى يستقر على رأسك ، وما عليك إلا أن تفتح يديك حتى تقبض على ذهب الأجداد . ماذا أرى أيضاً ! هل أمست ذراعك قصيرة ؟ هيا صلبها بذراعي ، وعندما نظفر كلانا ونستأثر بالعرش سنرفع معاً رأسنا نحو السماء ، إذ ذاك لن نخفض طرفنا حتى نثبت أقدامنا على الأرض كما نشاء . كما نشاء .

كلوستستر :

نلي ، عزيزتي نلي ، إذا كنتِ تحبيني حقاً اطردي عنك الدودة الحقيرة التي تنخر أفكارك الطامحة . وحين تخامرك أية فكرة عداء نحو مليكي ، ابن أخي هنري الفاضل ، سألفظ آخر أنفاسي في هذه الدنيا الفانية . حقاً إن حلمي الدنيء يقض مضجعي هذه الليلة . بماذا حلمت ، يا سيدي ؟ قل لي ، وأنا بدوري أروي لك الحلم الذي أبصرته هذا الصباح .

الدوقة :

كلوستستر :

خيّل إليّ أن هذا العكاز ، وهو رمز سلطتي في البلاط ، قد كُسِرَ وصار اثنين . من كسره ؟ نسيت . لكنني أظن أن الجاني هو الكردينال . وفي طرف أحد قسميّ العكاز المكسور قد علّق رأس دوق سومرست ، وفي طرف القسم الآخر رأس وليم بول دوق سوفولك . هذا كان حلمي الذي لا يعرف تفسيره إلا الله وحده .

الدوقة :

لا تهتمّ للأمر ، ولا تغتمّ . هذا يعني أن من يكسر قضيباً من حديقة كلوستستر سيدفع رأسه ثمناً لاستهتاره . لكن ، اسمع ، يا عزيزي همفري . يُخيّل إليّ أن كنت جالسة على عرش مهيب في كنيسة وستمنستر الكبيرة ، حيث يتربع الملوك عند تتويجهم مع ملكاتهم ، وإذا بالملك هنري والسيدة مرغريت يركعان أمامي ويضعان التاج على رأسي .

كلوستستر :

لا بد لي ، يا أليونور ، من أن أحقق لهذا كثيراً . يا لك من امرأة متعجرفة غريبة الأطوار ! أولست السيدة الثانية في هذه المملكة وزوجة حامي البلاد الحبيبة ؟ ألا تتمتعين حقاً بالحياة أكثر مما يتسنى لأفكارك أن تتصور وتتخيل ؟ مع ذلك تميلين الى الحياة

لُتُحرّجي موقف زوجك وموقفك أيضاً بوضع شرفه وشرفك معاً على حافة الهاوية والنّبذ والاحتقار. هيا ابتعدي عني ولا تدعيني أسمع بذكرك بعد الآن.

الدوقة : ما الفائدة ، يا سيدي ، من صبّ جام غضبك عليّ أنا زوجتك بسبب حلم رويته لك ؟ من الآن وصاعداً ، سأحتفظ بأحلامي لنفسي كي لا أستوجب تعنيفك .

كلوسستر : هيا لا تختني . فقد هدأ روعي .
يدخل الرسول .

الرسول : سيدي حامي المملكة . يسألك صاحب السمّ أن تستعدّ للذهاب الى ستّلبان حيث ينتظرُك الملك والمملكة لصيد الصقور .

كلوسستر : ها أنا ذاهب . هيا . يا نّلي . ألا تريدان أن ترافقينا الى الصيد ؟

الدوقة : أجل . يا سيدي الكريم . أنا لاحقة بكم . (يخرج كلوسستر والرسول) . من واجبي أن أتبعهم . إنما لا يسعني أن أكون الأولى في الذهاب . ما دام كلوسستر بهذا المزاج الوضع المبتذل . لو كنت رجلاً ودوقاً ، وأرفع أمير في مثل مقامه ، لكنت أزحت من دربي جميع هذه العقبات السخيفة ، ولكنت مشيت على رؤوسهم المقطوعة المجدلة على الأرض . لكني ، وإن أكن امرأة ، لن أتردد في القيام بدوري في معرض الحظوظ والإمكانات . فأين أنت إذا يا سير جون ؟ لا تخفّ ، يا صديقي . نحن وحدنا ، وليس هنا سوانا نحن الاثنين .

يدخل هيوم

- هيوم : حفظ الله مقامك الملكي الرفيع .
- الدوقة : ماذا تقول ؟ مقامي الملكي ، وأنا لست سوى أميرة .
- هيوم : بفضل رعاية المولى ، ونصائحي أنا هيوم الوفي ، سترداد مكائتك رفعة .
- الدوقة : ماذا تقول يا صديقي ؟ هل تحدثت الى مرْجُري جورْدن الساحرة الداهية ، وروجر بولنبوك الساحر المحتال ؟ هل يريدان أن يخدماني ؟
- هيوم : لقد وعدا بأن يُرياك روحاً يُستحضر من أعماق العالم السفلي لتجيب على جميع أسئلتك يا سيدتي .
- الدوقة : هذا يكفي . سأفكر بالأسئلة ، وعندما نعود من سْتلبان سنحدّد الأمور التي نودّ تنفيذها . هيا يا هيوم ، اقبل هذه المكافأة . اذهب الآن لتلهمي مع شركائك بهذه القضية الخطيرة . (تخرج الدوقة) .
- هيوم : لا بدّ لي من أن أتسلّى بذهب الدوقة . وهذا ما سأفعله بصفتي سير جون هيوم . فما عليّ إلا أن أغلق في ولا أنبس بينت شفة . لأنّ المسألة تتطلب الصمت الكامل والسريّة المطلقة . فالدوقة أليونور تجود عليّ بالذهب لآتيها بالساحرة ، وإن كانت الشيطان بعينه ، سأرحّب بذهبها أجمل الترحيب . على كل حال ، أرى الذهب يتدقّ عليّ أيضاً من ناحية أخرى ، ولا أجرؤ على البوح بأنه يأتيني من جهة الكردينال الغني ومن سوفولك الكبير الذي أصبح دوقاً منذ عهد قريب . مع ذلك أنا واثق من ذلك . لأنّي في الحقيقة أعرف ما تطوي عليه السيدة أليونور من مزاج جامح . أنا أقبض

المال لكي أحسّس الدوقة وأحشو دماغها بكل هذه الحماقات . يقال إن الثعلب المحتال لا يحتاج الى التلريب على الخداع ، إنما إذا لم أكن حذراً لن أتمكن من السيطرة على هذين الخبيثين للوصول الى مأربي . في الواقع هذا هو حالي معهما ، ولا أخشى أن تكون دسائسي أنا هيوم المراوغ مصدر توريط الدوقة وهلاكها الذي سيتبعه سقوط همفري أيضاً . ولتأتنا الأيام بما هي حبلى به ، ما دمتُ أجمع الذهب الذي أتوق الى الحصول على الكثير منه . (يخرج) .

المشهد الثالث

في قصر الملك .

يدخل بطرس وأشخاص غيره حاملين معارض .

بي الأول : يا سادتي ، لنكن مستعدين ، فلولاي حامي المملكة سيحضر عمّا قريب الى هنا ، ويتسنى لنا حينئذٍ أن نقدم عرائضنا حسب الأصول .

بي الثاني : لعمري ، حرس الله مولاي ، لأنه رجل طيب القلب .
بي الأول : ها هو آتٍ ، على ما أظن ، وتصحبه الملكة . سأكون أول من يقابله طبعاً .

يدخل سوفولك ومعه الملكة مرغريت .

المستدعي الثاني : عد الى مكانك ، يا غبي . هذا هو دوق سوفولك وليس اللورد حامي المملكة .

سوفولك : يا صاحبي ، ماذا تريد مني ؟

المستدعي الأول : العفو ، يا مولاي ، ظننتك اللورد حامي المملكة .
الملكة مرغريت : (تقرأ العنوان) : الى اللورد حامي المملكة . معارضكم موجهة إذا الى سيادته . هيا نلقِ عليها نظرة . أي معروض ينحك ؟

المستدعي الأول : إن معروضي ، إذا أمرت ، يا سيدتي ، هو شكوى على حنا بونوم ، رجل مولاي الكردينال ، الذي يحتجز بيتي وأرضي وزوجتي وكل ما أملك .

سوفولك : زوجتك أيضاً ؟ هذا لا يطاق طبعاً . وأنت ، ماذا تريد ؟ ماذا أرى هنا ؟ (يقرأ) : شكوى على دوق سوفولك لأنه احتجز أرزاق ملفور . ماذا تقصد أن تقول يا مغفل ؟

المستدعي الثاني : وأسفاه ! يا سيدي ، أنا لست سوى حامل المعروض الذي يخص كل مدينتنا .

بطرس (يقدم معروضه) : هذه شكوى على معلمي توماس هوزنر ، لأنه قال إن دوق يورك هو الوريث الشرعي للتاج .

الملكة مرغريت : ماذا تدعي هنا ؟ هل قال دوق يورك إنه الوريث الشرعي للتاج ؟

بطرس : هل كان معلمي وريثاً ؟ كلا ، ثم كلا ، وحق السماء . إن معلمي هو الذي صرّح بذلك وقال إن الملك ليس سوى معتصب .

سوفولك : من القادم الى هنا ؟

يدخل بعض الخدم .
خذوا هذا الرجل ، وارسلوا الى معلمه من يلاحقه . وسنوضح
القضية للملك . (يخرج الخدم مع بطرس) .

الملكة مرغريت : أما أتم الذين تبحثون عن الاحتماء تحت أجنحة صاحب السيادة
حامي المملكة ، فأعيدوا كتابة معارضكم وقدموها له (تُمزق
المعارض) . الى الوراها أيها الأوغاد . أسألك ، يا سوفولك ، أن
تحمّلهم على الانصراف عنا .
الجميع : هيا نذهب . (يخرج المستدعون) .

الملكة مرغريت : يا مولاي سوفولك ، قل لي هل هذه العادة هنا؟ هل هذه هي
الطريقة المتبعة في بلاط انكلترا؟ هل هذه هي حكومة جزيرة
بريطانيا؟ هل هذه هي امبراطورية الملك أليون؟ ما هذا؟ هل
سيظلّ الملك هنري ، كتلميذ قاصر ، دائماً تحت وصاية كلوسستر
المتسلّط؟ وهل أنا ملكة بالاسم واللقب فقط . وعليّ أن أكون تابعة
للدوق؟ أنا أصرّح لك يا بول ، عندما كسرت أنت رجلاً في مدينة
تور ، إكراماً لحبيبي ، وقد سحرت قلوب سيدات فرنسا ، ظننت
أنا ان هنري يشبهك بالشجاعة واللياقة والأناقة . غير أن روحه غير
مشغول بسوى التقوى والصلاة ، وأبطاله هم الرسل والأنبياء ،
وأسلحته هي شفاعات القديسين وآيات الكتاب المقدس ، ومكتبه
هو العربية ، ووجهه مكّس للأيقونات البرونزية التي تمثل الأولياء
الأطهار . فكم أتمنى أن يتّخذه مجمع الكرادلة بابا ويأتوا به الى
روما ، فيكلّل رأسه بالتاج المثلث الطبقات . هذا حقاً ما هو أهل له
صاحب القداسة الكردينال .

سوفولك : جداً ، يا سيدتي ، إن كنت سبب مجيء سموك إلى انكلترا ، سأبذل ما بوسعي لأجعل سيادتك تتعمن بملء الرضى .

الملكة مرغريت بما عدا حامي المملكة المتشامخ ، لدينا بوفور ، رجل الدين المستبد ، وسومرست وبوكنكهام والحارديورك ، وأقلهم نفوذاً ، نرى هيمنتهم في انكلترا أقوى من سلطة الملك عينه .

سوفولك : وأقدرهم هنا ، ليس صاحب سلطان أقوى في انكلترا من أسرة نافيل ، ثم أن سالزبري وورويك ليسا نبيلين بسيطين .

الملكة مرغريت : كل هؤلاء اللوردات مجتمعين لا يغيظونني تقريباً بمقدار هذه المتعجرفة زوجة اللورد حامي المملكة التي تراها تتهاذى في موكب سيدات البلاط كأنها أميرة ، لا زوجة دوق همفري . فيظن الغرباء أنها هي الملكة ، وهي تحمل على ظهرها واردات دوقية برمتها وفي سرها تهين فقرنا وتحتقرنا . فهل سأقضي حياتي كلها بدون أن يتسنى لي الانتقام من هذه المخلوقة الزرية الدنيئة ؟ تباً لها من متكبرة كانت تتبجح في ذلك اليوم ، وسط المعجبين بها ، بأن ذيل أحقر أثوابها يساوي أكثر من جميع أرزاق والدها قبل أن يعطي دوقيتين لابتته .

سوفولك : يا سيدتي ، أنا بذاتي قد طليت بالدبق زجاجات بعض المشروبات ووضعت حولها سرباً من العصافير الفاتنة بشكل يجعلها تعلق لتستمع إلى أناشيدها ، ولا تعود إلى انطلاقها الذي يزعجك . لذلك أرجو أن لا تهتمّ بها بعد الآن . اصفي إليّ يا سيدتي ، إذ أسمح لنفسني بأن أقدم لك بعض النصيح . فنحن مهما كرهنا

الكردينال ، علينا أن نحالفه ونحالف اللوردات الى أن نطّيح بدوق همفري ونُفقده مكاتته . أما دوق يورك فإن الشكوى المقدّمة لا تفيد البتّة . وهكذا نكون قد بقرنا بطن هذا وذاك ، ونكون قد سلّمناك أخيراً دُفّة المركب السعيد لتوصله الى شاطئ السلامة .

يدخل الملك هنري ويورك وسومرست وهم يتحدثون ، وكذلك دوق ودوقة كلوسستر والكردينال بوفور ، وبوكنكهام وسالزبري وورويك .

الملك هنري : من يقف الى جانبي ، أيها اللوردات ، أنا لا فرق لديّ إن كان الوصي سومرست أو يورك فكلاهما في مستوى واحد .

يورك : إن كنت قد أسأت التصرف في فرنسا ، فلأحرّم من الوصاية .

سومرست : وإذا لم أكن أنا كفتاً لشغل هذا المنصب ، فليتولاه يورك ، وأنا أتنازل له عنه راضياً .

ورويك : إن كنت أهلاً أو لا ، يا صاحب السيادة ، ليست هذه هي المشكلة ، لأنّ يورك هو الأولى بها .

الكردينال : يا ورويك الطموح ، اترك رؤساءك يتكلمون .

ورويك : ليس الكردينال رئيسي في ساحة المعركة .

بوكنكهام : الجميع هنا هم رؤساؤك ، يا ورويك .

ورويك : أنا ورويك ، بوسعي أن أحيا طويلاً لأكون رئيسكم جميعاً .

سالزبري : هدّثوا روعكم ، يا أولادي . وأنت يا بوكنكهام ، قل لي لأي سبب يتحتم على سومرست أن تكون له الأفضلية في هذا المجال ؟

الملكة مرغريت : لأن الملك يريد ذلك .

كلوستستر : الملك في سن تحوله اتخاذ قراراته بذاته ، يا مولاتي ، وهذا الأمر لا دخل فيه للسيدات .

الملكة مرغريت : إن كان الملك في مثل هذا العمر ، فما الداعي لأن تكون سيادتكم حامي جلالتة ؟

كلوستستر : أنا حامي الملكة ، يا سيدتي . فإذا كانت هذه رغبة الملك كما تقولين ، فأنا على أتم الاستعداد للتنازل عن منصبي .

سوفولك : تنازل إذاً ، وأرخنا من وقاحتك . فنذ أن أصبحت أنت في مقام الملك ، إذ لا أحد يملك غيرك ، فإن المصلحة العامة تندهور كل يوم وتقرب من الهاوية . فولي العهد قد انتصر في ما وراء البحار ، وجميع نبلاء المملكة ووجهاتها قد شبعوا من تسلطكم .

الكردينال : لقد عصرت الواردات ، وفرغت خزينة رجال الدين ونضبت من جراء ما تستجره من أموال طائلة .

سومرست : إن قصورك الفخمة وزينة زوجتك وحدها قد كلفت الخزينة العامة مبالغ خيالية .

بوكنكهام : وأنت قد بالغت بشراسة ما نفذت من جرائمك ودست جميع القوانين ، حتى أصبحت أنت ذاتك تحت رحمة القانون .

الملكة مرغريت : إن تجاوزاتك في الوظيفة وفي مدن فرنسا ، إن صححت شكوكنا في تصرفاتك ، هي كافية وافية للحرجة رأسك عن كتفك (يخرج كلوستستر ، وتدع الملكة مروحتها تسقط من يدها) . أرجوك أن تناولني مروحتي . (للدوقة كلوستستر) وأنت أيتها الحسنة ، ألا يمكنك أن

تعطيني إياها؟ (تصفع الدوقة) استميتك العذر ، يا سيدتي . أنت فعلت ذلك ؟

الدوقة : أنا؟ أجل أنا ، أيتها الفرنسية المتشائخة . لو أمكنتي أن أشوه جالك بأظافري لما تأخرت عن فرض مشيتي عليك .

الملك هنري : يا امرأة عمي العزيزة ، هدئي روعك . لقد تفوّت بذلك عن غير قصد .

الدوقة : عن غير قصد ! أيها الملك السموح ، إحتزها قبل فوات الأوان . فهي لن تحجم عن المراوغة وعن خداعك كأنك طفل صغير . ولو كان لسيد هذا المكان الهيبة اللازمة لما تمكنت السيدة اليونور من أن تضرب بلون أن تخشى أية عاقبة . (تخرج الدوقة) .

يدخل كلوستر .

كلوستر : والآن ، أيها اللوردات ، وقد هدأت ثورة غضبي من جراء التزهة التي قت بها في الحديقة المربعة الزوايا ، جئت لأبحث بأمور الدولة . أما شكواكم الكاذبة البغيضة فعليكم أن تثبتوا صحتها كي أفصل فيها بالعدل والقسطاس . إنما أرجو من الله أن يشفق على نفسي بقدر ما أبذله من الاخلاص في سبيل مليكي وبلادي . لنعد إلى القضية التي تشغل بالنا . أقول ، يا صاحب الجلالة ، ان يورك هو أولى رجل يستحق أن يكون الوصي على مملكة فرنسا .

سوفولك : قبل اتخاذ أي قرار ، اسمح لي أن أبين لك الأسباب الوجيهة التي تجعل يورك أهلاً لهذا المقام الرفيع .

يورك : سأقول لك يا سوفولك لماذا أنا أستحق ذلك . أولاً لأنني لا أعرف

تمليق غرورك ، ثم إن عُنيت في هذا المنصب ، ستركني مولاي
سومرست هناك بدون امدادات ولا مال ولا ذخيرة الى أن تسقط
فرنسا ثانية في يد وليّ العهد. في المرة الأخيرة جعلتني أهواؤه أنتظر
العون بفارغ الصبر الى أن طُوِّقَتْ باريس وحُوصِرَتْ وجُوعَتْ
وفُقِدَتْ أخيراً.

ورويك : أنا شاهد على صحة هذا الكلام ، وليس من خائن ارتكب جريمة
نكراء كهذه بحق بلاده.

سوفولك : اصمت يا ورويك الوقح.

ورويك : لماذا تريدني أن أسكت ، يا وجه النحس المتعجرف.

يدخل سوفولك ، آتياً بهورنر وبطرس.

سوفولك : لأن هذا الرجل متهم بالخيانة. أجل ، لذلك يريد دوق يورك أن
يبرر نفسه ويبرّئ ساحته.

يورك : هل أنتم ، أنا يورك ، بالخيانة ؟

الملك هنري : ماذا تقصد أن تقول ، يا سوفولك ؟ تكلم. من هم هؤلاء الرجال ؟

سوفولك : من تشملهم بأنظارك ورعايتك ، يا صاحب الجلالة. هذا الرجل
يتهم سيده بالخيانة العظمى ، وهو الذي قال إن ريشار ، دوق
يورك ، هو الوريث الشرعي لعرش انكلترا ، وإن جلالتك مغتصب
محتال.

الملك هنري (لهورنر) : تكلم يا صديقي. هل حقاً قلت ذلك ؟

هورنر : أقسم برعايتك ، وأؤكد أنني لم أقل ولم أفكر حتى بمثل هذا الكلام.

والله شاهد على صدق ما أقول ، وعلى أن هذا الشقي يتهمني زوراً
وبهتاناً .

بطرس (يرفع يديه) : بحياة هذه الأنامل العشر ، يا مولاي ، هو قال لي ذلك في
الأهراء ذات مساء ونحن ننظف درع سيدي يورك .

يورك : أيها الوغد الحقير ، والمحتال الدنيء سأقطع رأسك لمجرد تفوّك بهذا
القول الذي يبرهن على خيانتك . سأطبق بحقه ، يا صاحب
الجلالة ، كل العقوبات الصارمة التي تنصّ عليها القوانين .

هورنر : يا للأسف ، يا مولاي ، أنا أَرْضِي بِشُتِي إن تكلمت هكذا . إن من
يتهمني هو أجيري الذي قاصصته من مدة قصيرة على ذنب ارتكبه .
فأقسم لي وهو راكم على ركبتيه بأنه تاب ، ولديّ شهود على هذا
الحديث . لذلك أستحلفك ، يا صاحب الجلالة ، أن لا تفقد
رجلاً شهماً شريفاً لمجرد اتهام ناجم عن خسيس حقود .

الملك هنري : يا عمه ، ماذا يملئ علينا العدل في هذه القضية من قرار ؟
كلوستستر : إن هذا الحكم ، يا مولاي ، إن استطعت أن أعلنه ، هو أن يُعَيَّن
سومرست وصياً على عرش فرنسا ، لأن هذا التدبير يضع يورك في
موضع الريبة . فإن هذا الرجل لديه شهود على سوء نية خادمه .
هذا ما ينص عليه القانون وهذا هو قرار دوق همفري .

الملك هنري : فليكن إذاً ما تريد . أما أنت ، يا مولاي سومرست ، فإني أعين
سيادتك وصياً على عرش فرنسا .

سومرست : أشكرك بكل تواضع ، يا صاحب الجلالة .

هورنر: وأنا أقبل القتال بكل امتنان.

بطرس: يؤسفني أن أعلمك ، يا مولاي ، اني لا أستطيع القتال . فيحق السماء ، أرجوك أن ترثي لحالي ، لأني ضحية فقد رجل ظالم . ليكون الله في عوني . فأنا لا أقوى على تسديد أية ضربة الى أحد . يا إلهي ! آه . قلبي !

كلوسستر: يا محتمل ، عليك أن تقاتل وإلا كان نصيبك الشنق .

الملك هنري: خذوهما كليهما الى السجن . أما موعد القتال فهو آخر يوم من الشهر القادم . تعال ، يا سومرست ، نعلن أنك راحل (يخرجان)

المشهد الرابع

في حديقة مجاورة لقصر دوق كلوسستر.

تدخل مرّجري جوردن وهيوم وساوثويل وبولنبروك .

هيوم: تعالوا ، يا سادتي ، فالدوقة كما قلت تنتظر تحقيق وعودكم .

بولنبروك: يا سيدي هيوم ، نحن كلنا على أتم الاستعداد . فهل تريد سيادتك أن ترى وتسمع تتممة تعاويذنا؟

هيوم: أجل ، لماذا لا؟ لا تشكّوا بشجاعته .

بولنبروك: لقد سمعته يحكي نظير امرأة لا تُقهر قواها . إنما من الأفضل ، يا سيدي هيوم ، أن توافيه هناك في المرتفع بينما نكون نحن منشغلين ها هنا في الأسفل . وعلى هذا الأساس أرجوكم أن تذهبوا وتدعونا

وشأننا. (يخرج هيوم). يا أمّ جوردن ، انبطحي أرضاً. وأنت يا
جون ساوثويل أقرأ. ولنبدأ عملنا جدّياً.
تظهر الدوقة في إحدى النوافذ.

الدوقة : هذا جميل جداً يا سادة. أهلاً وسهلاً ومرحباً بكم جميعاً. الى
العمل بأسرع ما يمكن وعلى أفضل طريقة.

بولنبروك : صبراً ، يا سيدي الكريمة . السحرة يعرفون مواعدهم في ظلام الليل
الحالك السواد وسط الصمت التام . في الليل الدامس الذي
اشتعلت أثناءه طروادة نألسنة اللهب . فعلاً نعيب البوم ونباح
كلاب الحراسة . وأخذت الأرواح تجول والأشباح تخرج من
قبورها حائمة حول البشر ، في ذلك الحين بالضبط يتسنى لنا أن
نقوم بعملنا على أكمل وجه . إجلسي . يا سيدي . ولا تخشي أي
أمر ، فإن من نستحضره سنحيطه بخلقة مباركة (هنا يقومون بالمراسم
المعتادة ويرسمون الحلقة . ويقرأ بولنبروك أو ساوثويل نص التعويذة . فتحدث
بروق ورعود مربعة ، ويهض الروح).

الروح : أطشّم .

مرجري جوردن : يا هذا ، أستحلفك باسم الله وجبروته الذي يجعلك ترتجف ، أن
تجيب على أسئلتني ، لأنك لن تغادر هذا المكان قبل أن تنطق بما
نريد .

الروح : اطلبي ما تشائين ، فترني طوع بنانك تكلمت ونفّذت .

بولنبروك (يقرأ) : أولاً ما هو مصير الملك ؟

الروح : الدوق الذي سيخلع هنري لا يزال حياً. وسيعيش بعده ويموت
أشنع الميتات وأعنفها. (وفيا الروح يتكلم ، يسجل ساوثويل الأجوبة).

بولنبروك : ما هو مصير دوق سوفولك؟

الروح : سيفرق في الماء ويلقي حتفه.

بولنبروك : وماذا يحل بدوق سومرست؟

الروح : عليه أن يتجنب العيش في القصور ، إذ يكون على السهول الرملية
في مأمن أكثر من البقعة التي تقوم عليها القصور. كفى ، لأني لم
أعد أطيق المزيد.

بولنبروك : انزل الى ظلمات العالم السفلي والى البحيرة الملتبة بنار متأججة.
اختفِ أيها الشيطان الرجيم. (تحدث بروق وورود ويغيب الروح).
يدخل يورك وبوكنكهام بعجلة. يتبعها حرسها وغيرهم من الناس.

يورك : اقبضوا على هؤلاء الخونة وخلصونا من خزعبلائهم. أظن أننا
راقبناك عن كثب أيها العجوز الشمطاء. ماذا أرى؟ أنت هنا يا
مولاتي. إن الملك والدولة مدينان لك بسبب تحملك كل هذه
المشقات. لا شك في أن مولاي حامي المملكة ساهر على إجزال
العتاء لك مكافأة على أعمالك المفيدة هذه.

الدوقة : إنها غير مؤذية بمقدار أفعالك القبيحة ، أيها الدوق الوقح. بحق
ملك انكلترا ، وما تهدده به بدون سبب.

بوكنكهام (يريه الأوراق) : فعلاً ، يا سيدتي ، بدون أي سبب. ماذا تسمين هذا؟
خذوا هؤلاء الأشخاص وزجروهم في مكان حرير واحجزوهم
منفردين. وأنت يا سيدتي ، ستأتين معنا. ضعها يا سوفولك تحت

حراستك . (تنسحب الدوقة عبر النافذة). ستفحص جيداً جميع بضاعتك الرخيصة هذه . اذهبوا جميعكم (ينسحب الحرس وهم يقاتدون ساوثويل وبولنبوك وغيرهم).

يا لورد بوكنكهام ، لقد راقبتها جيداً كما رأيت . هذه مؤامرة كاملة التخطيط . والآن يا مولاي ، أرجوك أن ترى كتابة الشيطان . ما هذا؟ (يقرأ) الدوق الذي سيخلع هنري لا يزال حياً ، وسيعيش بعده ويموت أشنع الميتات وأعنفها . هذا صحيح نظير شعر شيشرون القاتل : «إنك تستطيع الانتصار على الرومان». فلنقرأ البقية : ما هو مصير دوق سوفولك؟ سيغرق في الماء ويلقي حتفه . وماذا يحل بدوق سومرست؟ عليه أن يتجنب العيش في القصور ، إذ يكون على السهول الرملية في مأمن أكثر من البقعة التي تقوم عليها القصور . هيا ، هيا ، يا مولاي ، لقد كلفنا الحصول على هذه النبوءة مشقات وافرة . الملك الآن في طريقه الى ستبلان يرافقه زوج هذه السيدة اللطيفة . أذيعوا أخباره هناك بأسرع ما يمكن . فالغداء كتيب أمام مولاي حامي المملكة .

بوكنكهام : هل تسمح لي ، يا مولاي يورك ، أن أكون رسولك لكي أنال منه المكافأة؟

يورك : كما تشاء ، يا مولاي العزيز . لكن من الآتي الى هنا؟ يدخل أحد الخدم .

ادعوا اللورددين سالزبري وورويك الى العشاء معي مساء الغد . هيا ، الى السير (يخرج الجميع).

الفصل الثاني

المشهد الأول

في بلدة سَتْلَبان

يدخل الملك هنري والمملكة ومرغريت وكلوستر والكردينال بوفور وسوفولك
يتبعهم حَمَلَة الصقور .

المملكة مرغريت : صدقني ، يا مولاي ، ان هذه المطاردة لدجاجات الماء هي أروع ما
شاهدته من تسليلات منذ سبعة أعوام . مع ذلك كان الهواء شديد
البرودة وكان علينا أن نراهن على عشرة مقابل واحد بأن صقر الملك
لم يكن على استعداد للانطلاق .

الملك هنري (لكلوستر) ماذا فعل صقرك . يا مولاي . وعلى أي علو حلق فوق
الآخرين ؟ انظر صنع الله في جميع مخلوقاته . فالانسان والطير
كلاهما يتوقان الى الصعود .

سوفولك : لا أقصد أبداً مضايقة جلالتك ، إن قلت أنني لا استغرب ان ترتفع
صقور مولاي حامي المملكة هكذا عالياً لأنها تعلم جيداً ان صاحبها
يحب الشموخ وهو يخلّق بالفكر أكثر من الصقر الطائر .

كلوستر : الانسان الذي لا يخلّق أكثر من العصفور يكون خسيساً دينياً ، يا
مولاي .

الكردينال : هذا ما أعتقد به أنا أيضاً ، اذ عليه أن يكون أعلى من الغمام.
كلوسستر : ماذا تقصد بهذا الكلام ، يا سيدي الكردينال ؟ ألا تجد سيادتك
صالحاً ان يصعد الانسان يوماً الى السماء ؟
الملك هنري : حيث كنوز الأفراح الدائمة .

الكردينال (لكلوسستر) : سإؤك أنت هي على الأرض . فانظارك وأفكارك متجهة
نحو تاج يهيج القلب ، يا حامي المملكة المخاتل ، ايها النبيل الخطر
الذي يداعب هكذا الملك والشعب لأجل تحقيق مآربه .

كلوسستر : لا ، هذا كثير ، ايها الكردينال . لقد أصبحت نيتك مفضوحة لا
سيما أنها صادرة عن رجل دين نظيرك هكذا عنيف . يا عمي
المفضال ، عليك أن تحمي خباثتك التي لا تليق بمقامك الرفيع .
سوفولك : لا خبث أبداً هنا ، يا سيدي ، أكثر مما يستوجهه شجار في محله مع
نبيل سيء الطبيع مثلك .

كلوسستر : من تعني ، يا مولاي ؟
سوفولك : اعنيك أنت ، يا مولاي حامي المملكة المتعطرس .
كلوسستر : لا أستغرب منك هذه اللهجة ، فان انكلترا باجمعها تعرف
وقاحتك .

الملكة مرغريت : أين تذهب بطموحك وكبرياؤك ، يا كلوسستر ؟
الملك هنري : هدلي روعك يا سيدتي الملكة الفاضلة . لا تحمي اوار المعركة بين
هذين النبيلين . لأن ابن الحلال من يوفق بين الناس ولا يفرق .

الكردينال : انا اذاً ابن حلال ، لأني أريد دوام السلم مع حامي المملكة ، هذا المتجبر ، انما افرض هذا السلم بحدّ السيف .

كلوسستر (بصوت خافت للكردينال) : في الحقيقة يا عمي القديس ، لم تبلغ بنا الأمور هذا الحدّ .

الكردينال (بصوت خافت للدوق) : ما عليك إلا أن تجسر وتنقذ وعيدك .
كلوسستر (بصوت خافت للكردينال) : في هذه القضية ، لا تُحمّس قوماً من الدجّالين المنافقين . ردّ أنت بنفسك على هذه الالهانات والتطاولات .

الكردينال (بصوت خافت للدوق) : أجل ، انما أنت لست أهلاً للردّ ، وان كنت كذلك ، فكل أملي أن لا تتأخر هذا المساء عن الحضور الى طرف الغابة الشرقي .

كلوسستر (للكردينال بصوت خافت) : أنا بانتظارك ، أيها الكردينال المتججّح .
الملك هنري : ما هذا ، يا عمي كلوسستر؟

كلوسستر : كنا نتحدث عن الصقور ، وهذا كل ما في الأمر ، يا مولاي .
(للكردينال بصوت خافت) والله ، أيها الكردينال ، سأوسّع صلعتك ، أو تضيع مهارتي في امتشاق الحسام سدّى .

الكردينال (للدوق بصوت خافت) : أيها الطبيب عالج نفسك ، ويا حامي المملكة إحفظ رأسك .

الملك هنري : ها قد اشتدت الرياح ، وكذلك غضبكما ، يا سيديّ . أملي أن تضعاً حدّاً لهذه المهاترة التي يضيق بها صدري . عندما أسمع أوتار

حنجرتكما ترسل أصواتاً نشأداً كهذه ، أنى لي أن آمل بسماع لحن جميل ؟ أرجوكم ، يا سيدي ، أن تكفّا عن هذا النزاع وتعملا على إزالة كل خلاف بينكما .

يدخل أحد سكان ستلبان وهو يصرخ : معجزة ، معجزة .

كلوسستر : ما معنى هذا الضجيج ؟ أية معجزة تعني ، يا صديقي ؟
أحد السكان : معجزة ، معجزة ، معجزة .

سوفولك : اقترب من الملك ، وقل له ما هي هذه المعجزة ؟
أحد السكان : أعمى قد استردّ بصره عند زيارته رفات القديس ألبان ، منذ أقل من نصف ساعة . أعمى لم يرَ النور منذ ولادته .
الملك هنري : الحمد لله الذي يمنح النفوس المؤمنة نوراً بيدد الظلمات ، وتعزية تتغلب على القنوط .

يدخل محافظ ستلبان وزملاؤه ، ثم سمكوكس على مقعد يحمله شخصان وتبعه زوجته وجمهور من الناس .

الكردينال : ها هم أهالي المدينة مقبلين في موكب لتقديم الرجل الى جلالتك .
الملك هنري : عظيم هو عزاؤه على هذه الأرض ، مع أن بصره سيسهل له تكاثر ذنوبه .

كلوسستر : اقتربوا يا سادة ، واجلبوه الى جانب الملك الذي يسره أن يتحدث اليه .

الملك هنري : ايها الرجل الصالح ، اخبرنا بالأمر مفصلاً حتى يتسنى لنا أن نمجّد

الله. هل صحيح انك كنت فاقدا البصر منذ زمن طويل ، وانك الآن شفيت؟

سمكوكس : لقد وُلدتُ اعمى ، يا مولاي .

الزوجة : انا زوجته ، يا مولاي .

كلومستر : لو كنت والدته ، لتكلمتِ بسلطة اقوى .

الملك هنري (لسمكوكس) : أيس ولدت؟

سمكوكس : في برويك ، شمالي البلاد ، يا مولاي .

الملك هنري : مسكين ! لقد شملك الله بواسع رحمته ، فلا تدع نهاراً ولا ليلاً بدون أن تحمده وتمجده وتذكر ما غمرك به من نعمه .

الملكة مرغريت : قل لي ، أيها الرجل الصالح ، هل أتيت الى ستلبان بدافع التقوى أو قادتك الصدقة الى هنا؟

سمكوكس : قادتني الصدقة؟ يعلم الله ، يا مولاي . لقد هتف بي هاتف مئة مرة اثناء نومي كي أذهب الى القديس ألبان الذي كان يقول لي : تعال اليّ ، يا سمكوكس ، تعال وزر رفاقي ، وانا اشفيك .

الزوجة : أؤكد لكم ، أن هذه هي عين الحقيقة ، فكم وكم من مرة سمعت هذا الصوت يناديه هكذا .

الكردينال : ماذا أرى؟ هل أنت أعرج؟

سمكوكس : اجل ، يا مولاي . وأنتس العون من كرم الله .

سوفولك : وكيف صرت أعرج؟

- سمكوكس : لقد سقطت من أعلى شجرة .
- الزوجة : شجرة خوخ ، يا مولاي .
- كلوستستر : كم مرّ عليك من الوقت وأنت أعمى ؟
- سمكوكس : كنت على تلك الحالة منذ ولادتي ، يا مولاي .
- كلوستستر : وتسلفت الشجرة وأنت كذلك ؟
- سمكوكس : تلك كانت المرة الوحيدة في حياتي ، يوم كنت في أول شبابي .
- الزوجة : هذا صحيح ، ولقد دفع غالياً ثمن صعوده هذا .
- كلوستستر : لا بدّ أنك تحب الخوخ كثيراً لتقوم بهذه المغامرة .
- سمكوكس : مع الأسف الشديد ، يا مولاي ، كانت زوجتي تشتهي أكل الخوخ فحمّستني على التسلق والمخاطرة بحياتي .
- كلوستستر : تَبّاً لك من منافق محتال . لكن هذا كله لا يفيدنا . دعني اتفحص عينيك . اغمضها الآن . والآن افتحها . على ما أرى ، أنت لا تبصر بعد بكل وضوح .
- سمكوكس : لا ، لا ، يا مولاي . أنا أبصر جيداً بفضلته تعالى وفضل القديس ألبان .
- كلوستستر : أتظن ذلك ؟ ما لون معطني هذا ؟
- سمكوكس : احمر ، يا مولاي ، احمر مثل الدم .
- كلوستستر : أجل ، هذا صحيح . وما لون ثوبي ؟
- سمكوكس : اسود ، أي وربي ، أسود كالفحم .

- الزوجة : هو لم يرَ هذه الأشياء في حياته قبل اليوم .
- كلوستستر : قل لي يا محتال ، ما هو اسمي ؟
- سمكوكس : مع الأسف الشديد ، لا أعرفه ، يا سيدي .
- كلوستستر (يشير الى أحد المحيطين به) : ما اسم هذا الانسان ؟
- سمكوكس : لست أدري .
- كلوستستر (مشيراً الى غيره) : وما اسم هذا الآخر ؟
- سمكوكس : لا اعرف ، يا مولاي .
- كلوستستر : ما اسمك أنت ؟
- سمكوكس : سنذر سمكوكس ، يا مولاي .
- كلوستستر : هذا يكفي ، يا سنذر . أنت أكبر كذاب غشّاش في الكون يا قليل الحياء . لو كنت وُلدت أعمى ، لسهل عليك أن تعرف أسماءنا جميعاً ، وأن تعرف مختلف ألوان ملابسنا . النظر يميّز الألوان ، انما تعدادها كلها هكذا بغتةً هو أمر مستحيل . يا سادتي ، لقد صنع القديس ألبان هنا معجزة . لكن لا تفكّروا بأن تمكّن هذا المشوّه من الوقوف على قدميه مسألة عجيبة .
- سمكوكس : لماذا لا تصدقني ، يا سيدي ؟
- كلوستستر : يا سادتي سكان سنّلبان ، ألا يوجد رجال شرطة في مدينتكم ، أو ما يُسمّى سوطاً ؟
- المحافظ : أجل ، يا مولاي ، يوجد .

- كلوسستر : أرسلوا اذاً في طلب بعض رجال الشرطة على الفور .
- المحافظ : اذهب ، يا مغفل ، وأتني حالاً بأحد رجال الشرطة (يخرج أحد رجال الحاشية) .
- كلوسستر : ليذهب احدكم ويأتني بمقعد . (يؤتى بمقعد) والآن ، يا غبي ، اذا أردت ان تنجو من السوط عليك أن تقفز من فوق هذا المقعد وتنطلق .
- سمكوكس : آسف ، يا سيدي ، ان لا أستطيع الوقوف على رجلي . فأرجوك أن لا تعذبني بدون فائدة (يعود رجل الحاشية بصحة شرطي) .
- كلوسستر : اذاً أنا سأرد الحركة الى ساقيك . يا صديقي الشرطي ، أضربه بالسوط حتى يقفز من فوق المقعد .
- الشرطي : امرك مطاع ، يا مولاي . تقدّم ، أيها المحتال ، وعجل بتنفيذ ما أُمّرت به .
- سمكوكس : آسف ، يا سيدي ، ان لا أستطيع ذلك . أؤكد لكم أنني لا أتمكن من الوقوف على قدمي .
- (بعد أول ضربة سوط ، يقفز فوق المقعد ويهرب ، فيتبعه الجمهور صارخاً : معجزة ، معجزة) .
- الملك هنري : يا الهي ، أنت ترى ذلك وتغض النظر عنه !
- الملكة مرغريت بلقد أضحكني منظر هذا المناق وهو يقفز .
- كلوسستر : طاردوا هذا اللعين ، وجيثوني بهذه المغفلة .
- الزوجة : آسف ، يا مولاي ، ان نكون فعلنا ذلك بسبب فقرنا .

كلوسستر : اطردوهما ، واضربوهما بالسياط عبر شوارع المدينة حتى يصلا الى برويك من حيث أتيا . (يخرج المحافظ والشرطي وزوجة سمكوكس ، النخ) .

الكردينال : لقد صنع دوق همفري اليوم معجزة .

سوفولك : هذا صحيح . فقد جعل الأعرج يقفز ويطير .

كلوسستر : لكنك أنت اجترحت معجزات أكثر مني ، عندما طيرت يا مولاي ، ذات يوم مدناً عديدة برمتها .

يدخل بوكنكهام

الملك هنري : بأية اخبار تأتي ، يا ابن عمي بوكنكهام ؟

بوكنكهام : بأنباء يهلع قلبي لنقلها اليك . هناك زمرة اشرار منشغلة بأعمال سافلة تحت رعاية السيدة اليونور وبمساعدها ، بصفتها زوجة حامي المملكة ، وهي رأس هذه العصابة المدبر ، وقد انصرفوا الى أفعال هدامة تشكل خطراً على الدولة ، ما داموا قد لجأوا الى السحرة والمشعوذين ، وقد فاجأتهم بالجرم المشهود وهم يستحضرون من اعماق الأرض أرواحاً شريرة وأشخاصاً آخرين من مجلس جلالتك الخاص كما سأشرحه في حضرتك مفصلاً .

الكردينال (لكلوسستر) : وهكذا ، يا مولاي حامي المملكة ، أصبحت زوجتك الآن رهن التوقيف في لندن . وهذا النبأ على ما أظن سيفلّ حدّ سيفك القاطع ، وعلى الأرجح ، لن تتمكن ، يا مولاي ، من الذهاب الى موعدك .

كلوستستر: تباً لك من رجل دين مختال ، كفّ عن ازعاجي فالحزن يعصر
قوادي ويهدّ حيلي . وبما أُنّي أراي في هذه اللحظة مغلوباً على
أمري ، أتراجع امامك ، كما لو كنت أتراجع امام احقر خادم في
متزلي .

الملك هنري : يا إلهي ! كم من المظالم يرتكبها الأشرار ، وهم يجلبون الويل
والهلاك على رؤوسهم .

الملكة مرغريت :ها هوذا عَزّك يتدهور ، يا كلوستستر . فالأفضل لك أن تظل بعيداً
عن كل شبهة وملازمة .

كلوستستر: من جهتي ، يشهد الله ، يا سيلتي ، أُنّي أكنّ باستمرار كل المودة
والاحترام لمولاي الملك وأراعي دوماً مستوجبات المصلحة العامة .
اما زوجتي فلا علم لي بما قامت به ولا بما حلّ بها . انا آسف للوقوف
على ما علمت به الآن ، انها امرأة نبيلة ، لكنها نسيت شرفها
وفضائلها واتصلت باناس يلطخ مجرد التحدث اليهم ، مثل الزفت ،
كل نبل وسموّ . فأنا أنبذها من سريري ومن محيطي واسلمها الى
رجال القانون ليقتصوا منها لما الحقته من الخزي والعار باسمي انا
زوجها الشريف كلوستستر .

الملك هنري : هيا بنا لنستريح قليلاً هذه الليلة . وغداً نعود الى لندن لتفحص
الأمر بعمق ونستجوب هؤلاء المجرمين السمجين ونزن قبائحهم
بميزان العدل الذي لا تميل كفته إلا الى جهة الحق والصواب
(يخرجون) .

المشهد الثاني

في لندن داخل حديقة دوق يورك

يدخل يورك وسالزبري وورويك .

يورك : والآن . يا سيديّ الكريمين سالزبري وورويك ، بعد انتهاء عشاءنا المتواضع اسمح لي بالقيام بترجمة على انفراد لأخلو بنفسني . ثمّ أسألكما رأيكما في موضوع حقي بتاج انكلترا الذي لا أجد أنا أي اعتراض عليه .

سالزبري : اني متلهّف . يا مولاي . لسماع كل ما لديك قوله في هذا المجال .
ورويك : أبداً يا عزيزي يورك . واذا كانت حججتك دامغة . فان أسرة نافيل باكملها تقف الى جانبك وتساندك .

يورك : اسمعوا اذاً : لقد رزق ادوارد الثالث . يا مولاي . سبعة بنين : الأول : ادوارد الأمير الأسود ، أمير ويلز وليّ العهد ، والثاني : ولیم هاتفليد ، والثالث : ليونال دوق كلارانس ، ثم يليه : حتّا دي غان دوق لنكاستر ، والخامس : ادمون لنكلي دوق يورك ، والسادس : توماس وُدستوك .

دوق كلوسستر ، والسابع والأخير : ولیم وندسور . إلا أن ادوارد الأمير الأسود مات قبل أبيه مخلّفاً ابناً وحيداً هو ريشار الذي مات بعد ادوارد الثالث وتولى الحكم بصفته الملك حتى تمكن هنري بولنبروك دوق لنكاستر ، وهو الابن البكر والوريث الشرعي لحتّا دي غان . من

أن يتّوج ملكاً باسم هنري الرابع ، وقد استولى على الحكم بعد أن خلع الملك الشرعي ، وأعاد الملكة المسكينة الى فرنسا من حيث أتت ، وأرسل الملك الى بمفار حيث ، كما تعلمون جميعكم ، اغتيل ريشار المسالم بخيانة نكراء .

ورويك (لسالزبري) : لقد بيّن الدوق الحقيقة يا أبي . فهكذا حصلت اسرة لنكاستر على التاج .

يورك : والآن هي تتمسك به بالقوة لا بالحق . لأن ريشار الوريث والإبن البكر من صلب ادوارد ، بما أنه مات ، كان على ذرية الابن الثاني أن تملك .

سالزبري : لكن وليم هاتفيلد مات بدون وريث .
يورك : الابن الثالث دوق كلارانس ، الذي أطلب انا بتاجه ، رزق ابنة اسمها فيليّا تزوجت ادمون مرتيمور كونت مارش . ورُزق ادمون أولاداً هم : ادمون مرتيمور كونت مارش . ورُزق ادمون أولاداً هم : ادمون وحثّة وأليونور .

سالزبري : وادمون هذا ، في عهد الملك بولنبوك طالب بالتاج ، كما قرأت ذلك ، وكان تمكّن من اعتلاء العرش لو لم يحتجّزه ، أوين كلاندوير في الاسر حتى وفاته لكن ، لنستعرض الباقي .

يورك : وابنته البكر حثّة ، والدتي ، بصفتها وريثة التاج ، تزوجت ريشار كونت كمبريدج الذي كان ابن ادمون لتكلي ، خامس اولاد ادوارد الثالث . وانا باسمها أطلب بالتاج لأنها كانت وريثة كونت مارش الذي كان ابن ادمون مرتيمور زوج فيليّا الابنة الوحيدة من

صلب ليونال دوق كلارانس . اذاً ، اذا كانت ذرية الابن البكر هي التي يحق لها أن تخلف ، قبل ذرية الابن الثاني ، أكون أنا الملك .

ورويك : لا أوضح من هذا الاستنتاج . هنري يطالب بالعرش باسم حنا دي غان الابن الرابع . ويورك يطالب باسم الابن الثالث . وقبل أن تنطفئ شعلة اسرة ليونال ، لا يحق لأسرة حنا أن تملك ، وبما أن شعلة اسرة ليونال هذه لا تزال ملتهبة فستضيء بواسطتك وواسطة أبنائك سلالة هذا العرق الأصيل . اذاً ، يا أي سألزبري ، لتركع كلانا معاً في هذا المكان المتروى بالذات لنكون أول من يجيئ ملكنا الشرعي ، ونضعن لحقوقه الشرعية كوريث العرش .

كلاهما : ليحيا ملكنا ريشار عاهل انكلترا .
ورويك : نشكركم أيها اللوردات . لكني لست بملككم ما دمت غير متوج ، وما دام سيني لم يصطبغ بعد بأنقى دم في أسرة لنكاستر . وهذا ليس وليد هذه الساعة ، بل صنيع التبصر والسريّة الصامتة . احذوا حذوي في هذه الأوقات العصيبة الخطرة . اغمضوا اعينكم عن حماقات دوق سوفولك ، وعن تجبر بوفور وطموح سومرست وعن بوكنكهام وكل زمرة حتى تُسقط في الفخ راعي هذا القطيع مع حاشيته ، هذا الأمير المترمت المخايل دوق همفري . هذا ما يسعون هم اليه . وبينما يبحثون عن ذلك سيلقون الموت الزؤام ، إن صحّت توقّعاتي انا يورك المتحفّظ المتوثّب .

سألزبري : تعال ، يا مولاي ، نتصر هكذا . فنحن نعرف جيداً ما تضمّره وتفكر به .

ورويك : قلبي يحدثني بأني أنا كونت ورويك ، سأجعل من دوق يورك ملكاً
مهاباً .

يورك : وأنا يا نافيل . أقول لنفسني ان مصير ريشار ، ان يصبح كونت
ورويك أكبر شخصية في انكلترا بعد الملك . (يخرجون) .

المشهد الثالث

في لندن ، داخل قاعة المحكمة

يسمع صوت ابواق . يدخل الملك هنري والملكة مرغريت وكلوستر ويورك
وسوفولك وسالزبري ، ثم دوقه كلوستر ومرجري جوردن وساوثويل وهيوم
وبولنبروك تحت الحراسة .

الملك هنري : تقدمي ، يا سيدتي اليونور كُبهام زوجة كلوستر . فان جرمك
فطيع امام الله وامامنا ، وتقبلي عقابك بموجب القانون ، على ما
اقترفته يدك من ذنوب تقضي عليك حسب شريعة الله العادلة
بالموت الزؤام (لمرجري وللسجناء الآخرين) انتم الأربعة ستعودون
الى السجن ، ومن هناك تُقادون الى تنفيذ الحكم فيكم . فالساحرة
سُتعدم حرقاً وتحوّل الى رماد في سميثفيلد ، وانتم الثلاثة سَتُعدمون
شنقاً . اما أنت يا سيدتي فما أنك انبل أصلاً فستجردين من جميع
الألقاب طوال حياتك الباقية وبعد ثلاثة أيام من التوبة العلنية
سُتُنقِى عن وطنك الى جزيرة «مان» تحت حراسة سير جون
ستانلي .

الدوقة : أهلاً ومرحباً بالنبي ، وأهلاً ومرحباً بالموت .

كلوسستر : كما ترين يا اليونور ، سينفذ بك حكم العدالة ، وانا لا يسعني ان ابرىء من ادائه القانون . (تخرج الدوقة ويتبعها السجناء الآخرون يحيط بهم الحرس) . الدموع تملأ عيني والألم يعصر قلبي عصراً . تباً لي ، انا همفري لأن هذا العار يثقل شيخوختي بوقر العذاب ويحني رأسي الذليل الى الأرض . فأنتمس من جلالتك السماح لي بالإنصراف ، اذ إن آلامي تفتقر الى المواساة وشيخوختي تحتاج الى الراحة .

الملك هنري : قف ، يا همفري دوق كلوسستر ، وقبل أن تمضي سلمني عصاك ، فأنا هنري ، أريد أن أكون حامي نفسي . وحسبي الله أن يكون ملاذي وأملي وسندي ودليلي ، والمنار الذي يهدي خطاي . اذهب اذاً بسلام يا عزيزي همفري . لأنني لا أزال احبك كما كنت ، قبل أن تفقد منصبك كحامي المملكة .

الملكة مرغريت : انا لا أفهم لماذا يجب على ملك مثلك في سنّ تؤهله للحكم ان يظل تحت الحماية كأنه طفل صغير . أسأل الله أن يكون في عون الملك هنري ليقود سفينة انكلترا الى مرفأ الأمان . ردّ ، يا سيدي ، الى الملك هذه العصا والمملكة التي تخصّه .

كلوسستر : عصاي أنا؟ ها هي ، يا هنري النبيل . فأنا اتنازل بطيبة خاطر عنها مع أن والدك هنري سلمني اياها ، واضعها عند قدميك راضياً كما سيستلمها غيري من لديهم طموح ربما أكثر مني . وداعاً ايها الملك

الكريم ، واثناء غيايي أسأل المولى أن يمنّ عليك وعلى عرشك بالسلم والمجد . (يخرج) .

الملكة مرغريت : أخيراً ، أصبح هنري ملكاً ومرغريت ملكة . ولم يعد همفري دوق كلوسستر كما كان ، لأنه تحطّم بقساوة اذ تلقى ضربتين في آن واحد : نفيت زوجته وهي ساعده الأيمن ، ثم انتزعت منه عصا الشرف والنفوذ هذه التي أرجو من الآن وصاعداً ان تظل حيث يجب أن تكون في يد هنري .

سوفولك : هكذا انهارت هذه الشجرة الشائخة وتكسّرت أغصانها . وهكذا سُحق كبرياء اليونور وقضى في عز شبابه وعنفوانه .

يورك : لا تهتمّوا للأمر ، يا سادتي . فقد حان اليوم موعد القتال . والمتحدي والمتحدّي كلاهما مستعدّان لخوض المعركة ، اذا رضيت جلالتك ان تحضر القتال .

الملكة مرغريت : أجل . يا مولاي العزيز . وسأغادر البلاط بقصد مشاهدة نهاية هذه المشاجرة .

الملك هنري : بحق السماء ، أرجو أن تجري الأمور على ما يرام ، وأن تنتهي المسألة عند هذا الحد ، وأن يكون الله في عون من بجانبه الحق .

يورك : لم أشاهد في حياتي ، يا سادة ، من يستحق الشفقة ويخشى القتال أكثر من هذا المتحدّي .

من جهة يدخل هورنر يحيط به جيرانه الذين شربوا نخبه حتى سكر هو . فيدخل حاملاً عصاه وقد رُبط بها كيس من الرمل ، ويتقدّمه طبل . ويدخل

من جهة أخرى بطرس يتقدمه طبل أيضاً وفي يده عصا مشابهة ، يرافقه بعض
الاجراء وهم يشربون نخبه .

أول جار : ها أنا أشرب نخبك ، يا جاري هورنر ، كأساً من الخمرة طافحة ،
فلا تخف ، يا صاح ، ستخرج من هذه المعركة بأمان .

ثاني جار : وهذه كأس ثانية من الخمرة اشربها نخبك .

ثالث جار : وهذه كأس كبيرة من الجعة اشربها انا نخبك ، فلا تخف من
خصمك المتمرن .

هورنر : الى العمل اذاً . اني اعلمكم جميعاً ، وازدري ببطرس .

الاجير الأول : ها أنا أشرب نخبك يا بطرس ، فلا تخف .

الاجير الثاني : إفرح ، يا بطرس ، ولا تخش بطش سيدك ، بل قاتل لأجل شرف
الاجراء .

بطرس : اشكركم جميعكم وارجو ، وانتم تشربون نخبتي ، أن تصلوا لأجلي ،
اعتقد بأنني شربت الآن آخر جرعة لي في هذه الدنيا . فإن متُّ يا
« روبان » ستأخذ مئزري ، وأنت يا « ول » ، ستأخذ مطرقي ،
وأنت يا « طوم » ستأخذ ما لديّ من مال . ارحمني يا إلهي . أنا
أتضرع الى الله لأنني لن أقوى أبداً على معاندة معلمي والتغلب
عليه . وهو متمرس في امتشاق الحسام .

سالزبري : هيّا ، كفّوا عن الشرب ، وباشروا الضربات . ما اسمك يا مغفل ؟

بطرس : اسمي بطرس .

سالزبري : وما هو لقبك ؟

- بطرس : الضارب .
- سالزبري : اجتهد اذاً ان تضرب معلمك جيداً ، يا ضارب .
- هورنر : لقد جئت الى هنا ، يا سادتي ، كأن اجيري يَحْمَسني كي اثبت له أنه غبي ، واني رجل شريف . اما ما يتعلق بالدوق يورك ، فأنا أودّ ان أموت لو ضمرت أي شرّ له أو للملك أو للملكة . وبالنتيجة ، ترقّب ، يا بطرس ، ان تتلقّى طعنة نجلاء .
- يورك : عجلّوا ، فإنّ لسان هذا المسكين يكاد ينقعد . انفخوا في الابواق واعطوا اشارة البدء للمقاتلين . (تسمع موسيقى انداز . ويشتبك المقاتلان فيطرح بطرس معلمه أرضاً) .
- هورنر : قفْ ، يا بطرس ، قفْ . انا أقرّ بخيائتي (يموت) .
- يورك : (يشير الى بطرس) : جرّدوه من سلاحه . اشكر ربك ، يا صاح ، فالخمرة قد جعلت سيدك يتعرّ ويخرّ صريعاً .
- بطرس : يا الهي . لقد انتصرت على أعدائي امام هذا الجمع . وأنا بطرس الضعيف قد فزت بالحق .
- الملك هنري : هيا خذوا هذا الخائن القليل بعيداً عني . لأنني من خلال موته أرى جرمه . ولقد أوحى الله اليّ من خلال عدالته ما يتحلّى به هذا الشاب من وفاء وبراءة ، وقد ازمع ان يهلك ظلماً . تعال ، يا صديقي ، واتبعني لكي تنال مكافأتك . (تصدهح الموسيقى ويخرج الجميع) .

المشهد الرابع

في لندن، وسط ساحة عامة

يدخل كلوستر وخدمه جميعهم ثياب الحداد.

كلوستر: هكذا يججب الغيم أحياناً اسطع الاضواء. وهكذا بعد الصيف يأتي الشتاء القاحل مصحوباً دائماً ببرده القارس المزعج. وهكذا تتراكم الهموم والاحزان على مرّ الفصول المتلاحقة. كم الساعة الآن يا أصحاب؟

خادم: الساعة العاشرة، يا مولاي.

كلوستر: لقد حانت الساعة المعيّنة لانتظار مرور الدوقة المحكوم عليها. ويحي، لن يتسنى لها تحمّل حصى الطريق الذي عليها أن تطأه بقدميها الناعمين. يا عزيزتي نلّي، على نفسك الرفيعة أن تتحمل مضايقة هذا الشعب السافل، الذي ينظر اليوم اليك بعيون ساخرة حاقدة تزدري مصيبتك، وهو الذي كان يتبع دواليب عربتك الفخمة يوم كنت تحترقين الشوارع بعزّة وافتخار. لكن، رويداً، اعتقد بأنها آتية، وعليّ أن اهيمى عينيّ الدامعتين لرؤية كاتبها ويؤنسها.

تدخل دوقة كلوستر مرتدية كفنّاً ابيض وعلى ظهرها لوحة مكتوبة، وهي حافية القدمين وييدها مشعل ملتهب، يرافقها سير جون ستانلي وشرطي وضابط.

خادم (لكلوسستر): اذا امرت ، يا مولاي ، نحن مستعدون لأن نختطفها من حراسها .

كلوسستر: كلا ، لا تبلو حراكاً . بحياتكم ، دعوها تمر بسلام .

الدوقة : هل أتيت ، يا مولاي ، لتشهد تحقيري امام الجمهور ؟ أنت الآن تكفر عن ذنوبك . انظر كيف يتطلعون اليك . انظر كيف يشير اليك هذا الجمع المتذر بأصابه ، والى هذه الرؤوس المتحركة التي تثرثب اليك . آه ، يا كلوسستر ، أغرب عن انظارهم الحاقدة واحبس ذاتك في حجرتك لتبكي هذا العار وتلعن اعداءك وهم في الوقت نفسه اعدائي أنا أيضاً .

كلوسستر: صبراً يا نلي اللطيفة ، إنسي هذا الشقاء .

الدوقة : آه ، يا كلوسستر ، علمني كيف أنسى ذاتي . لأني عندما أفكر بأني زوجتك الشرعية ، وأنت أنت أمير وحامي المملكة ، يحل الي أن قدرتي حتم علي أن أتجول هكذا متلبسة بثوب الدناءة وعلى ظهري لوحة مكتوبة ، وحنالة الناس تبغني مبتهجة بمشاهدة دموعي وسماع أنات صدري العميقة . ان الحصى القاسي يوجع قدمي الناعمتين ، وعندما اتعثر أرى الحساد يمزحرون ويتطلبون مني ان أكون حذرة حيث أسير . آه ، يا همفري ! هل يسعني ان احمل هذا النير الثقيل من الذل ؟ هل تظن أنني قادرة على مواجهة العالم أو الحصول على السعادة والتمتع بنور الشمس ودقتها ؟ كلا ان نوري أصبح من الآن وصاعداً ظلاماً دامساً . وجحيمي هو تذكري ايام العظمة والرخاء . احياناً اردد على نفسي أنني زوجة دوق همفري وهو امير

رفيع الشأن وسيد البلاد. لكن مع أنه سيد وامير ظل ساكن
الأعصاب، بينما أنا دوقته، أمسيت ضحية. وكنت موضوع
الاعجاب وقبلة الانظار، فبت أضحوة أدنى حقير وسخرية كل
منحط. فعليك أن تظلّ هادئاً ولا يجرّ وجهك خجلاً من عاري،
ولا يقلق لك بال على مصيري، فلن يحصلك منجل الذل والموت،
كما هو حالي حتماً في القريب العاجل. لأن سوفولك القادر على كل
شيء، وعلى الحقد الذي شملنا كلنا به، هو ويورك والجاحد بوفور
رجل الدين المزيّف، جميعهم قد ظلّوا الشجرة بالدبق ليصطادوك
كالعصفور حين يلصق جناحك به، ومهما حاولت بعد ذلك أن
تطير فعبثاً، سوف تصبح اسير اهوائهم، لا تقلق ولا تحف أن تقع
في الفخ، ولا تحاول ان تنبّه الى ذلك اعداءك الكثيرين.

كلوستستر :

اصمتي، يا نلي، وأقلعي عن هذا المنطق السخيف. لا بد لي من
أن أكون حقاً مذنباً حتى اعاقب هكذا. وعندما يمسي لي عشرون
ضعف ما لي الآن من أعداء، ويصبح لكل منهم عشرون ضعف ما
لهم الآن من نفوذ، لن يقوى كل ما حولي على مسّي ما دمت محافظاً
على وفائي واماتي التي لا يطالها أي لوم. هل ترغبين في أن انتشلك
من هذا التدهور؟ على كل حال، لن يمّحي عارك وستطالني
العدالة إن أنا حاولت أن ادوس القوانين. فالازعان، يا نلي
اللطيفة، هو أول عون لك. أرجوك أن تتعودي على الصبر وطول
الاناة، لأن هذه الفضيحة لن تدوم سوى أيام، ثم تمر وتنتسى.

يدخل حارس شاكي السلاح

- الحارس : مطلوب من سيادتك أن تذهب الى مجلس جلالته الذي سيلتئم في « بري » في مطلع الشهر القادم .
- كلوستستر : لم يطلب احد موافقتي على ذلك قبلاً . يا له من اسلوب مريب .
 مهما كان الأمر ، سأذهب (يخرج الحارس) . عزيزتي نلّي ،
 استأذنك بالانصراف . ويا ايها الحارس ، أرجو أن لا يتعدّى عقابي
 حدود اوامر الملك .
- الحارس : هنا تنتهي مهمتي . لأن سير جون ستانلي هو المكلف حالياً باخذها
 الى جزيرة « مان » .
- كلوستستر : هل أنت يا سير جون ستسهر على زوجتي ؟
 ستانلي : أجل ، تلقيت الأوامر بهذا المعنى .
- كلوستستر : لا تكن قاسياً كثيراً عليها . أرجوك أن تحسن معاملتها . اذ ربما ابتسم
 لي الدهر يوماً ، فيمكنني أن أردّ لك جميلك حينذاك ، إن رفقت
 بحالها ، وعلى هذا الأمل اودّعك يا سير جون .
- الدوقة : هل تمضي ، يا مولاي ، بدون أن تودعني ؟
- كلوستستر : دموعي أسطع دليل على أنني لم اعد قادراً على الكلام (يخرج
 كلوستستر وجماعته) .
- الدوقة : ها أنت ذاهب ؟ وكل آمالي قد ذهبت معك ، فلم يبقَ لي من
 رجاء . فرحي أضحى الموت الذي كان يتابني الملح لجرد سماع
 ذكره ، لأنني كنت آمل بأن تدوم حياتي الرغبة الى الأبد . أرجوك

- يا ستانلي أن تذهب وتأخذني معك من هنا . لا يهمني الى أين ، لأنني لم أعد التمس أية منة ، فقط خذني الى حيث أمرت أن تقتادني .
- ستانلي : وجهتنا ، يا سيدتي ، هي جزيرة «مان» حيث ستلقين معاملة تناسب وضعك .
- الدوقة : سأعامل اذاً معاملة سيئة ، لأنني لم اعد أعتبر سوى امرأة حقيرة ، وستكون معاملتي ذليلة .
- ستانلي : بل كدوقة وكزوجة دوق همفري . فبموجب هذه الصفة ستكون معاملتك هناك .
- الدوقة : وداعاً أيها الحارس . أتمنى لك سعادة أكثر من التي انعم الآن بها ، وإن تكن المنفذ الوحيد لما آلت اليه حالتي التعيسة .
- الحارس : لقد قتت بوظيفتي . فأطلب منك السماح .
- الدوقة : اجل الوداع . وقد اتممت مهمتك . فهياً ، يا ستانلي . نذهب .
- ستانلي : وأنت ، يا سيدتي ، انتهى عذابك وتكفيرك . اخلي عنك هذا الكفن ، وارندي ثياباً يقتضيها السفر .
- الدوقة : انما لن أخلع عاري مع هذا الكفن ، لأنه ملتصق بأغلى معاطفي ثمناً . ومهما ارتديت من ألبسة ، ستظهر اماراته دوماً علي . هيا افتتح المسيرة إذ إني اهفو الى رؤية سجن . (يخرجان) .

الفصل الثالث

المشهد الأول

داخل كنيسة ستنموند في «بري»

تسمع موسيقى. يدخل الملك هنري الى المجلس مع الملكة مرغريت والكردينال بوفور وسوفولك ويورك ويوكنكهام وغيرهم.

الملك هنري : أنا متعجب لعدم حضور كلوسستر بعد. فليس من عادته أن يكون آخر القادمين، مها كان سبب غيابه في هذه المرة.

الملكة مرغريت : أولا ترى في أي وضع هو الآن؟ أولم تلاحظ غرابية وتبدلاً في طباعه، وما يتحله من عظمة وكبرياء منذ مدة. كم أصبح وقحاً ومتعالياً ومدعياً! لقد تغير تماماً. أنا لا أزال أذكر كم كان لطيفاً متودّداً. فلمجرد إلقاء نظرة عليه كان يجثو حالاً، وكل البلاط كان معجباً بخضوعه. أما حالياً فإذا صادفته في الصباح مثلاً حين يتمنى كل إنسان لغيره نهراً سعيداً، تراه يقطب حاجبيه ويبغتاظ ويمر صامتاً منتصب القامة لا ينحني رغم ما يتوجب عليه من احترام نحوي. عادة أنا لا أكثرث للسفهاء الصغار مها شاغبوا، بينما يرتجف الكبار عندما يزأر الأسد. وهمفري في انكلترا ليس صعلوكاً

نكرة. لاحظ أنه من ناحية اسرته ، هو أقرب النبلاء اليك. وإذا سقطتَ فهو أول من يصعد الى مستواك. لذلك ، إن أخذنا بعين الاعتبار الحزازات المعشعشة في الصدور والامتيازات التي ستستيع وفاتك بعد العمر الطويل ، بالنسبة الى وضعه العائلي ، اعتقد بأن السياسة تقضي بأن لا تقربه كثيراً الى شخص جلالته ، وان لا تقبله في مجالسك. لقد اكتسب قلوب النبلاء بحلاوة لسانه وتمليقه. وحين يحلو له أن يخلق مشكلة لا يستبعد ان ينحاز اليه الجميع. ها قد أقبل الربيع ، ولم تقتلع الأعشاب الضارة إلا سطحياً. فاذا تركتها تنمو ستحتاج كل الحديقة وتتحق النباتات الصالحة في غياب كل عناية ويقظة. ان ما احفظه لك من فائق المودة والاحترام ، يا سيدي ، جعلني اكتشف جميع هذه الاخطار التي يهددك بها الدوق. وان كان ما أبديه وهماً فيمكنك أن تعتبر ذلك هاجساً نسائياً. واذا استطعت أن تبدد هذه المخاوف بموجبات محسوسة فأنا مستعدة لأن أسلم بها ، وان اعترف بأني أسأت الظن بالدوق خطأً. يا سادتي سوفولك وبوكنكهام ويورك ، أرجوكم أن تدحضوا ادّعائي اذا وجدتم الى ذلك سبيلاً ، وإلاّ تقوا بصدق اقوالي.

سوفولك : إن سموك تدينين هذا الدوق بحق ، ولو كنتُ الأول في التصريح عن افكاري ، لما تأخرت عن قول ما تحدثت به أنتِ يا صاحبة السيادة. فالدوقة استسلمت الى هذه الاعمال الجهنمية بناء على تحريضه. واقسم بشرفي ، إن لم تكن شريكته في جرائمه ، فهي على الأقل ، بقدر ما كانت تذكر رفعة حسبها كاحدى أقرب نسيات

الملك وكوريثة شرعية تفاخر بنبل اسرتها ، تراها قد اندفعت ، هي الدوقة المهووسة المريضة العقل الى حياكة الدسائس بأساليب مجرمة لإسقاط ملكنا المحبوب . فلما يجري بهدوء حيث التيار عميق ، وتحت المظاهر الملكية ، هو نظيرها لم يتورع عن اللجوء الى الخيانة . فالتعلب لا يعوي إلا عندما يريد اختطاف الحمل . لا ، لا ، يا ملكي ، ان كلوسستر رجل ليس لحيله من قرار ولا للؤمه من حدود .

الكردينال : أولم ينتدع ، خلافاً لما ينصّ عليه القانون ، ميتات شنيعة شرسة لمعاقبة جُنح تافهة ؟

يورك : أولم يجمع اثناء قيامه بحماية الملكة ، مبالغ طائلة مدعياً دفعها لجنود فرنسا ، ولم يرسلها اليهم مطلقاً ؟ وهذا ما حدا بالمدن كل يوم الى اعلان العصيان .

بوكنكهام : هذه هفوات صغيرة بالنسبة الى الاخطاء الكبيرة المجهولة التي ستكشفها الأيام القادمة عن دوق همفري الذي يتظاهر باللطف والبراءة .

الملك هنري : اسمح لي بكلمة ، يا مولاي . ان المهمة التي تبذلها في حصد الاشواك التي قد تنجح الأرجل ، تستحق المديح . أما من ناحية الضمير ، فان نسيينا كلوسستر بريء من كل نية خيانة بحق شخصي كملك ، أكثر من الحمل الوديع أو الحماة المسالمة . الدوق رجل فاضل ناعم وساعٍ الى الخير ، ويستبعد ان يضمّر الشر أو أن يبغي الأذى .

الملكة مرغريت : ليس من أمر أخطر من هذه الثقة العمياء التي توليه اياها . هل حقاً

يدل مظهره على أنه يشبه الحمامة؟ في هذه الحالة يكون ريشه مستعاراً لأن غريزته تجعله كالغراب الحقود. هل هو حمل؟ هنا أيضاً يكون البعض قد خلع عليه حتماً جلد الحمل، ما دامت ميوله تحاكي جشع الذئب المفترس. قل لي أي سارق لا يعرف كيف يختلس ثروة؟ فاحذره يا مولاي، لأن سلامتنا جميعنا متعلقة بإبعاد هذا الرجل اللئيم الغدار.

يدخل سومرست

سومرست : أجمل التحية للمليكي المحبوب

الملك هنري : أهلاً ومرحباً بك يا لورد سومرست. ما هي انباء فرنسا؟
سومرست : كل أملاكك على تلك الأرض قد انتزعت منك بدون استثناء.
وضاع كل شيء.

الملك هنري : هذا خبر محزن، يا لورد سومرست. لكن هي مشيئة الله ولا مردّ لحكمه.

يورك (على حدة) : النبأ يكلّني أنا أيضاً، لأنني كنت معتمداً على فرنسا بقدر اتكالي على انكلترا الخصيبة. هكذا ذوت أزهار آمالي وهي بعد براعم، والتهمّ اللود اوراقها وهي في أبهى حلة من الاخضرار. انما سأعالج قريباً كل هذه المشاكل أو استبدل لقبى بقبر مجيد يضم رفاقي.

يدخل كلوستر

كلوستر : أتمنى كل السعادة لمولاي الملك. سامحني يا صاحب الجلالة على تأخري.

سوفولك : لا ، يا كلوسستر ، نحن نعلم أنك كنت قادراً على الوصول قبل الآن أيها المختال المنحرف. أنا ألتقي عليك القبض هنا مجرم الحياة العظمى .

كلوسستر : حسناً ، يا سوفولك ، لا تتظر أن تراني احمرّ خجلاً ولا أغيرّ معالم وجهي ارتباكاً. لأن القلب النقي لا يرتعش للتوافه. والنبع الصافي بعيد عن الأوحال كبعدي أنا عن كل خيانة بحق مولاي الملك . من يستطيع أن يتهمني ؟ وما هو ذنبي ؟

يورك : يُظنّ ، يا مولاي ، أنك قبضت رشوة من الفرنسيين ، وبصفتك حامي المملكة احتفظت برواتب الجنود ، وهذا أدّى الى افقاد جلالته أرض فرنسا .

كلوسستر : هذا ما يُظنّ . فمن هم الذين يظنون ذلك ؟ أنا لم آخذ أبداً رواتب الجنود ولم اقبض اية اكرامية من فرنسا . لا ساعخي الله ، إن لم أكن قد سهرت الليالي تلو الليالي في العمل لخير انكلترا . أرجو ان يكون كل فلس هضمت به حق الملك أو كل درهم حوّله الى غير محله عقاباً لي يوم الدينونة . لأنني ، بالعكس قد صرفت مراراً من جيبي وانا لا أريد أن احملّ الخزينة العامة المفتقرة أي عبء . أجل لقد دفعت المبالغ الضخمة لتسديد رواتب الجنود ، ولم أشأ أبداً أن استعيض عنها من أي باب .

الكردينال : كل هذا جميل وسهل قوله ، يا مولاي .

كلوسستر : انا لا أقول سوى الحق ، والله شاهد على صدق كلامي .

يورك : اثناء ممارستك حماية المملكة ، ابتدعت لتعذيب المحكومين طرقات لم يسمع بها بشر ، ولوثت شرف انكلترا بالظلم والطغيان .

كلوستستر : يعرف الجميع اني طوال مدة حياتي ، كانت الشفقة نقطة ضعفي الوحيد لأنني كنت أرق للموع المذنب ، وكانت تكفيني بضع كلمات توبة كفدية وكفارة عن اخطائه . إلا اذا كان مجرمًا سفاك دماء ، أو لصاً جسوراً خطراً قد سرق اموال المسافرين المساكين ، فلم أكن أفرض عليه عقاباً صارماً . لا انكر أنني عذبت القاتل لأنه مجرم سفاك ، أكثر من أصحاب جنح الجون أو غير ذنوب .

سوفولك : يا مولاي ، من السهل جداً أن يرد المرء دفاعاً عن هذه الاتهامات ، انما تُنسب اليك يا كلوستستر جرائم خطيرة لا يسعك أن تنكرها أو تكفر عنها بسهولة . لذا أنا ألتقي القبض عليك باسم صاحب الجلالة واسلمك فوراً الى حراسة مولاي الكردينال حتى يحين موعد محاكمتك .

الملك هنري : يا مولاي كلوستستر ، كل أمني أن تسقط عنك كل شبهة . لأن ضميري يتحدثني بأنك بريء .

كلوستستر : مولاي الكريم ، ان هذه الازمنة عصيبة . والفضيلة ينقنها الطمع الأسود ، كما أن الحجة يطردها الحقد اللثيم ، والفساد المدمر يسود في كل مكان ، والانصاف هجر هذا العالم المجهول بالفوضى . أنا أدري ان مؤامرة اخصامي تستهدف القضاء على حياتي . ولو كنت واقفاً بأن موتي يسعد هذا البلد ويضع حداً لاستبدادهم لكنت راضية به قانعاً . لكن موتي سيكون مقدمة لمهازلهم ولألف تمثيلية خداعة

غيرها. ومن لا يرتاب بعد هذا الخطر الداهم ، لا يمكنه ان يستشف المأساة التي يعلّونها. ان عين بوفور الحمراء يتطاير منها الشرر وتنتوء بما يضمه قلبه الحقود من سوء ، كما هو حال صدر سوفوك المراوغ الذي تملأه الضغينة. أما بوكنكهام الساخر فانه يخفف بالكلام المموه ، وقر الحسد الذي يطغى على ضميره الواسع ويشير اليّ بيده المجرمة مهدداً حياتي بما يطلقه عني من التهم الباطلة القائلة. وأنتِ نظير الآخرين ، يا سيدتي ، كدّمتِ بدون سبب على رأسي كل البلايا ، وبذلتِ جهدي لتثيري علي غضب مليكي المحبوب وعداءه. أجل ، لقد اتفقتم جميعكم على الاطاحة بي. وانا بذاتي علمت بتشاوركم بغية القضاء علي والتخلص مني انا البريء. ولن تعلموا شهود زور لإدائتي ، ولا خيانة مزعومة تلصقونها بي لزيادة الطين بلة. وما أصدق من قال : لضرب الضعيف ترى العصا ذوماً جاهزة.

الكردينال : يا مولاي الملك ، هذه الحجج غير معقولة ولا مقبولة. لو كان الخلصون الذين ييغون انقاذ جلالتك من خنجر الغدر والخيانة وحقد الجحود يقابلون هكذا بالتأنيب والاهانة وسوء الظن ، أوكد لك أن الوثوق بكلام الجاني يثبط همهم ويفتر حماسهم في خدمة شخصك ومصالح عرشك.

سوفوك : أولم يوجّه الاهانات الى سيدتي الملكة ؟ وإن تكن هذه الاهانات مصاغة بأرق الكلمات وألطف المعاني ، وهو يردّد مراراً وتكراراً ادّعاءه الولاء وحسن النية المبطنة بأسوأ الاهواء المؤدية الى الابداء والدمار.

الملكة مرغريت : لكنني أسمع لنفسني بسمع شكوى الخاسر في هذه اللعبة .
كلوستستر : الكلمة أصدق مما تتصورين . أنا خاسر بالفعل . انما الويل للرابح
الذي خدعني ، مع أن من يخسر هكذا يحق له أن يعترض .
بوكنكهام : ها هو ينوي التبيج والمراوغة والمداهنة طوال النهار على ما يظهر .
مع أنه سجينك يا مولاي الكردينال .
الكردينال (لرجاله) : خذوا الدوق واحرسوه جيداً .

كلوستستر : يؤسفني أن أرى الملك هنري قد رمى بعكازه قبل أن تشتد ساقاه
وتصبحان قادرتين على حمله . وهكذا يكون الذئب قد طردوا
الراعي الأمين وأبعده عنك ليتسنى لهم أن يرفعوا عواءهم ويثبوا
عليك ليغرزوا انيابهم فيك ويفترسوك . آتمنى أن تكون مخاوفني في
غير محلها ، بل أسأل الله أن أكون واحماً . لكنني على يقين بأنني أرى
الامور بكل وضوح ، أيها الملك الكريم ، وأشعر بأن اعداءك يبعون
اسقاطك واهلاكك . (يخرج كلوستستر بمعية الحراس) .

الملك هنري : ارجوكم ، يا سادة ، ان تتصرفوا حسب ما تمليه عليكم حكمتكم .
يمكنكم أن تأمروا وتهوا هنا باسمي كأنكم شخصي بالذات .

الملكة مرغريت : هل تريد جلالتك أن تغادر هذا المجلس ؟

الملك هنري : نعم ، يا مرغريت ، فالألم يعصر قوايدي ، وتوشك أمواجه المتلاطمة
أن تفيض دموعاً من عيني . وأحس بأن الشقاء يجثم كالكابوس على
صدري ، لأن لا عذاب يفوق عدم الرضى . تباً لك ، يا عمي
همفري ، أرى على محياك سمات الشرف والصراحة والوفاء ، وحتى

هذه الساعة لم تفسح لي المجال لأشكّ بشخصك وباخلاصك ، يا همفري الكريم. فهاذا حدث لك حتى انقلبت عليّ وضمرت لي الشر ، فتألب عليك هؤلاء اللوردات مع ملكتي مرغريت ، وباتوا يرومون طمس براءتك ويسعون الى ازالته من الوجود. اعتقد بأنك لم ترد شراً لا بهم ولا بأي احد. وكما يأتي الجزار بالحمل المسكين ويربطه ويصرعه عندما يتعد عن طريق المسلخ الدامي ، هكذا يتترعك هؤلاء القساة من هنا. وكما تلهث الأم راكضة وهي تجدد في البحث عن ولدها البريء الضائع ، لا يسعها إلا النحيب والبكاء على فقده ، هكذا أنا آسف لسوء حظك يا كلوستستر ، واذرف الدمع السخين بدون أن اقوى على انقاذك يا عزيزي. اني انظر اليك بعيون دامعة وانا عاجز عن ردّ عدوان اخصامك عنك ، لا استطيع سوى التنهّد والتلهّف على مصائبك. وبين دمعة ودمعة أقول وأردّد: ان كان فعلاً هناك من خائن فحتماً لست أنت يا كلوستستر (ينخرج).

الملكة مرغريت : ايها اللوردات ، انتم بعيدون عن كل شبهة ، فالثلج البارد يذوب في حرارة الشمس المحرقة. ومولاي هنري بارد تجاه اهم مصالحه ، وعطوف على توسلات هذا المهووس. وظواهر كلوستستر تبهره نظير التمساح المتباكي الذي يوقع المسافرين الشفوق في فخ تنهّداته ، أو كالحية الرقطاء التي تحتني بين الزهور الملونة الجذابة وتلسع الولد الذي يتأمل جمالها. صدقوني ايها اللوردات ، لو لم يوجد من هو اعقل مني ، وفي هذا المجال اعتقد بأنني عاقلة كفاية لما أمكن

التخلص من كلوسستر هذا ومن المخاوف التي يوحى بها لثومه
الغدار.

الكردينال : القضاء عليه اذاً ، في نظري أنا أيضاً ، هو أفضل سياسة . انما
تنقصنا حجج الادانة . فلا بد من من يحاكم بموجب القوانين
المرعية الاجراء .

سوفولك : انا اعتقد بأن هذه ليست سياسة حكيمة . لأن الملك يسعى دائماً
لانتقاذ حياته ، والنواب يعترضون ويسعون الى تخليصه ، ونحن ليس
لدينا سوى حجة واهية هي الشك لتبرير الحكم عليه كمجرم .
يورك : اذاً اتم لا ترومون التخلص منه .

سوفولك : ما هذا الكلام يا يورك ؟ لا احد مثلي يودّ القضاء عليه .

يورك (على حدة) : انا من صالحى أكثر من سواي أن يموت . انما ارجو مولاي
الكردينال كما أرجوك أنت يا مولاي سوفولك ، أن توضحوا لي
رأيكم وتكلموني بمنتهى الصراحة . أولاً يكون تكليف نسر حائم
بمحاجة دجاجة من حداة جائعة أفضل من ابقاء همفري في منصب
حامي الملك والمملكة ؟

الملكة مرغريت : في هذه الحالة تكون الدجاجة على يقين بأن موتها العاجل محتم .

سوفولك : هذا صحيح يا مولاتي . أوليس من الغباء ان نوكل الى ذئب أمر
حراسة القطيع ؟ ومهما تفاقمت الشكوى من حيله المؤذية ، أن ننصر
الطرف عن نواياه الشريرة بحجة انه لم ينفذ بعد مآربه . كلا ، ثم
كلاً . ليمت قبل أن تتخضب ثيابه بالدم الزكي . ليمت همفري الذي
عرفنا عدااه الطبيعي لأترابه ، لأن جميع الأدلة تثبت قلبي بأنه

خصم الملك اللدود. ولتجنب أي جدال في موضوع الوسيلة اللازمة لقتله. ليمت بآلة أو بفتح أو بشرك، نائماً أو مستيقظاً. المهم ان تزهق روحه فترتاح منه. لأن السرقة مباحة ممن يُأغت متلبساً بجرم السرقة.

الملكة مرغريت: نبيل ثلاثة أضعاف من يتكلم بدراية وقصد هكذا.

سوفولك: لا يفيد القصد اذا لم يتبعه التنفيذ. وصدق من قال ان قيمة القصد في اقتراحه بالعمل. هنا أجد قلبي يوافق لساني على اعتبار أن هذا العمل يستحق الاقدام عليه لأنه بقي مليكي من شر أعدائه. ألقظوا كلمة واحدة فأقوم بأصعب المهمات.

الكردينال: أنا أريد له الموت، يا لورد سوفولك، حتى قبل أن تصلك الاوامر اللازمة للتنفيذ. قل انك موافق، وانك تصادق على إنزال العقاب به، وأنا مستعد لايجاد من يتولى انجاز المهمة لأنني أتوق الى انقاذ حياة مليكي.

سوفولك: ها أنذا أمدّ اليك يدي، لأن القضية تتطلب المبادرة.

الملكة مرغريت: وأنا أوافق على هذه الفكرة.

يورك: وأنا كذلك. والآن وقد ابدينا نحن الثلاثة رأينا بصراحة لا يهمننا من يلوم تصرفنا.

يدخل الرسول.

الرسول: أيها اللوردات الكرام، أنا آتٍ بعجلة من ايرلندا لأعلمكم بأن المتمردين باسروا القتال، وقد اعملوا السيف في رقاب الانكليز.

فأرسلوا النجدة ، ايها اللوردات ، ووقفوا حالاً ثورتهم قبل فوات الأوان لئلا يصبح الجرح غير قابل المعالجة ، والأمل بمداواته وشفائه كبير ما دام حديث العهد .

الكردينال : هذه ثغرة علينا أن نسدّها بسرعة قبل أن يستفحل الأمر . فما هي نصيحتكم في مثل هذا الموقف العسير .

يورك (بسخرية) : ان يرسل سومرست الى هناك بصفة وصي . اذ لا فضل من ابفاد حاكم مثله ، ما دام نجاحه في فرنسا يشهد على مقدرته الفريدة .

سومرست : لو كان يورك ، بسياسته المعقدة وصياً مكاني ، لما مكث في فرنسا هكذا طويلاً .

يورك : طبعاً لا . وإلا كان فقد كل شيء كما فعلت أنت . كنت أنا أفضل أن أموت باكراً وأن لا أصل الى هذه النتيجة المشينة ، وقد بقيت هناك الزمن اللازم لحسارة كل شيء . أرني أثر جرح واحد فقط على جلدك ، فالرجال الذين يحافظون هكذا جيداً على بشرتهم السليمة نادراً ما ينتصرون .

الملكة مرغريت : هذه شرارة لا تلبث ان تنشر الحريق الملتهم ، لا سيما اذا ساعدت الرياح على امتداد ألسنة اللهب . كفى ، يا يورك الكريم ، وأنت يا عزيزي سومرست هدىء روعك ، لو كنت أنت الوصي على فرنسا لكان نصيبك أقطع مما حلّ به .

يورك : ماذا تقول ؟ هل هناك أفدح من هذه المصيبة التي ألحقت الخزي والعار بنا جميعاً ؟

سومرست : وقد لحق بك بنوع خاص ، لأنك تخشى أن يكون الأمر هكذا .

الكردينال : يا لورد ورويك ، جَرَّب حظك . ان جاعة كيرن ، وحوش ايرلندا ، مدججون بالسلاح ويروون الأرض بدماء الانكليز . فهل تريد أن ترسل الى هناك نخبة من رجال أشداء مختارين من جميع المناطق ، وتجرب حظك في محاربة الايرلنديين ؟

يورك : أنا أريد من كل قلبي ، يا مولاي ، اذا وافق الملك على ذلك .
سوفولك : ان موافقتنا معناها قبوله هو أيضاً ، لأنه سيؤكد حتماً ما نقرره نحن . وهكذا يتولّى النبيل يورك القيام بهذه المهمة .

يورك : انا موافق . أوجلوا لي جنوداً ، أيها اللوردات ، بينما انا اجهّز نفسي .

سوفولك : اتكل عليّ ، يا لورد يورك . لكن ، لنعد الآن الى اللعين همغري .
الكردينال : لا حاجة للكلام مجدداً في موضوعه . فأنا اتصرف تجاهه بطريقة لا ترعجنا من الآن وصاعداً . وعلى هذا الأساس دعونا نعجل في التنفيذ ، لأن النهار يوشك أن ينتهي . وستحدث أنا ولورد سوفولك في هذا الأمر .

يورك : يا لورد سوفولك ، بعد أربعة وعشرين يوماً سأنتظر جنودي في مدينة بريستول لأني انوي أن أبحر بهم من هناك الى ايرلندا .
سوفولك : سأبذل قصارى جهدي ليكون كل شيء جاهزاً ، يا لورد يورك (يخرج الجميع ما عدا يورك) .

يورك : حان الوقت لكي اشحن زناد افكاري البليدة ولأحوّل الشك الى قصد ثابت . فعليّ أن أكون ما أتمنى أن أصير اليه ، أو أترك للموت

ما أنا عليه الآن لأنني لا أستحق البقاء. يجب أن أدع عني الخوف الزري للرجل الجبان ولا اسمح للفرع أن يعشعش في فؤادي الملكي. وباسرع من أمطار الربيع سأرى الافكار تخلف الأفكار، ولا واحد من خواطري يذهب الى الاستيلاء على السلطة. ان دماغي الذي يعمل باجتهاد أكثر من العنكبوت يحوك الحبال المحكمة للنيل من اخصامي. جيد جداً، ايها النيل، جيد جداً. فان ارسالي على رأس جيش هو تدبير سياسي بارع. لكنني اخشى ان تكون بادرتك عاملاً على تحريض الأفعى الجائعة التي تداعب قلبك كي تلدغ فؤادي. كان هؤلاء الرجال من أفقر اليهم، وشئت أنت أن تزودني بهم، فاشكرك على كرمك شكراً جزيلاً، انما كن على ثقة بأنك تضع الأسلحة الفتاكة في أيدي غاضبة. وبينما في ايرلندا سأصل بزمرة رهبية، سأقدم على اثاره عاصفة هوجاء في انكلترا تطيح بعشرة آلاف نفس ترسلهم الى السماء أو الى الجحيم، لا فرق عندي. وهذه العاصفة المريعة لن يتوقف هبوبها إلا حين يهدىء التاج الذهبي الذي سيكلل رأسي نظير الشمس الساطعة، هذه الثورة المهووسة التي تتأجج نارها في صدري. ولكي انقذ مأربي ساندت رجلاً عنيداً من مقاطعة كنت هو جون كاد أشفورد الذي لن يتورع عن أي جرم لتحريك الفتنة واذكاء لهيبها باسم جون مريمور. لقد رأيت كاد هذا الشرس يقاتل في ايرلندا جاعة كارن ويحارب مدة طويلة حتى انتصب شعر ساقه كمسلات القنفذ وفي آخر المطاف عندما أفرغ الساحة من المقاتلين الذين قضى عليهم، أبصرته يطير طرباً بنخفة عجيبة كأنه راقص أفريقي ماهر يهز مسلات

رجليه الدامية كما يهز الراقص اجراس خلخاله . وكثيراً ما ، تحت
مظاهره الخبيثة كأحد أفراد كارن المشعّتي الشعر ، تحدّث الى
الاعداء ، وقبل أن يفتضح أمره رجع لينىء بحياتهم . هذا
الشیطان سيحلّ علي هنا ، بسحته وصوته المجلجل الذي يشبه
جون مرتيمور قبل أن تختطفه المنية . ومن هنا سأشاهد استعدادات
الشعب ومقدار استطفاه لأسرة يورك وألقابها . فعلى افتراض انه
مهوروس ومتعجرف ومزعج ، ورغم كل التضيقات المفروضة
عليه ، انا على يقين بأنها لن تدعه ييوح بأني أنا الذي دفعته الى
حمل السلاح . ولنفترض انه نجح كما يغلب ظني ، حيثذ اعود من
ايرلندا بقوّاتي واجمع محصود ما زرعه هؤلاء الانذال ، ويكون
هنري قد أزيح من طريقي وسيطرت انا على الموقف (ينخرج) .

المشهد الثاني

في بري ، داخل القصر

يدخل اثنان من القتلة باندفاع .

القاتل الأول : اسرع ، يا لورد سوفولك ، واعلم باننا قضينا على الدوق طبقاً
للأوامر التي تلقيناها .

القاتل الثاني : هل حقاً أنجرت المهمة ؟ ماذا جرى ؟ هل سمعت في حياتك كلاماً
ابهج من هذا ؟

يدخل سوفولك

القاتل الأول : ها أنا ذا يا مولاي اللورد ، رهن إشارتك .

سوفولك : هل فعلاً بلغنا الغاية المنشودة ؟

القاتل الأول : نعم ، أيها اللورد الكريم ، لقد ازهقت روحه .

سوفولك : هذا رائع . اذهبا وانتظراني في قصري . سأكافئكما على عملكما

الجريء . فالملك وجميع النبلاء هم قريون من هنا . هل رتبنا السرير ؟ هل تمّ كل شيء حسب تعليماتي ؟

القاتل الأول : اجل ، أيها اللورد الجليل .

سوفولك : هيا اذهبا بسرعة (يخرج القاتلان) .

تسمع موسيقى . يدخل الملك هنري والملكة مرغريت والكردينال بوفور وسومرست واللوردات وشخصيات اخرى .

الملك هنري : إمّص ، واطلب من عمي أن يحضر اليّ . قل له انني ارغب في محاكمة اللوق اليوم لأرى إن كان مذنباً كما يشاع عنه .

سوفولك : انا ذاهب لاستدعائه في الحال ، يا مولاي النييل (يخرج) .

الملك هنري : ايها اللوردات ، استريحوا في امكتكم ، وارجوكم ان تتصرفوا بدقة وحكمة حيال عمي كلوسستر ، كما أطلب ذلك من الشهود المحترمين الذين سيؤكلون أو ينفون سوء سلوكه .

الملكة مرغريت : لا سمح الله أن يكون أي أثر للحقد في الحكم على سيد كبير بريء . وكل أمني أن يأتي خالياً من كل تصرف مريب .

الملك هنري : اشكرك يا مرغريت على هذا الكلام الرصين الذي اعجبني كثيراً .

يدخل سوفولك .

ما الأمر ؟ لماذا أنت شاحب الوجه هكذا ؟ لماذا ترتجف ؟ أين عمي ؟
ماذا جرى يا سوفولك ؟

سوفولك : مات كلوسستر ، يا مولاي . فارق الحياة وهو في سريره .

الملكة مرغريت : آه ! نجنا يا الهي !

الكردينال : هذا حكم سرّي أصدره الله عليه . لقد حلمت هذه الليلة بأن
الدوق اصابه البكم ، ولم يعد يستطيع أن ينبس ببنت شفة (يغمى
على الملك) .

الملكة مرغريت : ماذا حلّ بمولاي ؟ النجدة ايها اللوردات . مات الملك .

سومرست : اجلسوه جيداً على مقعده . واقرصوا له لحمه ، لئلا نرى ردة الفعل .

الملكة مرغريت : اسرعوا الى نجلته . النجدة ، النجدة . آه ! يا هنري ، افتح
عينيك .

سوفولك : ها قد عاد الى وعيه . هدّئي روعك ، يا سيدتي .

الملك هنري : يا الهي ، ماذا حدث لي ؟

الملكة مرغريت : كيف صرت ، يا مولاي الكريم ؟

سوفولك : تشجّع ، يا مليكي . تجلّد ، يا عزيزي هنري .

الملك هنري : ماذا اسمع ؟ هل حقاً أرى لورد سوفولك يشدّد عزمي ؟ منذ هنيئة

جاء يدمدم كالغراب نعيماً مريعاً شلّ جميع قواي الحيوية . وهو
يظنّ ان هديل قبرة ، كهذا الرياء الخارج من قلب كالصخر

الأصم ، يستطيع أن يبدد عني شدة تأثري للوهلة الأولى . لا تخف سمومك وراء هذا الكلام المعسول . لا أريد أن تلمسني يدك ، بل أقول لك : ابتعد عني . اغرب عن نظري يا رسول الشوم ، لأنني أرى في عينيك البطش الغادر معشعشاً بهوله الشنيع الذي يرهب الأذهان . لا تنظر الي هكذا ، لأن عينيك تبحران قلبي ، مع ذلك لا تذهب ، بل اقترّب ايها المسخ ، واقتل بلحظك الرجل الشريف البريء الذي يتأملك في هذه اللحظة الحاسمة لأنني في احضان المنية سألاقي البهجة والأمان . فالحياة بالنسبة إليّ لم تعد إلا موتاً مزدوجاً ، منذ أن رحل كلوسستر عن هذه الدنيا .

الملكة مرغريت : لماذا تهين هكذا لورد سوفولك ؟ وإن كان الدوق علوّه ، فاني آسف جداً لموته . اما أنا ، ففهما كان في نظري معادياً ، وإن ذرفت سيلاً من الدموع ، وصعدت من الزفراء ما يمزق الفؤاد ، ومن الآهات ما ينشفّ الدم حتى لوردت اليه الحياة ، أنا مستعدة لتقبّل العمى من شدة نحبي وللمرض من شدة كمدتي ، وللاصفرار نظير اوراق الخريف من شدة قهري ، كي أعيد الدوق النليل الى الحياة . من يدري ما يسع الناس ان يفكروا به عني . فالمعروف أننا كنا صديقين غير حميمين ، وربما ظن البعض أنني انا التي قضيت على الدوق . وهكذا ستشوه سمعتي السنة الثيمة ، وبلاطات الامراء المتلهية ستلوك ما تلصقه بي من العار . هذا ما ينوبني من موته . فكم أنا تعيسة لكوني ملكة باتت تتوجها الدناءة .

الملك هنري : مسكين أنت ، يا كلوسستر . ما أشقاك !

الملكة مرغريت : مسكينة أنا ، ما اسوأ حظي ! عليّ أن أدير وجهي واخفيه عن الانظار . أنا لست مصابة بالبرص المعدي . انظروا الي . هل أصبحت مكروهة كالأفعى ؟ ألا كن ساماً مثلها واقتلني انا الملكة الملوّعة . هل أضحي هناؤك مدفوناً معك في القبر ، يا كلوسستر ؟ في هذه الحالة ، أنا السيدة مرغريت ، لم أدخل أبداً أي سرور الى قلبك . أرفع تمثال الدوق واعبد ، واجعل من صورتي عنوان خمّارة بذية . فهل لأجل ذلك كدت أن أغرق في البحر ، وقذفتني الرياح مرتين من شاطئ انكلترا الى سواحل بلادي ؟ هذا ظنّ لا غير ، بل تنيه سماوي من الجوّ يقول لي : لا تبخني عن جحر المقرب ، ولا تطاي بقدمك بعد اليوم هذا الشاطئ الجاحد . ماذا كنت أفعل أنا ؟ كنت ألعن ثروات الاصدقاء ومن أطلقها من ققمها النحاسي . وكنت أقول لهم ان يهبوا نحو الشاطئ الانكليزي المبارك ، أو أن يقذفوا بسفيتنا الى صخرة هائلة . لكن ، «إبول» اله الرياح لم يشأ أن يصبح قاتلاً ، فترك لك هذه المهمة الفظيعة . فرفض البحر المتموّج برفق ، وأبى أن يتلعي لأنه كان يعلم أنك ستغرقني بشراستك ، وأنا على اليابسة ، في دموع مريّة نظير امواجه المتلاطمة . ففاصت الصخور المحوّقة في الرمال المتحركة ، وامتنعت عن تحطيمي على جوانبها الخشنة ليتمكن قلبك المتحجر كالصوّان من إهلاك مرغريت في قصرك . وطالما كنت أمير الشواطئ الصخرية ، كانت العاصفة تبعدنا عن الساحل ، فوفقت على متن السفينة وسط العاصفة ، وعندما غابت السماء المظلمة عن عيوني التواق الى رؤية بلدك ، انتزعت من عني جوهرة ثمينة ، وكانت

عبارة عن قلب محاط بأحجار الماس رميته من يدي فطواه البحر
وتمنيت حينئذ أن يرحب صدرك هذا بقلبي . وعلى هذا الأساس ،
بعد أن غابت انكلترا. الجميلة عن بصري ، حرّمت علي عيوني ان
تتبع قلبي ، وقد وصفتها بأنها نظارات عميان مشوشة ، لأنها فقدت
هكذا منظر ساحل ألبون الذي كنت أتوق اليه . كم من مرة
دعوت سوفولك ، وهو صنعة عدم استقرارك الأسود ، الى
الجلوس بجانبني والى سحري برواياته الرائعة ، كما فعل في الماضي
«أسكاني» الذي قصّ علي «ديلون» المهووسة ما أتاه والده من
اعمال في طروادة المشتعلة . أولست أنت ايضاً ، تحت تأثير السحر
نظيرها؟ أولست جاحداً مثله؟ وأسفاه ! لم أعد أقوى على التحمل
أكثر من هذا . فوقي اذاً ، يا مرغريت لأن هنري يكي بسبب
رويتك تعيشين طويلاً .

تسمع ضجة من داخل المسرح . يدخل ورويك وسائزيري ويتزاحم الناس
على الأبواب .

ورويك :
يقال ، يا مولاي القدير ، ان دوق همفري الكريم قد قتل في خيانة
حرّض عليها سوفولك والكردينال بوفور . واذا بالشعب نظير فقير
نحل هائج فقدّ ملكته ، انتشر في جميع الجهات ، وأضحى على أتم
الاستعداد لعقص أي كان انتقاماً . لقد تمكّنت من امهال انفجار
غضبه حتى يطّلع على ظروف هذه الميته الغامضة .

الملك هنري : مات الدوق ، يا ورويك الكريم . وهذا نبأ صحيح لا يقبل أدنى
شك . لكن كيف مات ؟ الله يعلم . أما أنا هنري فلا أدري . ادخل
غرفته وافحص جثته الهامدة وفسر لي هذا اللغز المفاجيء .

ورويك : ها أنا أروي لك كيف يا مليكي . ابقَ هنا ، يا سالزبري ، ابقَ مع جماعة المشاغبين حتى أعود .

يذهب ورويك الى غرفة داخلية وينسحب سالزبري .

الملك هنري : أنت يا من تدين كل الناس ، غيّر أفكارك المرهقة واقنع نفسي الحائرة بأن لا أبادي عنيفة حاولت ازهاق روح همفري . فاذا خاب ظني ، سامحني يا إلهي لأن الدينونة من خصائصك وحدك . كم أود ان امضي لأدفيء وجنتيه الشاحبتين بعشرين الف قبلة وأغسل وجهه العابس بسيل من الدموع الحرّى ، واعلن تعلقي به أمام جسمه الأبكم الاصم ، فيشعر بيدي ثلامس يده الفاقدة الحسّ . لكن كل هذا العطف المفرط صار باطلاً ، ومنظر صورته الأرضية الفانية تضاعف آلامي .

يُعرض سرير عليه جسم كلوسستر ممدداً .

ورويك : اقترّب ، يا مليكي الكريم ، والتي نظرة على هذا الجسم .

الملك هنري : كي أرى قبري العميق حيث دفنت أفراسي الأرضية مع روحه ، وإذ أشاهده ، أبصر حياتي في قعر حفرة الموت .

ورويك : بقدر ما تأمل نفسي في العيش برفقة ملك مبيجل ، كان يؤمّن لنا وجودنا ويخلصنا من غضب أبيه ، أعتقد بأن يديه الطاهرتين حاولتا القضاء على حياة هذا اللوق الواسع الشهرة والجاه .

سوفولك : هذه موعظة مخيفة تُلقى بصوت جهوري . فما هي البراهين التي يقدمها لورد ورويك على صحة ما أعلنه ؟

ورويك :

انظر كيف صعد الدم الى وجهه . كثيراً ما شاهدت خلائق مائتة موتاً طبيعياً ، أجسامها بلون الرماد ، هزيلة شاحبة لا روتق لها ، وقد انكفأ دمه بكامله نحو القلب المنازع الذي يلتبس في عراكه مع المنون نجدة تعينه للتغلب على محته . فيجمد الدم عندئذٍ مع القلب ولا يعود يصيغ الوجنتين ويحليها باحمراره . لكن انظر الى بحياه المكفهر المتنفخ كمدأ ، والى مقلتيه الجاحظتين الغريبتين عما كانتا عليه وهو حي ، وهما جامدتان وجلتان كأنها تخصان رجلاً مخنوقاً ، وشعره المنتصب وأنفه المتصلب من شدة التشنج ، ويداه ممتدتان نظير من يدرأ الخطر دفاعاً عن حياته المهدة وقد شلّ الغدر حركته . انظر الى هذا الشعر المبعثر الملتصق بالوسادة ، والى لحيته المرتبة عادة ، كيف شتتها التشيعث وقد انتصبت كالقنفذ المرتعد ، نظير سنابل القمح التي طرحتها العاصفة أرضاً وبددتها سيول الأمطار . من غير الممكن أن لا يكون قد قتل : لأن أصغر هذه الدلائل يشكل برهاناً على مصرعه العنيف .

سوفولك :

من قتل الدوق ، يا ورويك ، أنا وبوفوركنا وضعناه تحت حايئنا ، ونحن لسنا مجرمين ، يا سيدي ، على ما أعتقد .

ورويك :

لكنكما كلاكما كتما عدوين للدودين للدوق همفري . وكان هو في الواقع تحت حراستكما . فمن الأرجح أن لا تكونا راضيين عن اعتباره صديقاً ، فلي ، على ما يظهر ، من يناسبه العداء فقضي عليه .

المبكر الذي حصد دوق همفري .

ورويك : من منا اليوم ، إذا رأى نعجة مذبوحة تتخبط بدمها والى جانبها جزار وسكين ، لا يتهم هذا الجزار بأنه هو الذي ذبحها ؟ أجل ، من منا لا يرى الصقر في عش الحمامة ولا يحزر كيف ماتت ، رغم أن الطائر الكاسر لا يكون منقاره ملوثاً بالدم . وهذه المأساة التي شهدناها لا تختلف في الاتهام عما ورد ذكره الآن .

الملكة مرغريت : فهل أنت هذا الجزار ، يا سوفولك ؟ أين سكينك ؟ وهل بوفور هو الحمامة ؟ ثم أين مخالفك ؟

سوفولك : أنا لا سكين عندي لذبح الناس النيام . إنما هذا سيني المتقم الذي أكله الصدا لأني لم أشهره منذ زمن طويل . لكني سأغمده في صدر كل حاقد نمام يوجه إليّ تهمة القتل الدنيئة . تجاسر إذاً ، يا لورد ورويك شاير المشامخ ، على القول إنني مجرم ، واني قتلت دوق همفري (يخرج الكردينال وسومست وغيرهما) .

ورويك : ما الذي لا أجرؤ على عمله أنا ورويك ، إذا تحدّاني الجاحد سوفولك ؟

الملكة مرغريت : لن يسعك أن تتمالك حتماً فورة مزاجك المهان ، ولا الغضبة لكراحتك المداسة .

ورويك : أرجوك ، يا سيدتي ، أن تصمتي . هذه نصيحتي لك بكل احترام . لأن كل كلمة تنفّوهم بها لصالحه تضّر بمقامك الملكي الرفيع .

سوفولك : أيها اللورد الحشن الطباع ، الفظّ السلوك ، إذا أهانت امرأة سيدها الى هذا الحدّ ، تكون والدتك هي التي استقبلت في سريرها

صعلوكاً من بشذاذ الآفاق وطعمتْ جلدعاً نصيراً بغصنِ برّي أنت
ثمرته ، لأنك لا تنتمي مطلقاً الى ذرية آل نافيل العريقة المنبت .

وورويك : لو لم يطلّك جرم القتل ، ولو خشيت أنا أن أحرم الجلاّد من أجره ،
وأن أنتشلّك من التلبّس بألف عار ، ولو لم يفرض حضور مليكي
عليّ الترام الهدوء لكنت أجبرتْك حالاً ، أيها السفّاك الخسيس
الجبّان ، على الركوع أمامي وطلب الصفح مني عمّا تلقّظت به
الآن ، وعلى الإقرار بأنك كنت تتكلم عن أمك ، وأنت أنت
اللقبّط الذمّيم الذي ألحّت اليه . وبعد هذا الصنيع الذي يدل على
الخوف ، انفحك أجرك وأرسل روحك الى الجحيم ، يا حقير ، يا
مصاص دماء الرجال النيام .

سوفولك : ستكون أنت مستيقظاً عندما سأهدر دمك ، إذا تجرأت على
الخروج معي الآن من هنا .

وورويك : هيا بنا على الفور ، أو أقتلّك أنا من هذا المكان ، كما يُقتلّ العليق .
ومهما كنت بلا كرامة ، سنأنازلك وأثّار لشرف دوق همفري
ضحيتك (يخرج سوفولك وورويك) .

الملك هنري : أي درع أمتن من القلب النقي ؟ إنه أصلب الدروع طراً ، ما دامت
قضيته عادلة . أما من يطلّخ ضميره بالانحطاط والقلق ، فهو في
الواقع مجرّد من أي درع ، وإن كان مسلّحاً بصفائح من الفولاذ .
(تسمع ضجّة من داخل المسرح) .

الملكة مرغريت : ما هذا الضجيج ؟

يدخل سوفولك وورويك وسيف كل منهما مستلّ .

الملك هنري : ما معنى هذا ، أيها اللوردات ، وقد جرد كل منكما سيفه هنا بوجه الآخر أثناء حضوري؟ هل بلغت بكما الجسارة هذا الحد؟ وما سبب هذه الضجة الصاخبة؟

سوفولك : مولاي ، ان ورويك ورجال « بري » يهاجموني بأجمعهم ، يا صاحب الجلالة القدير.

تسمع أصوات جمهور من داخل المسرح ، يدخل سالزبري .

سالزبري (للجمهور) : ظلوا على الحياد ، يا سادة . فالملك سيستمع الى أقوالكم . وأنت أيها المولى المعظم ، يود عموم الشعب أن يبلغوك ، إذا لم تعاقب الخائن سوفولك حالاً بالموت أو بالنفي الى خارج بلادنا الجميلة انكلترا ، إنهم جميعاً سيُقدّمون يداً واحدة على اقتلاعه من القصر بالعنف ويزهقون روحه ، بعد أن يذيقوه مرّ العذاب . يقول الأصدقاء انه هو الذي سبب موت دوق همفري ، وانهم يخشون أن يقدم على قتل جلالتك أيضاً لأنهم يكتّون كل مودة ووفاء لشخصك المفدّى ، نظراً الى ما يعصف في نفوسهم من روح النعمة والتنديد بتصرفات هذا الوقح السافل الذي يطلبون إبعاده حفاظاً على حياتك الغالية يا صاحب الجلالة . وإلا لما كانوا أزعجوا ما تروم أن تخلد اليه من الراحة والنوم الهنيء . مع ذلك ، كن على يقين ، يا صاحب الجلالة ، بأن قرارهم لا رجوع عنه في ما يخص حماية حياتك من الحية الرقطاء التي تمدّ لسانها الى جلالتك لتلسعك في هدأة الليل وتحول ما تتوخاه من راحة في النوم الى رقاد أبدي ، لا قدر الله . لذلك هم يهتفون بأنهم مصممون على صيانة سلامتك

الغالية شئت أم أبيت ، من هذه الأفعى السامة المتجسدة في الحائن
سوفولك ذي الأنياب الحادة التي نفثت السم القاتل في عروق
عمك الحبيب وحرمته الحياة ، وهو يساويء عشرين مرة هذا
الحقير التن.

الشعب (من داخل المسرح) : نريد جواب الملك ، يا لورد سالزبري .
سوفولك (لسالزبري) : عجيب أمر هذا الشعب المغفل الشرس ، الذي يبعث بمثل
هذه الرسالة الى مليكه . وأنت يا مولاي ، لم تر من غضاضة على
نقلها بنفسك لتظهر براعتك وفصاحتك الخطائية . إنما ما كسبه
سالزبري من شرف هو وجوده الى جانب مولاي الملك كسفير هذه
الجماعة من صانعي القدور الرخيصة .

الشعب (من داخل المسرح) : نريد جواب الملك ، أو نخلع الأبواب عنوة للدخول
إليه .

الملك هنري : هيا ، يا سالزبري ، قل لهم جميعاً من قبلي اني أشكرهم على
مودتهم وعطفهم ، فأنا كنت مزماً أن ألي رغبتهم لو لم يطلبوا مني
ذلك . لأنني في الحقيقة أشعر في أعماق نفسي بأن سوفولك يهددني
ويهدد كيان المملكة بشرّ مستطير . وبناء على ذلك أقسم لهم بجلال
من أمثله أنا على الأرض بدون استحقاق ، بأنه لن يلوث هواء هذه
البلاد أكثر من ثلاثة أيام سيلاتي بعدها حتفه المحتوم . (يخرج
سالزبري) .

الملكة مرغريت : يا عزيزي هنري ، دعني أشفع بحياة سوفولك الذي يستحق كل
إكرام .

الملك هنري : تباً لك من ملكة عديمة الكرامة . كيف تجسرين على القول إن سوفولك يستحق كل إكرام ؟ قلت لك اصمتي ، وإذا واصلتِ شفاعتك لإنقاذه فلن تزيدني غضبي إلا اشتداداً . إني مصمّم على تنفيذ ما أعلنته ، وأنت تعلمين جيداً أن ما أقسم على إجرائه لا رجوع عنه . فإذا وجدت نفسك بعد ثلاثة أيام على أرض تابعة لمملكتي ، فإن العالم بأجمعه غير قادر على إنقاذ حياتك . تعال ، يا عزيزي ورويك ، تعال يا ورويك الفاضل لأخرج وإياك ، لأنني أودّ أن أطلعك على أمور هامة . (يخرج الجميع ما عدا الملكة وسوفولك) .

الملكة مرغريت : ليلازمكما الحزن والشقاء ، وليصحبكما اليأس المرير ، وليكن إبليس ثالثكما وليقصر الانتقام المثلث عليكما معاً .

سوفولك : كفيّ أيتها الملكة العزيزة عن هذه الأدعية ، واتركي خادمتك الأمين سوفولك يودّعك والأسى يحزّ في قلبه .

الملكة مرغريت : سحقاً لك يا شبيه أحقر النساء ، يا أخطّ الجبناء . أوليست لديك المرأة لتلعن أعداءك ؟

سوفولك : ليحصدهم منجل الطاعون . لكن لماذا ألنهم ؟ لو كانت اللعنات تقتل نظير ما تسببه حشيشة سامّة لابتكرت أفضع الألفاظ النابية الجارحة وقدقتها وأساني تصطكّ هياجاً مع سائر إمارات الحقد الذي لا يرحم كالحسد البغيض المعشعش في صدر اللئيم . لن يعجز لساني عن رمي كلامي كالحصى ، وعيوني ترسل شرر الغضب كالسهم المارق ، وشعر رأسي يهب منتصباً كأني مصاب بمسّ من

الجنون. أجل كل قطعة من عضلاتي ستختلج باللعنات والسباب
وسيفجر قلبي بين ضلوعي من ثورة الغيظ إذا توقفت عن صبّ
اللعنات عليهم. فليصبح السم شرابهم والعلقم، بل أمر من العلقم،
أشهى مذاقهم، وأخف ظلالهم أصلب من خشب السرو، وأبهج
مشاهدهم كوايس رهية خانقة، ولتقلب ألطف لمساتهم الى
لسعات أفعى، وأرق موسيقاهم الى أفظع من فحيح الحيات
ونعيب اليوم الذي يوحش ليايهم، ولتلفهم جميع الظلمات الخيفة
المتصاعدة من أعماق الجحيم.

الملكة مرغريت: كفى، يا سوفولك، كفاك ما تعذب به نفسك هكذا. إن هذه
الأقوال المدمرة، هي كالشمس المحرقة التي تنعكس أشعتها في المرآة
أو كالسيف المسدد لا يلبث كيده أن يرتد الى نحرك.

سوفولك: لقد طلبت مني منذ لحظة، أن أصبّ لعناتي عليهم، وها أنت
توصيني بأن ألوذ بالصمت. آه! ما أشقاني على هذه الأرض التي
أقصيت عنها. يسعني أن أصبّ لعناتي طوال ليلة شتاء مديدة، وأنا
واقف عارياً على قمة جبل، قساوة برده لا تتيح للعشب أن ينمو،
ولن يكون لي ذلك سوى لعبة تدوم لحظة واحدة.

الملكة مرغريت: أرجوك، بل أتوسل إليك أن تكفّ عن الكلام. هات يدك
لأسقيها بدموعي الأليمة. ولا تدع مطر السماء يبلل هذا المكان
ويغرق صروح تفجعي هذه. (تقبل يده) كم أتمنى أن أطيع قبلاقي
على يدك لعلها تذكرها بمودتك لي وتحلم خواطرك بشفتي هاتين
اليتين تجودان بألوف التهديدات لأجلك. اذهب الآن، وقد عرفت

شقاوي الذي كنت أتحسّس به وأنت بقربي ، تماماً كمن يشعر بالحرمان وهو سابح في بحر من البجوحة والرخاء . سألتني ندائك ، فكن على يقين بأنني لن أخشى أن أتعرّض للنني أنا أيضاً . ها أنا منفية منذ هذه الساعة إذا ابتعدت أنت عني . امض ولا تكلمني بعد الآن ، هيا امضِ حالاً . لا ، لا . انتظر قليلاً . هكذا يتعانق صديقان حكم عليهما بالفراق ويَقبل أحدهما الآخر قائلاً له ألف ألف وداع ، وهو مستعدّ للموت أكثر من مئة مرة بسبب البعد عنه . مع ذلك أقول لك الوداع ، وأنا أودّع في الآن ذاته حياتي التي تذهب معك .

سوفولك : هكذا أنا المسكين سوفولك أشعر في أعماقي بأنني منفي عشر مرات ، مرة بأمر الملك ، وتسع مرات من جراء فراقك أنت . لن تهمني بلادي إن لم أكن فيها قريباً منك . وسأجد الصحراء القاحلة تنغصّ بالسكان إذا بقيت فيها أنا سوفولك في ظل عطفك الحنون . لأن العالم سيزخر بالأنس ويجمع الملذّات حيث أكون بصحبتك ، وسيتحول الى ظلام موحش إذا كنت بعيداً عن شخصك الحبيب . لم يعد لي من طاقة على الاصطبار . فاحيّي أنتِ وانعمي بالأفراح . أما أنا فبهجتني الوحيدة هي أن تظلي أنت على قيد الحياة . يدخل فوكس .

الملكة مرغريت : يا فوكس ، أين أنتَ ذاهب هكذا مستعجلاً . أرجوك أن تعلمني ما الخبر ؟

فوكس : جئت أعلن لجلالته أن الكردينال بوفور يتنازع ويوشك أن يلفظ

أنفاسه الأخيرة . فإن مرضاً عضالاً أصابه فجأة . وهو يلهث ويسهو ويتنشق الهواء بصعوبة ويلعن ويسبّ جميع رجال الأرض ، تارة يتكلم كأن شيخ دوق همفري يطارده ، وطوراً ينادي الملك . وإذا يظن أنه يوجّه إليه الحديث يهمس في أذنه أسرار نفسه الملعوبة . فأرسلتُ الى جلالته لأنه ينادي بصيحات يائسة .

الملكة مرغريت : هيا انتقل الى جلالته هذه الرسالة الحزينة (ينخرج فوكس) وأسفاه ! ما هذه الدنيا ، ما الخبر ؟ هل عليّ أن ألبس ثياب الحداد ردحاً من الزمان ، أو أنسى نبي سوفولك ، كثر قلبي الكئيب ؟ ألا تسمعي يا سوفولك ؟ لم يبقَ أمامي سوى أن أتلهّف على ذكرك أنت وحدك ، وأن تسابق دموعي انهار الأمطار في رابعة النهار ، وأن أندب مرّ عذابني كما تشناق هي الى إرواء الأرض . والآن ، اذهب . أنت تعلم أن الملك سيأتي ، فإن وجدك الى جانبي فموتاً تموت .

سوفولك : إذا ابتعدت عنك ، لن أستطيع أن أعيش أبداً . وإن متّ أمام عينيك سيكون عزالي أن تنظفيء شعلة حياتي بسرور ، وأنا التي رأسي على ركبتيك . فهنا يمكنني أن ألفظ روحي بلطف وهدوء كما ينام الطفل في حضن أمه وهو يرضع ثديها بأمان . لكنني بعيداً عن أنظارك سيصيني مسّ من الجنون والغيط ، وسأناديك بصوت عالٍ لتغمضي جفنيّ بأناملك الناعمة وتطبعي قبلاّتك الحلوة على شفتيّ فتستلمي روحي وهي صاعدة وتنشقيها الى أعماق صدرك ، وتعيدني الى الوجود في رحاب جنة العشاق . فالمرت بقربك ليس سوى هناء وغبطة ، وبعيداً عنك هو عذاب أمرّ من العلقم . بالله

عليك ، دعني أظلّ الى جانبك وليحدث ما كتب لي في سجل
الأقدار.

الملكة مرغريت : اذهب ، مها كان هذا الفراق عسيراً ، ودعني أعصّ بجرحي
القاتل . إمضي الى فرنسا ، يا عزيزي سوفولك ، ولا تؤخّر عليّ
أخبارك المطمئنة . لأنك حيثما حللت على وجه البسيطة هناك سوسنة
تلقاك وتذكرني بك .

سوفولك : ها أنا ذاهب .

الملكة مرغريت : ومعك يذهب قلبي .

سوفولك : هو جوهرة ثمينة مخبأة في عتمة صندوق لم يحوِ أمن منها وكمركب
ينشطر الى قسمين ، هكذا قلوبنا تفترق محطمة ثم في هذه البقعة
أسقط بين أشداق الموت الرهيب .

الملكة مرغريت : وأنا أسقط في بقعة أخرى (يخرجان من جهتين مختلفتين) .

المشهد الثالث

في لندن ، داخل حجرة نوم الكردينال بوفور .

يدخل الملك هنري وسالزيري وورويك وغيرهم . بينا الكردينال بوفور يكون
مستلقياً على سريره ، يحيط به بعض الناس .

الملك هنري : كيف حالك يا مولاي ؟ تحدث يا بوفور الى مملكتك .

الكردينال : لو كنت أنت الموت لدفعت لك كنوز انكلترا الكافية لشراء جزيرة
أخرى بشرط أن تدعني أحيا وأن ينتهي عذابني .

الملك هنري : هذا دليل على ما تعانیه من حياة تعيسة لا سبباً عند تأخر موعد الموت الرهيب .

ورويك : ها هوذا ملكك يكلمك .

الكردينال : حاكموني متى شئت . لست أدري إن مات في سريره ! أينما كان عليه أن يقضي نحبه ؟ هل استطيع أن أدع الناس يعيشون شاؤوا أم أبوا ؟ لا تزيدوا في تعذيبي ، سأبوح لكم بكل ما ترومون معرفته . هل عاد إلى الحياة ؟ إذاً أروني إياه وسأدفع ألف دينار لقاء مشاهدته . هو لا عيون له فلقد اعماه التراب . ملّسوا له شعره . انظروا ، انظروا . ها هو شعره ينتصب كأنه مدهون دبقاً لكي يمسك بروحي وهي تصعد من صدري . أبلغوا الصيدلي أن يأتي بالسم الذي اشتريته منه واسقوني .

الملك هنري : أنت يا من يرعى السماوات والأرض ، ألق نظرة اشفاق على هذا البائس الشقي ، هيا اطرده الشيطان الرجيم الملحاح الذي يحاصر بجثث نفس هذا المعذب المسكين ، وطهر قلبه من رجس اليأس والقنوط :

ورويك : علينا أن لا نضايقه وأن ندعه يعبر بسلام .

الملك هنري : لنخرج نفسه بأمان ، إن كانت هذه مشيئة الله . يا مولاي الكردينال اذا كنت تفكر بالاخدار السماوية ، ارفع يدك كعلامة أمل ورجاء . هو يموت الآن بدون أن ييدي اية اشارة . سامحه ، يا الهي .

ورويك : ان مية شنيعة كهذه ، هي برهان ساطع على حياة جهنمية .

الملك هنري : لتجنب الأدوات . لأننا كلنا خطاة : أغمضوا له عينيه ، وأسدلوا حوله الستائر ، وهيا بنا نذهب للتأمل بعض الوقت .

الفصل الرابع

المشهد الأول

في كونتيّة كنت ، على شاطئ رملي قرب دوفر

ينتشر الغسق . يسمع صوت طلقات نارية من جهة البحر . ثم يُشاهد مركب ينزل منه ربّان وبحار ثم ولتر ويتمور وغيرهم ، ومعهم سوفولك متنكراً وسواه من الوجهاء كسجناء .

الربّان :

ها هو الصبح ينبج بطيئاً مثائباً ، ويتشر نوره على صفحة البحر . وها هو موعد عواء الذئاب لايقاظ التّنين الذي يجرّ وراءه ليل المأساة الكثيية ، ويمسح غبار النوم باجنحته الكسلى المتراخية عن جفون البشر ويمدّ شذقيه في ضباب الاجواء من خلال رهبة الظلمات . خذوا اذاً رجال الحرب الذين أمسكناهم منذ برهة ، بينا يلقي زورقنا مرساته ليقف بمحاذاة كشبان الرمل ، فيتفقون على مقدار فديتهم في هذا المكان بالذات على الرمال حيث تصطبغ بدمائهم أرض هذا الشاطئ الذي قد تغيّر لونه . أيها الملاح ، ها أناذا أترك لك سجينى فاجعله غنيمتك . اما ذاك السجين فهو من نصيبك يا ولتر ويتمور (يشير الى سوفولك) .

الوجيه الأول : كم هو مبلغ فديتي ، أيها الملاح ؟

البحار : الف دينار ، وإلا قطعت عنقك . (للوجه الثاني) وانت ستدفع لي مثله ، أو يتلحرج رأسك عند قدميك .

الربان : هل تجدون الثمن باهظاً وهو الفان من الدنانير فقط ، واتم تظاهرون بالوجاهة والغنى ؟ اذبحوا ، يا جماعة ، هذين البليدين . أجل ، لا بد من أن تموتا ، هل تظنان اننا لقاء من فقدناهم من الرجال اثناء المعركة ، نستعيض عنهم بمبلغ زهيد كهذا ؟
الوجه الأول : أنا أدفع حصتي ، يا سيدي . فدعني أخي .

الوجه الثاني : أنا أيضاً سادفع حصتي ، يا سيدي . انما لكي احصل على المبلغ دعني أكتب الى أهلي حالاً .

ويتمور (لسوفولك) : لقد فقدت عيناً في الاشتباك الذي جرى ، ومقابل ذلك ستموت أنت . وهذا ما سيحلّ أيضاً بالآخرين ، لو كنت أنا السيد هنا .

الربان : لا تكن هكذا قاسياً . اقبل الفدية واتركه يعيش .

سوفولك (مشيراً الى عقده) : انظر الى هذه القلادة التي تمثل الفارس جاور جيوس . أنا وجهه ، فاطلب مني ما تشاء من المال . لماذا ترتجف ؟ هل تخاف الموت يا هذا ؟

سوفولك : انا أرتعد لذكر اسمه الذي يرنّ في أذني كدويّ الرعد . لقد استخلص احد العلماء حظي من الابراج الفلكية وانبأني بأن مصيري أن أموت غرقاً في الماء . فأرجوك أن لا تكون دمويّاً . ما دام اسمك « ولتيه » ، إن أحسنت لفظه .

- ويتمور : ان كان «ولتيه» أو «ولتر» ، هذا لا يهمني . لأن اسمي لم يلحق به يوماً أي عار لألجأ في محوه الى حدّ السيف . وان ساومت على الانتقام فليتكسر سيفي وليترغّ سلاحه من يدي ويلطخّ بالمذلة وليعلن على الملأ أنني جبان حقير . (يمسك بسوفولك) .
-
- سوفولك : قف عندك يا ويتمور ، لأن سجينك ، شخصي الكريم ، أنا الأمير ولیم بول دوق سوفولك .
- ويتمور : دوق سوفولك المتنكر بالأسمال البالية .
- سوفولك : نعم ، ولكن هذه الأسمال البالية هي الآن جزء من الدوق . فان الإله المشتري تخفى أحياناً بزي من الازياء . فلماذا لا أنتكر أنا أيضاً .
- الربّان : انما الاله المشتري لم يرتكب أية جناية قتل ، وأنت مزعم ان تقتل .
- سوفولك : سحقاً لك من لص متشرّد . ان دم الملك هنري دم نبيل من اسرة لنكاستر ، ويجب أن لا يهرق في سبيل خادم اسطبل مثلك . أولم تمسك بركاب حصاني مراراً بعد أن ثمت يدي؟ وكنت تسير عاري الرأس بقرب بغلتي المسرجة وكنت سعيداً جداً لدى الايماء لك برأسي . كم من مرة ملأت لي كأسه وأكلت من فضلات طعامي الذي قدمته لي وأنت تجثو على ركبتك ، عندما كنت أولم المآدب مع الملكة مرغريت ! كم من ذكريات تجعلك تخني هامتك وتطأطيء كبرياءك كطرح بغيض ! كم من مرة بقيت تنتظرني باحترام في مدخل قصري الى أن أخرج اليك ! ان يدي التي ، بمجرد توقيعي على صلحك ، قد خصّصت بنعم وافرة يمكنها الآن بسحر ساحر أن تقطع لسانك الوقح الطويل .

ويتمور : تكلم ايها الربان . هل أظعن بجنجري صدر هذا المتطاول المتبجح ؟

الربان : دعني أولاً أظعنه بجنجر كلامي كما جرحني بألفاظه البذيئة .

سوفولك : تباً لك من شريد حقير . ان كلامك سخيف بقدر ما أنت عليه من غباوة .

الربان : خذه من هنا ، واقطع له رأسه على حافة المركب .

سوفولك : لن تجسر على ذلك ، لأنك ستسبقي الى ما تنوي عمله بي .

الربان : بل اجسر ، يا بول .

سوفولك : بول ؟

الربان : بول ؟ سير بول ؟ لورد بول ؟ بل دجاجة ماء ملطخة بالوحل ، توحى

بالتانة والقذارة . كما يوحي به اسمك الذي تنبعث منه أكره الروائح

كمجاري القاذورات التي تتركم الأنوف في انكلترا . سأقفل إذا

فك المفتوح فتبلع أموال الملكة . أما شفتاك اللتان قبلتا الملكة فلنهما

ستعقران بتراب الأرض . وأنت التي كنت ترسمين الابتسامة على

وجه دوق همفري ، عبثاً تصرفين بأسنانك في وجه الرياح العاتية

التي تستجيب الى صفيرك المزدري . اذهبي وانضمي الى ساحرات

جهنم لأنك تجاسرت وعقدت خطبة أمير قدير على ابنة ملك

مسكين لا رعايا له ولا ثروة ولا تاج . لقد تضخمت حجمك بطريقة

سياسية شيطانية ، ونظير المتعجرف « سيلاً » قد التهمت لقمة بعد

لقمة قلب أمك المكلوم . وعلى يدك بيعت مقاطعة انجو ثم مقاطعة

ماين الى فرنسا . وأهالي نورمندي الخبثاء المتمرسون بتحريضك

رفضوا أن يعترفوا بسيادتنا. وها هي مقاطعة بيكاردي قد ذبحت
حكامها ، وفاجأت خصومنا وأعادت الينا جنودنا الجرحى في أسمال
بالية . والأمير ورويك وجميع آل نافيل الذين كانوا حملة سيوف
مُهابة . لم تجرد من غمدها سدّى ، قد بادروا الى السلاح حقداً
عليك ، والآن تمردت أسرة يورك على العرش بما أتته من غدر
وظلم ، من قتل ملك بريء قابلت نعمه بمحود وقع وتمرد
واغتصاب . والآن تغلي مراجل غيظها وتطلب الانتقام ، وهناك
أعلامها كلها أمل تتوق الى شمس نصف محتجة تحاول أن تسطع
وقد كتب على هذه الأعلام «رغم الغيوم المتلبدة» . وهنا في أرض
مقاطعة كنت ، معظم الشعب مسلّح . بالاختصار ، نرى العار
والبؤس قد دخلا قصر الملك وكل ذلك بسبب غلطك . هيا
خذه .

لماذا أنا لست إلهاً لأقصف بصواعقي هؤلاء الدجالين الاشقياء
سوفولك : المنحطين اللؤماء ؟ ان أنفه الامور تنفخ صدر الرجل الشرير
عجرفة . وهذا البليد الذي تراه امامي ، لأنه ربّان مركب لا غير
يتكلم بلهجة التهديد أكثر من القرصان الشهير بركولوس . ان ذكور
النحل لا تمتص دماء النسور لكنها تسطو على قفران النحل لتسرق
ما فيها من عسل لذيذ . يستحيل أن يُنفذ بي حكم الاعدام احد
مأموري الملك وهو أقل مني رفعة . فان حديثك يهيج اشجاني لكنه
لا يخيفني . وأنا ذاهب الى فرنسا ومعني رسالة من الملكة ، لذا
أنذكرك بأن توصلني سالماً الى الشاطئ الآخر من المضيق .
يا ولتر . الربان :

ويتمور : تعال ، يا سوفولك ، لكي اوصلك على مركبي الى سواحل الموت .

سوفولك : الرعب يستولي عليّ ويجمّد اعضاء جسمي ، لأنني اخاف منك .

ويتمور : سأبتدع لك حجة كي تخشاني قبل أن اغادرك . فهل تروضت اخيراً ؟ وهل نويت أن تخفف من غلوائك ؟

الوجيه الأول : يا مولاي اللطيف ، أرجوك ان تعامله بلين وأن تكلمه برفق .

سوفولك : ان صوتي الجمهوري لا ينخفض وسيظل عالياً متسلطاً لأنني معتاد على اصدار الأوامر ، ولن ألتمس مئةً من أي انسان . تباً لك ، اتظنني أرضى بأن أكرم شخصاً من هذه الطينة الوضيعة . كلا أنا أفضل أن أحنى رأسي ليقطع على جزع شجرة ولن أركع أمام أي كان سوى رب السماء ومليكي المفقدي . الأولى بي أن يرقص رأسي في أعلى رمح دام من أن أظل مكشوف الرأس أمام خادم صعلوك مثلك . فالنيل الأصيل لا يعرف الخوف . لدي طول أناة أكثر من الجراءة على خطف الارواح .

الربان : هيا جرّوه واخرسوه .

سوفولك : لا ترددوا ، أيها الجنود ، وعاملوني بأقصى وحشية ممكنة ، واجعلوا لموتي ذكرى لا تنسى . فعظماء الرجال غالباً ما يغتالهم صعاليك سفلة . وكم من جلف روماني ولص محتال أقدم على قتل امثال توليوس الشريف ، وقد طعنت يد اللقيط بروتوس بالخنجر مولاه يوليوس قيصر . وهكذا قتل سوفولك بعض القراصنة (يخرج سوفولك بصحبة ويتمور وغيره) .

الربان : أما الذين عيّنّا لهم مبالغ فديتهم ، فيسرّنا أن نفلت أحدهم .
فليتصرف هذا . أما أنت فتعال معنا) . (يخرج الجميع ما عدا الوجه
الأول) .

يعود ويتمور برفقة جثمان سوفولك .

و يتمور : دعوا رأسه وبدنه الهامد ممددين هنا على الأرض حتى تجيء صاحبتة
الملكة فتدفنه (يخرج) .

الوجه الأول : تباً لهذا المشهد البربري الدموي . سأنقل جسمه إلى الملك . وإذا لم
يأخذ الملك بثأره سنتقم له الملكة التي كانت تحفظ له مودة فائقة
وهو حي .

المشهد الثاني

في بلاطهم

يدخل جورج بافيس وجون هولاند

جورج : هيا جنّني بسيف ، وإن كان من الخشب . فهم واقفون على أتم
الاستعداد منذ يومين .

جون : و تراهم الآن في أشد الحاجة إلى النوم .

جورج : أقول لك أن جاك كاد ، تاجر الجوخ ينوي أن يجدد مقر الدولة
ويقلبه رأساً على عقب ويخلع عليه خلة جديدة قشبية .

- جون : هو بحاجة قصوى الى ذلك لأنه بلي واهتراً . يا الهي ماذا أقول ؟ لم يبق من مجبوحة في انكلترا منذ أن برز الوجهاء فيها .
- جورج : تباً لهذا الجيل البائس الذي لم يعد لديه أي اعتبار للحرفيين .
- جون : يعتقد النبلاء أن الخروج بوزرة من الجلد عار على من يرتديها .
- جورج : فوق كل ذلك ، أؤكد لك أن مستشاري الملك ليسوا بارعين .
- جون : هذا صحيح . ومع ذلك يقال دائماً : اعمل حسب رسالتك في الحياة . وهذا يوازي التوصية : على القضاة أن يكونوا مجتهدين حازمين . وعلينا نحن أن نكون القضاة .
- جورج : أصبت الهدف ، إذ ليس من دليل على الذهن المتوقد أصدق من اليد الحشنة .
- جون : اني اراهم ، ها اني اراهم . وهذا ابن باسـت دباغ ونكهمام .
- جورج : هو بحاجة الى جلود اعدائنا ليصنع منها سيوراً للكلاب .
- جون : و« ديك » الجزار .
- جورج : سيقضي على الجرم كأنه ثور ، وعلى الظلم كأنه عجل .
- جون : وسميث الحائك .
- جورج : ان وجودهم معلق بخيط رفيع .
- جون : تعال ، تعال ننضم اليهم .
- يسمع قرع طبل . يدخل « كاد » وديك الجزار وسميث الحائك وجماعة اخرى .
- كاد : انا جون « كاد » ، دعيت هكذا لأنني ابن زوجين ألغني قرانها .

- ديك (على حدة): أو لأنك سرقت برميلاً يحوي سمكاً بجففاً.
- كاد: لأننا سنجهاز على أعدائنا المنحطين، وقد دعينا بإلهام سماوي لننزل الملك عن عروشها، والأمراء عن كراسيها، ولنفرض الصمت.
- ديك: سكوت.
- كاد: كان والذي احد أفراد أسرة مرتيمور.
- ديك (على حدة): كان رجلاً شريفاً وبناءً ممتازاً.
- كاد: وكانت أمي من أسرة بلانتاجينه.
- ديك (على حدة): عرقها جيداً لأنها كانت قابلة قانونية.
- كاد: وزوجتي هي من ذرية «لاسي».
- ديك (على حدة): هي في الواقع ابنة بائع متجول كان يبيع شتى لوازم الخياطة.
- سميث (على حدة): لكن، منذ مدة، لأنها لم تعد قادرة على السفر ويدها صرة فرائها، صارت تقوم بغسل الملابس في بيتها.
- كاد: أنا شجاع جريء.
- سميث (على حدة): لا بدّ من ذلك، لأن التسول يحتاج الى جرأة.
- كاد: أنا لا أستطيع تحمّل التعب طويلاً.
- سميث (على حدة): بلا ريب، لأنني شاهدته وهو يتلقى ضرب السياط في السوق مدة ثلاثة أيام متتالية.
- كاد: انا لا أخشى الحديد ولا النار.
- سميث (على حدة): لا يخشى الحديد، لأنه يرتدي سترة تقي من الطعنات.

ديك (على حدة) : انما يخيل اليّ أن عليه أن يتجنب النار إذ أُحرقت يده بسبب سرقة المواشي .

كاد : كن اذاً شجاعاً ، لأن ربّانك شجاع وهو مصمم على اصلاح كل المعاييب . من الآن وصاعداً الأرغفة السبعة وقيمتها فلس في انكلترا ستباع بفلسين ، وابريق يتسع لثلاثة أقداح سيحوي عشرة أقداح . ومن الحقايرة اذاً أن لا يشرب المرء قليلاً من الجعة ، لأن المملكة باجمعها ستكون مشتركة وخيالي سيسرح في محلة شيبسايد ، ومتى أصبحت ملكاً ، لأنني سأصبح ملكاً...

الجميع : حفظ الله جلالتك .

كاد : شكراً ، أيها الشعب الأمين. لن يبقى من حاجة للمال ، فالأكل والشرب على حسابي ، واريد أن يرتدي الجميع ملابس متشابهة حتى يبدوا كأنهم اخوة ويكرموني كسيدهم .

ديك : لنبدأ اذاً بقتل جميع رجال القانون .

كاد : أجل ، هذا ما أنوي عمله . انما من المؤسف أن يذهب حمل بريء ضحية كم كلمة مكتوبة بخط رديء تكفي لإهلاك رجل . يقال ان النحلة تعقص ، أما أنا فأقول ان الذي يعقص هو شمع النحل ، لأنني لم استعمل خاتم الشمع سوى مرة واحدة . ومنذ ذلك الوقت لم أعد سيّد نفسي . من القادم الينا ؟

يدخل بعض الأهالي ومعهم موظف شاتهام

سميث : هذا هو موظف شاتهام ، وهو يعرف القراءة والكتابة والعَدّ .

- كاد : يا له من مسخ !
- سميث : فاجأناه وهو يصنع نماذج للاطفال .
- كاد : هذا محتمل لعين .
- سميث : في جيبه كتاب يحتوي على رسائل حمراء .
- كاد : هل هو ساحر ؟
- ديك : انه يعرف تنظيم العقود والكتابة بخط عريض .
- كاد : انا مستاء من وضعه ، وأقسم بأنه يبدو لي رجلاً طيباً . إلا اذا كان مذنباً فوئاً سيموت . اقترب يا صاح ، علي أن اتفحصك . ما اسمك ؟
- الموظف : عمانوئيل .
- ديك : عادةً ، يكتب الاسم في أعلى الورقة . انما الأمر سيء بالنسبة اليك .
- كاد : دعني اخاطبه . هل من عادتك أن تكتب اسمك ؟ وهل لك شارة خاصة كأني رجل محترم شريف ؟
- الموظف : اشكر الله ، يا سيدي ، على أني ربّيت تربية لائقة فتعلّمت كتابة اسمي .
- الجميع : لقد اعترف . فعلينا أن نتخلص منه لأنه خائن سافل .
- كاد : لتخلص منه اذاً ، فانا أريد ذلك ، ولنشقه ، وريشته ومجبرته معلّقتان في عنقه .
- يدخل ميشال

- ميشال : أين قائدنا؟
- كاد : ها أناذا ، يا صديقي الحميم.
- ميشال : اهربوا ، اهربوا . لأن سير همفري ستافورد وأخاه قريبان من هنا مع فصائل الملك .
- كاد : قف ، ايها السافل ، قف وإلا قتلتك . سيواجه رجلاً يوازيه انحطاطاً وهو ليس سوى خيال ، أليس كذلك؟
- ميشال : لا أكثر.
- كاد : ولكي أعادله ، سأصبح في الحال فارساً . فلترفع ، يا سير جون مرتيمور . والآن حذار منه .
- يدخل سير همفري ستافورد ووليم اخوه ، بينما تفرع الطبول على رأس الفصائل .
- ستافورد : ايها الرعاع المتمردون ، يا حثالة مقاطعة كنت ، انتم تستحقون الشق ، ألقوا اسلحتكم أرضاً وعودوا الى أكوأخكم ، ودعوا هذا المسكين وشأنه ، فاذا تخليتم عنه ستشملكم رحمة الملك .
- وليم ستافورد : لكنه سيفضب ولن يتراجع عن سفك الدماء ، اذا ثابرتم على عملكم فاستسلموا اذاً والاً هلكتم جميعاً .
- كاد : انا لا أهتم لهؤلاء العبيد المتسرلين بالحرير . انما لأجلكم ، يا أفراد الشعب الكريم انا اتكلم ، لأجلكم انتم الذين أرجو أن أكون يوماً ملكاً عليكم لأنني وحدي الوريث الشرعي لهذا التاج .

ستافورد : يا منافق ، كان أبوك عاملاً بسيطاً ، وأنت أجير متمرن ، أليس كذلك ؟

كاد : وكان آدم والدنا جميعاً بستانياً .

وليم ستافورد : ماذا تقصد ؟

كاد : اسمع ما أقول . أعتقد بأن ادمون مرتيمور كونت مارش ، تزوج ابنة دوق كلارانس ، اليس كذلك ؟

ستافورد : أجل ، يا سيدي .

كاد : ومنها انجب توأمين .

وليم ستافورد : نعم ، هذه هي القضية . وأنا أؤكد أن ذلك صحيح . فالبكر عندما سُلم الى المرأة التي أرضعته ، خطفه أحد المُتسولين ، واذ جهل أصله وأهله ، عندما شبَّ أصبح بناءً ، وانا ابنه ، أنكر ذلك إن استطعت .

ديك : هذه عين الحقيقة . فإذا هو الملك .

سميث : يا سيدي ، لقد صنع مدفأة في بيت أبي ، ولا تزال الاحجار موجودة في امكتها كشاهد حيّ برهاناً على ذلك . فلا تنكر الأمر إذاً .

ستافورد : هل تصدق ادعاء هذا العامل البليد الذي لا يعي ما يقول ؟

الجميع : حقاً هذا هو الواقع . فلننصرف الآن .

وليم ستافورد : يا جاك كاد ، لقد ألقى عليك دوق يورك درساً قاسياً .

كاد (على حدة) : هو أكبر الكذابين ، لأنني أنا الذي اختلقت كل هذه القصة .
(بصوت عالٍ) اذهب يا صديقي وقل للمليك من قبلي أي اعتبارا
لوالده هنري الخامس الذي كان الأولاد في عهده يلعبون بالكعاب
لقاء دنانير فرنسية ، انا موافق على أن يملك بشرط أن اسهر انا عليه
كحامي المملكة .

ديك : من جهة أخرى ، نريد اسقاط لورد ساي الذي باع مقاطعة ماين .
كاد : الحق معكم ، لأن عمله قد شلّ انكلترا التي ستضطر للاستعانة
بعكاز ، اذا لم اساندها بقوة . يا اخوتي الملوك أوكد لكم ان لورد
ساي قد فسد الدولة واستنزف دمها . وفوق ذلك ، انه يعرف ان
يتكلم الفرنسية ، اذاً هو خائن .

ستافورد : تبا لك من جاهل غبي .
كاد : جابوني على هذا ، اذا استطعت : الفرنسيون هم أعداؤنا ، اذا لا
شك في أن من يتكلم لغة اعدائنا لا يمكنه أن يكون مستشاراً
صالحاً . أثبت لي عكس هذا الاستنتاج .

الجميع : كلا ، كلا . لذلك نطالب بقطع رأسه .
وليم ستافورد : يا جماعة ، بما أن الحديث الحلولا مفعول له ، فما علينا إلا أن نهجم
اخصامنا بمؤازرة جيش الملك .

ستافورد : أيها الحراس ، اذاً الى الأمام ، وفي جميع المدن أعلنوا خيانة من
يتمردون ويتبعون كاد . أعلنوا أن الذين يهربون قبل انتهاء المعركة
سيكونون عبرة لسواهم وسيشتقون امام ابواب بيوتهم وتحت أنظار

زوجاتهم وأولادهم . واتم كلكم يا أصدقاء الملك اتبعوني . (يخرج
الاخوان ستافورد وفرقهما) .

كاد : واتم جميعاً يا من يحبون الشعب اتبعوني ، واثبتوا الآن انكم رجال
أهل لنيل حريتكم . لن نترك لوردأ واحداً ولا وجيهاً واحداً . ولن
نوفر إلا من يلبسون أحذية ذات مسامير . لأنهم أناس اقتصاديون
وشرفاء غير مبذرين وسيساعدوننا إذا كانوا يتحلون بالجرأة .

ديك : ها هم كلهم مصطفون يتوجهون نحونا .
كاد : نحن أيضاً مصطفون حتى عندما تسودنا الفوضى . ها سيروا الى
الأمم (يخرجون) .

المشهد الثالث

تسمع موسيقى التحذير . يعود الفريقان الى المسرح ويتقارنان
يقتل همفري سافورد واخوه

كاد : أين ديك ، جزار آشفورد؟
ديك : أنا هنا ، يا سادة .
كاد : هم يتساقطون امامك كالخرفان والابقار ، وأنت تتصرف كأنك في
مسلخك . بالنتيجة ها هي مكافأتك : القتال تتضاعف مدته ،
ولك وحدك امتياز قتل تسعة وتسعين شخصاً في الاسبوع .
ديك : انا لا أطلب المزيد .

- كاد : الحق أقول ، انك لا تستحق أقل من هذا العدد . (يرتدي صبرة همفري ستافورد) أود أن ارتدي هذه كبتكار انتصارنا . وسأجر هذه الجثث بعد زبطها الى ذنب حصاني حتى وصولي الى لندن حيث اجعل سيف المحافظ يسير مرفوعاً امامي .
- ديك : اذا شئنا أن نتصر وان نحسن صنعاً ، علينا أن نهجم السجون ونطلق سراح نزلائها .
- كاد : لا تخف ، انا اعدك بتنفيذ ذلك . هيا تّجه الى لندن (يخرجون) .

المشهد الرابع

في لندن ، داخل احد القصور

يدخل الملك هنري وهو يقرأ إلتماساً . يرافقه دوق بوكنكهام ولورد ساي . وعلى مسافة منهم تظهر الملكة مرغريت وهي تتأمل رأس سوفولك .

الملكة مرغريت سمعت مراراً ان الألم يهيج دفائن النفس ، ويجعلها تخاف وتفقد رزاتها . فلنفكر اذاً بالانتقام ولنكفّ عن التذنب والنجيب . ولكن من يمكنه الامتناع عن البكاء خيال مشهد مؤلم كهذا ؟ ها هو رأسه يرقد هنا في حضني لاهناً ، لكن أين جسده . لكي أضمه الى صدرى ؟

بوكنكهام (للملك) : بماذا تجيب ، يا صاحب الجلالة ، على التماس المتلمردين ؟

الملك هنري : ارسل اليهم اسقفاً باراً ليهدى روعهم ويدعوهم الى السكينة . لأن من الحيف ، لا سمح الله ، أن تهلك كل هذه الخلائق البشرية بمحبة السيف . وأنا نفسي ، عوضاً عن أن أموت في حرب طاحنة ، أفضّل أن أفوض جاك كاد قائدهم . فانتظروا حتى اعيد تلاوة هذا الالتماس .

الملكة مرغريت : سحفاً لكم أيها البرابرة القساة ! كان هذا الرأس يهيم عليّ كأنه كوكب ساطع ، ولم يتسنّ له أن يحظى بعطف هؤلاء الرعايا الذين لا يستحقون رفع نظرهم الى طلعتة البهية .

الملك هنري : لقد اقسم جاك كاد على الظفر برأسك ، يا لورد ساي . ساي : أجل ، لكن كل أملي أن تظهر أنت برأسه يا صاحب الجلالة .

الملك هنري : ما بك ، يا سيدتي ؟ اراك لا تكفين عن البكاء والندب على موت سوفولك . لو وافاني أجلي ، يا حبيبي ، اخشى أن لا تتجني مثلاً تفعلين لأجله .

الملكة مرغريت : كلا ، يا حبيبي ، لن أبكيك ، بل سأموت حزناً وكمداً عليك . يدخل رسول .

الملك هنري : ما وراءك من أخبار ؟ لماذا أنت مستعجل هكذا ؟

الرسول : لقد وصل المتمردون الى ساوثورك . فاهرب . يا مولاي . لأن جاك كان يبادي بنفسه ملكاً باسم مرتيمور سليل أسرة دوق كلارانس ، وهو يتهم جلالته صراحةً باغتصاب العرش ، وقد أقسم أن يتوج ذاته في ويستمنستر . أما جيشه فهو عبارة عن جماعة من الدجالين

في اسمال بالية ، وفلاحين بلا رحمة ولا شفقة . وزاد الطين بلة مقتل ستافورد وأخيه ، وهو الذي شجعهم واستفزهم على مواصلة الهجوم . اما هم فيعتبرون أهل العلم ورجال القانون والحاشية والبلاط والوجهاء كلهم صعاليك خونة ويتبجحون بالتصميم على ابادتهم .

الملك هنري : تباً لهم من جهلة سمجين لا يدرون ماذا يفعلون .
 بوكنكهام : يا مليكي المقدى ، ارجوك أن تنسحب الى كانلورث حتى يتسنى لنا أن نجمع القوات الكافية لسحقهم .
 الملكة مرغريت : آه ! لو كان دوق سوفولك حياً ، لفرض على هؤلاء الرعايا المتمردين ان يستسلموا في الحال .

الملك هنري : الخونة يكرهونك ، يا لورد ساي ، فتعال اذاً معنا الى كانلورث .
 ساي : قد يشكل ذلك خطراً على شخصك الكريم ، يا صاحب الجلالة .
 فيما أن مشاهدي تغيطهم ، انا موطن العزم على البقاء في هذه المدينة حيث سأعيش خفية أطول مدة ممكنة .
 يدخل ثاني رسول .

الرسول الثاني : لقد احتلّ جاك كاد لندن ، والأهالي يهربون ويغادرون منازلهم ، فيأتي الرعايا ويستولون على الغنائم وينضمون الى الخونة ، وكلهم ينوون سلب المدينة وقصرك الملكي .
 بوكنكهام : لا تتأخر ، يا مولاي . بادر الى جوادك واسرع .
 الملك هنري : تعالي ، يا مرغريت . والله ، املنا الوحيد ، يكون في عوننا .

الملكة مرغريت : خاب أمني بموت سوفولك .
 الملك هنري (لورد ساي) : الوداع ايها اللورد ، لا تتكل على متمردي منطقة كنت .
 بوكنكهام : لا تتكل على أحد بتاتاً ، لئلا تذهب ضحية الغدر والخيانة .
 ساي : انا واثق ببراعتي ، وهذا ما يشجعني ويزيدني عزماً . (يخرجون) .

المشهد الخامس

في برج لندن

يظهر لورد سكايل وآخرون في أعلى الحاجز ، وفي أسفله يظهر بعض الأهالي .
 سكايل : هل حقاً قتل جاك كاد ؟
 بعض الأهالي : كلا ، يا مولاي ، ولا نظنه يُقتل بسهولة . لأن جماعته استولوا على الجسر ، وقد قضوا على كل من قاومهم . والمحافظ يستحلفك أن ترسل له جلالتك عوناً من البرج للدفاع عن المدينة وانقاذها من المتمردين .
 سكايل : كل ما يمكنني أن أرسله من عون هو تحت تصرفك . لكني أنا ذاتي قلق هنا ، لأن المتمردين حاولوا الاستيلاء على البرج أيضاً . انما عليك أن تمضي الى سميثفيلد لتجمع القوات ، وانا أرسل ماتيو كوك الى هناك فوراً . فقاتلوا في سبيل مليكم ووطنكم ووجودكم . وعلى هذا الأمل استودعكم الله ، إذ أن لي أن أعود (يخرج) .

المشهد السادس

في لندن ، وسط شارع المدفع

يدخل جاك كاد ورفاقه . يضرب بعضى قيادته حجر حدود لندن .

كاد : والآن ، ها أناذا مرتيمور لورد المدينة . وهنا بالذات ، حيث أجلس على حجر حدود لندن ، آمر بإصرار أن تسيل من العين العامة وعلى حساب البلدية ، خمرة عوضاً عن الماء طوال السنة الأولى من حكمي السعيد . ومن الآن وصاعداً تعتبر خيانة تسميتي بغير لورد مرتيمور .

يدخل جندي راكضاً .

الجندي : جاك كاد ، يا جاك كاد .

كاد : أقتله في مكانه ، يا هذا . (يُقتل الجندي) .

سميث : لو كان هذا الشاب عاقلاً متبصراً لما دعاك جاك كاد . اعتقد بأنه نال جزاءه ، وسيكون عبرة لمن يعتبر .

ديك : يا مولاي ، هناك في سميثفيلد جيش مستنفر ، على أهبة الهجوم .

كاد : فإلى الأمام اذاً . هيا بنا نقاتله . لكن ، يجب إضرام النار أولاً في جسر لندن ، وإن أمكن إحراق البرج أيضاً . هيا الى العمل . (ينخرجون) .

المشهد السابع

في سميثفيلد

تسمع موسيقى تحذير. يدخل من أحد الجوانب ، كاد ورفاقه ، ومن الجانب الآخر ، بعض الأهالي وفصائل الملك بقيادة ماتيو كوك. ينشب قتال ، يتشرذم الاهالي ويفرقون ، ويقتل ماتيو كوك.

كاد : هذا ما تستحقونه ، يا سادة. والآن ليمضِ البعض ويهدم فندق سافوا ، وآخرون الى مدرسة الحقوق ويدمروا كل ما فيها.
ديك : لديّ طلب أقدمه لمولاك.

كاد : عندما تصبح صاحب سيادة ، يستجاب طلبك.

ديك : ألتمس أن تعلن أنت ذاتك شرائع انكلترا.

جون (على حدة) : إي وربّي ، ستكون شرائعه دموية ، لأنه تلقى طعنة رمح في فمه ولم يُشفَ منها بعد.

سميث (على حدة) : ستكون ، يا جون ، شرائع ننته ، لأن رائحة فم هؤلاء الرعاع كريهة لكثرة ما يزدردون من الجبن المشوي.

كاد : أنا أيضاً على يقين بأن يكون الأمر كذلك. فاذهب واحرق جميع محفوظات الملك. لأن أقوالي ستكون هي قرارات مجلس نواب انكلترا.

جون (على حدة) : إذاً ستكون قوانيننا على لسانه صارمة جائرة ، إلا إذا اقتلعتنا له أسنانه.

كاد : ومن الآن وصاعداً ، سيصبح كل شيء مشتركاً .
يدخل رسول .

الرسول : يا مولاي . هناك لقطة هامة . ها هوذا لورد ساي الذي باع مدن فرنسا والذي دفعنا في آخر إعانة مبالغ باهظة جداً .
يدخل جورج بافيس عائداً بلورد ساي .

كاد : سيقطع رأسه عشر مرات ، لأجل ذلك . أهذا أنت يا ساي ؟ أنت يا سيرج أنت يا لورد بوكران ؟ ها أنت الآن تحت رحمة قوانيننا الملكية النافذة . ما هو ردك على جلالي لأنك تخليت عن منطقة نورمندي للسيد باريمكو ولي عهد فرنسا ؟ أعلم إذاً أنك أمام سيادتي المحيدة ، سيادة لورد مرتيمور بالذات ، وأني سأكنس من يجب التخلص منه في بلاط السفلة اللثام مثلك . لقد أفسدت شيبة الملك بدناءتك حين انشأت مدرسة القواعد اللغوية . فأبأؤنا لم يكن لديهم سوى من وضع العلامة والمقياس . أما أنت فقد لجأت الى استخدام المطبعة بالرغم من مشيئة الملك وتاجه وكرامته ، واستخدمت مصنع الورق . سأثبت لك أنك جمعت اناساً يتكلمون عادة عن الاسماء والافعال وعن سواها من الكلمات السخيفة التي لا تتحمل سماعها اذن مرهفة . ولقد عينت قضاة ليحاكموا المساكين على أمور لا سبيل الى الاجابة عنها . فوق ذلك سجنحت الكثيرين لأنهم لا يعرفون القراءة ، ثم أمرت بشنقهم مع أنهم لأجل معرفتهم كانوا يستحقون أن يحبوا . أراك الآن تمتطي جواداً مطهّماً مسروجاً ، أليس كذلك ؟

ساي : ثم ماذا؟

كاد : أظنك لا تريد أن تسرح حصانك بيدخ بيننا من هم اشرف منك يرتدون الجوارب والأرجوان .

ديك : ويشغلون احياناً وهم بالقميص نظيري أنا الجزار مثلاً .

ساي : يا رجال كنت ...

ديك : ماذا تقول عن كنت ؟

ساي : لا شيء سوى انها أجمل أرض لأسفل شعب .

كاد : تخلصوا منه ، تخلصوا منه حالياً ، لأنه طويل اللسان .

ساي : أصغر فقط الى ما أقول ، ثم تصرف كما تشاء . لقد جاء في تعليقات

قيصر ان مقاطعة كنت هي البقعة التي تعج فيها الشرطة أكثر من أي مكان آخر في هذه الجزيرة الواسعة . والطبيعة فيها رائعة ، وهي حافلة بالثروات وأهاليها كرماء وشجعان ويمتازون بالنشاط والثراء ،

الأمر الذي يحملني على الأمل بأن لا تكون ، وأنت واحد منهم ، خالياً من العطف والشفقة . انا لم أبع بمقاطعة ماين ، ولم اخسر

منطقة نورمندي . لكنني لكي استردها ، أنا مستعد لأن أضحي بحياتي . لقد كنت دائماً عادلاً وسمحاً ، وباستمرار هزت فؤادي

التوسلات والدموع ، بعكس الهدايا التي لم اقبلها أبداً . فلا تطلب مني بالاحاح إلا ابقاء الملك متربحاً على عرشه والمحافظة على المملكة

وعلى شخصك أيضاً . فلقد بذلت الثروات الضخمة على العلماء من الموظفين لأن ثقافتني هي التي ميزتني دوماً عن الملك . وبما أن

الجهل هو لعنة الله ، هكذا العلم هو الجناح الذي نرتفع به نحو

السماء ، إلا إذا كانت الارواح الشريرة تسكن في داخلنا . لذلك
لا سبيل الى التفكير بقتلي ، ودوماً كان لساني لدى الملوك الغرباء
ترجان مضالحكم .

كاد : وهل تسنى لك أن تطعن طعنة واحدة بسيفك في ساحة الحرب ؟

ساي : الرجال المتفوقون امتازوا بطول الباع في كل زمان ومكان . فكم
طعنت من لم أكن أبصرهم طعنة نجلاء أودت بحياتهم .

جورج : تباً لك من جبان . ماذا فعلت ؟ هل طعنت الناس في ظهورهم
غدرأ ؟

ساي : لقد شجب لون وجهي وأنا أسهر على منفعتكم .

كاد : أصفعه كم صفعه فتسترد وجنتاه احمرارهما .

ساي : الجلسات الطويلة التي قضيتها في درس قضايا الفقراء ، ما نابني منها
سوى التعب والمرض .

كاد : سنعالجك بشراب القنب وبفصد دمك بالمشروط .

ديك : لماذا ترتجف ، أيها الرجل ؟

ساي : من الشلل لا من الخوف .

كاد : يهز رأسه ، وهو ينظر اليه ، كمن يقول : لن أنسى معاملتكم .

سأرى اذا كان رأسه سيهدأ في أعلى الرمح . خذوه واقطعوا له
رأسه .

ساي : قل لي : ماذا اقترفت من ذنب ؟ هل اشتيت الغنى والشرف ؟ قل

لي : هل امتلأت خزائني بالذهب المغتصب ؟ هل رأيت أن يزني

فاخرة ؟ بمن منكم ألحقت أي ضرر كي تطالبوا بازهاق روحي ؟ ان
يديّ طاهرتان من كل دم بريء . فلا تدعوا أفكارني تحفل بالخواطر
السوداء الجاحدة . اتركوني وشأني لأنني لا أريد سوى العيش
بسلام .

كاد (على حدة) : أشعر بأن هذه الكلمات تحرك فيّ عاطفة الشفقة . غير أنني
سأسيطر عليها وسيموت هو ، لأنه دافع بمهارة عن حياته . خذوه ،
فان شيطاناً رجيماً يكن تحت لسانه ، وهو لا يلفظ اسم الله . هيا
خذوه واقطعوا له رأسه حالاً ، ثم هاجموا بيت صهره سير جيمس
كرومر ، واقطعوا له هو أيضاً رأسه ، واجلبوا لي رأسيهما ، كل
واحد معلقاً على رمح .

الجميع : قضي الأمر .

ساي : أيها المواطنون ، لو أن الله ، عندما تتضرعون اليه ، يكون متشدداً
نظيركم ، ماذا كان حلّ بنفوسكم بعد ممانتكم ؟ أرجوكم ان
تشفقوا عليّ وترحموني وتصونوا حياتي .

كاد : خذوه ، خذوه ونفذوا ما أمرتكم به . (يخرج بعض المشاغبين

بصحبة لورد ساي) أن أكبر شخصية محترمة في هذه المملكة لا
تستطيع ان تحفظ رأسها فوق كتفها اذا لم تدفع الجزية المفروضة .
وليس من عذراء يمكنها أن تتزوج بدون أن تسدد لي مسبقاً ضريبة
بكارتها . فالرجال مدينون لي أولاً ، وأنا آمر وأفرض أن تكون
نساءهم مسائرات حسب ما يشتهي قلبي ويطلبه لساني الزلق .

يا مولاي ، متى تذهب الى شبيد سايد لنستعيد المؤن بأسسة رماحنا ؟
ديك :

كاد : يمكننا تنفيذ ذلك فوراً.

الجميع : هذا رائع .

يعود المتمرّدون برأسيّ لورد ساي وصهره .

كاد : لكن هذا أروع . دعوها يقبل أحدهما الآخر لأنها كانا متحابّين للغاية ، حين كانا على قيد الحياة . والآن ابعدهما الواحد عن الآخر خشية ان يتشاورا في أمر استسلام مدن جديدة في فرنسا . أيها الجنود ، اجّلوا نهب المدينة الى الليل ، لأننا نريد أن نتجول في الشوارع على جيادنا في ضوء المشاعل ومعنا هذان الرأسان مرفوعين أمامنا كأنهما علمان ، وعن جميع مفترقات الطرق يجعلها يقبل أحدهما الآخر (يخرجون) .

المشهد الثامن

في ساو فورك

يسمع انذار . يدخل كاد وجميع افراد عصابته .

كاد : إصعدوا في شارع فيش من زاوية ستمكنوس . اقتلوا وحطموا وارموا الجثث في نهر التاميز (تسمع حركة استسلام ثم انسحاب) . ما هذه الضجة ؟ هل يحسر أحد على اعلان الاستسلام عندما أمر انا بالقتل ؟

يدخل بوكنكهام والعجوز كليفورد مع فصائلها .

بوكنكهام : اجل ، نحن نجاسرنا على ازعاجك ، يا كاد ، لأننا قادمون كسفراء من قبل الملك لدى الشعب الذي ضيعته . وهنا نعلن العفو العام عن جميع من يتخلون عنك عائدين الى بيوتهم بأمان .

كليفور : ما رأيكم ، يا مواطني ؟ هل تريدون أن تسايروا وترضوا بالعفو المعروض عليكم ، أو أن يقودكم متمرد الى الهلاك والموت المحتم ؟ فن يجب الملك ويريد نيل الحظوة في عينيه يلقي قبعته في الهواء ويهتف : حفظ الله جلالته . ومن يغضه ولا يكرم والده هنري الخامس الذي أرجف كل فرنسا ، يرفع سلاحه في وجهنا ويمضي .

الجميع : حفظ الله الملك ، حفظ الله الملك .

كاد : ما هذا ؟ هل بلغت بكما الوقاحة هذا الحد ، يا بوكنكهام ويا كليفور ؟ وأنتم ايها المنافقون المتقلبون ، هل صدقتموها ؟ هل تريدون أن تُشنقوا وعفوكم معلق في رقابكم ؟ هل قلّ حدّ سني عند أبواب لندن حتى تحلّيتم غني كما أفلّتم طيارة في الهواء ساعة وصولنا الى ساوثورك ؟ لقد اعتقدت بأنكم لن تلقوا بأسلحتكم جانباً إلا بعد أن تستردوا حرياتكم السابقة . لكنكم جميعاً جناء خانعون ترتضون حياة الذلّ والعبودية في ظلّ النبلاء المتغطرسين . دعوهم اذاً يحطموا ضلوعكم تحت وقر استبدادهم . اتركوهم يسلبوا بيوتكم تحت انظاركم وينتهكوا اعراض نسايتكم وبناتكم امام أعينكم . اما أنا فأتدبر أمري وحدي ، وعلى هذا الأساس ، فلتسقط لعنة الله على رؤوسكم جميعاً .

الجميع : ستبع كاد ، ستبع كاد .

كليفوردي :

هل «كاد» هو ابن هنري الخامس كي تعلموا بصوت عالٍ ولاءكم له وللحاق به؟ هل سيقودكم الى احتلال فرنسا وسيرقي احقركم الى مقام دوق أو كونت؟ وهو مع الأسف لا سقف له يأوي اليه ، ولا يسعه أن يعيش إلا من القتل والسلب ، ونهب أموال أصحابكم وسرقتنا نحن أيضاً. وفيما أتم نحبون في نزاع مستمر . أي عار سيحلّ بكم اذا ما الفرنسي الحسيس الذي كنتم دائماً تتغلبون عليه اجتاز البحر وانتصر عليكم في عقر داركم؟ منذ الآن ونحن لا نزال في غمار هذه الحرب الأهلية يحتمل اليّ أني اراهم يتأيّدون في شوارع لندن وهم ينادونكم : أيها الأوغاد ، ويصقون في وجه جميع من يصادفون. آه ليهلك عشرة آلاف بائس متشرد مثل كاد ، ولا تستسلموا الى الفرنسيين. فهيا ، الى فرنسا الى فرنسا ، واستردوا ما فقدتموه. صونوا انكلترا لأنها ملاذكم الأمين ومسقط رأسكم. فان هنري يملك المال ، وأتم أقوياء وشجعان ، وبعون الله ستنتصرون.

الجميع :

ليحيّ كليفوردي ، ليحيّ كليفوردي. ستبّع الملك وكليفوردي معاً.

كاد (على حدة) : هل رأى احد ريشة في مهب الرياح ، أخفّ من هذه الشراذم السريعة القلب؟ ان اسم هنري الخامس يجرحهم الى ارتكاب مئة غلطة ، وهذا ما يرميني بالوحدة والعزلة. اراهم يتشاورون كي يفاجئوني. فما لي سوى سيني ليشق لي طريقي ، ما دمت لا أستطيع الانتظار أكثر مما فعلت. ورغم كل شياطين الجحيم سأمرّ في وسطهم ، فالسماء وشرفي يشهدان على أن العزم لا ينقصني لأحزم

امري. لكن ، ما حيلتي بالخيانة الدنيئة التي يبادرنى بها رفاقي وتضطرنى الى الضرب يمينا ويساراً (يخرج).

بوكنكهام : ما هذا ؟ اراه يهرب . هيا طاردوه . ومن يأتي برأسه الى الملك له مكافأة الف دينار . (يخرج بعض الرجال) اتبعوني ايها المقاتلون سنسعى الى الصلح بينكم وبين جلالة الملك (يخرجون).

المشهد التاسع

في قصر كانيلورث

يدخل الى السطحة كل من الملك هنري والمملكة مرغريت ثم سومرست.

الملك هنري : لم يتفق أبداً الملك أن ينعم بعرشه على الأرض وأن يحظى بقائد أوفر حظاً مني ؟ لم أكد أغادر المهد حتى نُصبت ملكاً في شهري التاسع . ولم يرغب أحد أن يصبح ملكاً بحماسة نظيري وبشوق يضاهي توقي الى أن أكون احد الرعايا .

يدخل بوكنكهام وكليفورد

بوكنكهام : احبيك اجمل تحية ، يا صاحب الجلالة ، وآتيك بابهج الأنباء .

الملك هنري : ماذا جرى ، يا بوكنكهام ؟ هل قبضتم على الخائن كاد ؟ أم أنه لم يتراجع إلاّ ليستجمع قواه ويهاجمنا من جديد ؟

يدخل ، عند أسفل السطحة ، عدد كبير من رفاق كاد والجل في أعناقهم .

كليفوردي : لقد هرب كاد ، يا مولاي ، وجميع انصاره استسلموا ، وها هم
يحنون رؤوسهم بذلّ ، والحبل في أعناقهم ، ينتظرون حكم
جلالتكم عليهم بالموت أو بالحياة .

الملك هنري : افتحي يا سماء ابوابك لتقبلي شكري وامتناني . وأنتم أيها الجنود
افتلوا اليوم حياتكم وبرهنوا على مدى محبتكم لأمركم وبلدكم .
حافظوا دوماً على عواطفكم النبيلة . ومهما كنت أنا هنري قليل
الحظ ، ثقوا بأنني لن أكون أبداً عقوقاً . وعلى هذا الأساس
أشكركم وأعفوا عنكم جميعاً وأعيد كل واحد منكم الى أسرته
وبيته .

الجميع : حفظ الله الملك ، حفظ الله الملك .

يدخل رسول

الرسول : ليسمح لي صاحب الجلالة بأن أعلن له أن دوق يورك قد وصل
حديثاً الى ايرلندا ومعه قوة وجيش كبير من كالكلاس ، ومن كارن
موطن الشجعان . وهو يتقدم على رأسهم الى هذه النواحي بنظام
بديع وبذيع في كل مكان على طريقه انه لم يلجأ الى السلاح إلا
ليبعد عنك دوق سومرست الذي ينعتة بالخائن .

الملك هنري : ها قد أصبحت مملكتي بين كارثتين ، كاد من جهة ، ويورك من
جهة أخرى نظير سفينة نجت من احوال العاصفة لتفاجأ ، حال
عودة الهدوء ، بمهاجمة قرصان بطّاش . فاكاد (كاد) أن يتدحر
وجاعته أن تبثّر حتى تلاه يورك بأسلحته . أرجوك يا بوكنكهام
أن تبادر الى ملاقاته وسؤاله عن سبب تسلحه هذا . قل له أنني

أرسلت دوق ادمون الى البرج . وأنت يا سومرست سأحتفظ بك
الى أن يسرح هو جيشه .

سومرست : يا مولاي ، انا موافق على دخول السجن راضياً ، وأقبل حتى
بالموت في سبيل بلادي .

الملك هنري (لبوكنكهام) : على كل حال ، لا تخاطبه بلهجة شديدة ، لأنه عنيف
ولا يتحمل الكلام القاسي .

بوكنكهام : يا مولاي ، أنا طوع بنانك وسأتصرف حتماً بطريقة تجعل كل
الامور لصالحك .

الملك هنري : تعالي ، يا امرأة لنعود وتعلم كيف نحكم بأسلوب أفضل . لأن
انكلترا عرفت كيف تلعن حكمي البائس . (يخرجون) .

المشهد العاشر

في كنت داخل حديقة .

يدخل كاد .

كاد : تباً للغرور ، وتباً لي أنا الذي أملك سيفاً وأكاد أهلك جوعاً . ها أنا
ذا أختبئ هنا في الغابة منذ خمسة أيام ولا أجسر على مغادرتها .
لأن الجميع يجدون في البحث عني . لكني الآن جائع الى درجة ،
حتى إن ضمنوا لي أن أعيش ألف سنة ، لم يعد لي من طاقة على
الاحتمال . هكذا أراني تسلفت حائطاً ونزلت الى هذه الحديقة
لأحاول أن أسد رمقي ببعض الحشائش أو بشيء من الخضراوات

التي ترطب حلقى ومعدتي في هذا الطقس الحار ، وأنا أعتقد بأن جميع خضراوات الدنيا قد زرعت لإسعافي ، إذ بدون الخضراوات كنت أحسّ بأن طعنة رمح تشق رأسي ، وفي كثير من الأحيان عندما كنت أشعر بجفاف في حلقى على أثر سيري الحثيث ، كانت هذه الخضراوات تبلّ حلقى كأني شربت كأس ماء بارد عذب . وهكذا ستسدّ الآن بعض الخضراوات جوعي وتروي عطشي معاً .

يدخل ايدن بصحبة خدامه

ايدن : مولاي ، من يريد أن يعيش وسط ضجة البلاط والتنع بمثل هذه الترهات الهادئة ؟ إن الأرث الذي تركه لي والذي يكفيني ويوازي مملكة . أنا لا أريد أن أعمل على إفقار غيري ولا أن أكس المال لأثير حسد من يحيطون بي . يكفيني الآن بيتي ومساعدة الفقير المسكين الذي يطرق بابي ويغادره وهو راضٍ .

كاد (على حدة) : هذا هو سيد الدار يأتي للقبض عليّ بسبب تشرّدي ودخولي الى حديقة بدون استئذان . آه ! يا لعين ، تريد أن تسلمني الى الملك وتقبض ألف دينار ثمن رأسي . لكني سألقمك حجراً كأنك نعمة وستبلغ سني كدبوس كبير الحجم قبل أن نفترق .

ايدن : يا لك من مغفل خشن الطباع والكلام . أنا لا أعرف من أنت . ألا يكفيك أن تتغلغل الى حديقتي نظير سارق وجئت تهب أرضي بعد أن تسلفت حائطي عنوةً وتحداني ، أنا المالك ، بهذه الكلمات الوقحة ؟

كاد : أنا أتحداك ، أجل ، وأنوي أن أسفك دمك ، بعد أن أهينك وجهاً

لوجه. انظر إليّ جيداً. أنا لم آكل منذ خمسة أيام. مع ذلك ،
إقترب أنت ورجالك الخمسة ، فإن لم أصرعكم وألقيكم على
الأرض جثثاً هامدة بدون حراك كأنكم أوتاد مدقوقة في البرية ،
ليجعلني الله غير قادر حتى على أكل العشب .

ايدن :

لا ، ما دامت انكلترا في الوجود ، لن يقال أبداً إن اسكندر ايدن
الفارس الشهم ، في مقاطعة كنت قد اغتم وجود عدد من رجاله
معه ليقاتل مسكيناً جائعاً وحيداً. تطلع جيداً في عينيّ وانظر إذا
كنت بعد ذلك تقوى على خفض بصرك. تعال نتوازي عضواً
عضواً: أنت أنحف مني بكثير، ويدك لا تشكّل سوى إصبع
بالنسبة الى قبضتي ، ساقك كالقصبّة المروضّة إذا قيست بساقي
المتولة هذه التي تشبه جزع الشجرة. وفي رجليّ نشاط بقدر ما في
سائر بدنك من قوة ، فكن على يقين بأنّي إذا رفعت يدي في
الهواء ، لا أنزلها إلا ويكون قد حفر قبرك في هذه التربة. لنختم
حوارنا القاسي ولنترك سيني يقول ما لم يصرح به لساني .

كاد :

أقسم لك ، بأنك أكمل بطل شاهدته حتى الآن. ولو كنت من
القولاذ سأفلّ حدّك ، إذا لم تُعد سيفك الى غمده حالاً ، فلن
تتمكن من تقطيعي أنا قفص العظام إرباً إرباً. إني أبتهل الى ربي
وأنا راكع على ركبتيّ أن تصمد أمامي كالعمود الضخم. (يتقاتلان
فيسقط كاد). آه ! لقد متّ والجوع وحده قتلني. إن وقف في
وجهي عشرة آلاف شيطان يكفيني أن أتناول وجبات الطعام العشر
التي فاتتني ، وأنا أتحدّى الجميع. أذيلي يا نباتات هذه الحديقة

وَنَحْوِي إِلَى مَقَرَّةٍ تَضُمُّ رَفَاتَ كُلِّ مَنْ يَسْكُنُ هَذَا الْمَنْزَلَ . بِمَا أَنِّي أَنَا
كَادُ التَّمَرُّدِ قَدْ غَبَتِ عَنِ الْوَعْيِ .

ايدن : هل حقاً أنا قتلت كاد الصعلوك الخائن ؟ أريدك يا سيني أن لا تكون
ضحية تصرفك هذا ، وأن تزيّن قبري بفخر حين أموت ، وأن لا
يغسل دم هذا الخائن الشريد أبداً عن حذّك البتار ، بل أن تحتفظ
به كشعار وكرمز شرف تقلّده صاحبك بشجاعة واعتزاز .

كاد : وداعاً يا ايدن . إفتخر بانتصارك ، وقل غني لأهالي مقاطعتي
« كنت » إنهم قتلوا أبسل مقاتليهم بعد أن حرّض الناس رجاله على
الجن والاستسلام ، لأنّي أنا الذي لم أخف أي مخلوق ، قد غلبني
الجوع وحده ، لا قدرة من تصدّي لي . (يموت) .

ايدن : الله يعلم كم أهنتني بهذا الهراء الذي لا معنى له . مت أيها الشقي
الذليل ، ولتحلّ عليك لعنة المرأة التي ولدتك . فكما غززت سيني في
جسمك أودّ أن أغرر روحك في أعماق الجحيم . سأجرّك من
رجليك إلى القمامة التي ستكون مثواك الأخير . وهناك سأفصل
رأسك السخيف عن بدنك وأحمّله باعتزاز إلى الملك ، تاركاً
جثتك ولحمة للغربان . (يخرج وهو يجرّ الجثة) .

الفصل الخامس

المشهد الأول

في السهول بين دارتفورد وبلاكهيث.

من جهة . محبب الملك . ومن جهة أخرى يدخل يورك مع حرسه وطبوله
تقرع ، وأعلامه مرفوعة . وفصائله واقفة على مسافة منه .

يورك : هكذا أعود . أنا يورك . من إيرلندا لأطالب بحقي وأنتزع التاج من
رأس هنري الضعيف . فاقرعي يا أجراس الفرح وأسعبي الجميع
رنينك المطرب . وتأججي يا نيران الغبطة وانشري أضواءك
الساطعة لاستقبالي أنا الملك الشرعي كي أترجع على عرش انكلترا .
أيها العظمة الجليلة . من لا يشتركِ مها كان ثمنك باهظاً ؟ على
من لا يحسن القيادة أن يتنحى ويخضع للمغوار الجبار ، فإن يدي لم
تخلق إلا لتلمس الذهب . أنا لا أستطيع أن أعطي كلامي قيمته
الحقيقية إلا إذا أمسكت بالصولجان أو بالسيف . أقسم بحياتي بأني
سأحمل الصولجان وأحرّك بطرفه أزهار الزنبق رمز مملكة فرنسا .
يدخل بوكنكهام .

من الآتي إلينا ؟ بوكنكهام ؟ هل جئت لتضع العثرات في طريقي ؟ لا
بدّ من أن يكون الملك قد أرسلك . فعليّ أن أختني .

بوكنكهام : إن تصرف يا يورك بإخلاص ، أحييك كأعز صديق .
 يورك : أنا أقبل تحيتك ، يا همفري بوكنكهام ، فهل أنت قادم كرَسُول أم
 من تلقاء ذاتك ؟

بوكنكهام : أنا رَسُول هنري ، مليكننا المحبوب . جئت لأعرف أسباب هذا
 التسليح ونحن في أيام السلم . لماذا وأنت أحد الرعايا مثلي ، جمعت
 قَوَات ضخمة بدون إذن ، ورغم قسمك المقدس وتعهّدك بالولاء ،
 تجاسرت على الإتيان بها الى مكان هكذا قريب من بلاط الملك ؟
 يورك (على حدة) : أكاد لا أقوى على الكلام من شدة غيظي . أنا أستطيع أن أشقّ
 الصخر وأن أقتتّ الحجر من شدة ما أغضبني هذا الحديث
 البذيء . فنظير أجاكس بن تلامون يمكنني أن أصبّ جامّ غضبي
 على قطعان الغنم أو البقر هؤلاء . فأنا كريم المحند أكثر من الملك
 ذاته ، وتلوح عليّ إمارات النبل ولي أفكار ملكية أكثر منه . إنما
 عليّ أن أظهار بالصفاء في هذه الأثناء ، ريثما يضعف موقف هنري
 أكثر ويقوى وضعي أنا أكثر . (بصوت مرتفع) يا بوكنكهام ،
 أرجوك أن تعذرني إن أجبتك ببعض الانفعال . فإن خواطري
 فريسة القلق والكآبة العميقة بسبب مجيئي الى هنا مع جيشي ، كي
 أبعد عن الملك هذا المتجبر سومرست الذي خان جلالته وخان
 الدولة .

بوكنكهام : هذا تشامخ مبالغ من جهتك بصراحة ، إن لم يكن للجوئك الى
 السلاح من هدف آخر ، فإن الملك قد استجاب طلبك وأودع
 دوق سومرست داخل أسوار البرج .

يورك : بشرفك ، هل هو حقاً سجين؟

بوكنكهام : أقسم لك بأنه سجين.

يورك : إذاً سأسرح فصائلي ، يا بوكنكهام. أيها الجنود أشكركم جزيل

الشكر ، وأرجوكم أن تتفرقوا. ستوافوني غداً الى جوار مقرّ

الفارس جاورجيوس ، وهناك أدفع لكم أجوركم وكل ما

تريدونه. لأن مليكي هنري الفاضل ، إن طلب ابني البكر ، ماذا

أقول؟ بل إن طلب جميع أولادي كرهائن عربون أمانتي وإخلاصي

له ، أرسلهم اليه راضياً بدون تردد. فكل ما أملك من الأراضي

والأرزاق والحيل والدروع هو تحت أمره وبتصرفه بشرط أن يموت

سومرست.

بوكنكهام : أنا أثني على امتالك الودود ، يا يورك. فهيا بنا معاً الى خيمة

جلالته.

يدخل الملك هنري مع حاشيته

الملك هنري : إذاً يا بوكنكهام ، لا يضمري يورك أي سوء ، بما أني أراك تمشي

الى جانبه متأبطاً ذراعه.

يورك : بكل خضوع وانضاع أقدم لك احترامي ، يا صاحب الجلالة.

الملك هنري : لماذا إذاً أتيت اليّ بكل هذه الفصائل من المقاتلين؟

يورك : لكي أقتلع من هنا الخائن سومرست ، ولكي أقاتل المسخ المتمرد

«كاد» الذي بلغني منذ هنية أنه لاقى مصرعه.

يدخل ايدن حاملاً رأس كاد.

ايدن : إن كان لرجل مثلي ، بنخشوتي وبوضاعتي ، أن تستقبلي أيها الملك ، فاسمح لي يا صاحب الجلالة بأن أقدم لك رأس الخائن كاد ، الذي قتلته في معركة .

الملك هنري : رأس كاد؟ ما أعدلك يا إلهي ! دعوني أبصر وجه الميت الذي أقتل راحتنا عندما كان على قيد الحياة . قل لي يا صديقي ، هل حقاً أنت قتلته ؟

ايدن : أجل ، يا مولاي ، أنا قتلته .

الملك هنري : ما اسمك ، وما هي أحوالك ؟

ايدن : أنا أدعى اسكندر إيدن ، خيال من مقاطعة كنت ، وأحبك كثيراً يا صاحب الجلالة .

بوكنكهام (للملك) : إن شئت ، يا مولاي ، لن تكون مكافأته كثيرة إن جعلت منه فارساً لأجل خدمة هامة كهذه .

الملك هنري : إركع إذاً ، يا إيدن . (يركع إيدن) ، إنهض الآن فقد أصبحت فارساً . إني أمنحك ألف دينار كهبة ، وأود أن تظل دائماً على مقربة مني .

إيدن : أتمنى أن أحيا لأستحق هذه النعمة وأظل أميناً لك يا مليكي المفضل .

الملك هنري : انظر ، يا بوكنكهام ، هذا سومرست قادم بصحبة الملكة . فاذهب وقل له أن يتواري سريعاً كي لا يبصره الدوق .

تدخل الملكة ويرفقتها سومرست .

الملكة مرغريت : حتى ولا لأجل ألف يورك لن يتواري ، بل سيظل يجابهه ببسالة
ودائماً وجهاً لوجه .

يورك : ماذا أرى ؟ سومرست متمتعاً بكامل حريته ؟ إذا سأطلق أفكارى
التي ظلت طويلاً حبيسة ، وليكن لساني على وفاق مع قلبي . هل
يسعني أن أحمّل رؤية سومرست ؟ أيها الملك المحتال ، لماذا خدعتني
بكلامك المطمئن ، وأنت تعلم جيداً أنني لا أستطيع تحمّل إهانة
مشاهدته ؟ لقد دعوتك ملكاً . كلا أنت لست ملكاً . أنت غير أهل
لأن تحكم ولا أن تفرض نفسك على رعيتك ، فكيف يمكنك أن
تسيطر على خائن . إن رأسك لن يحمل التاج ويدك لن تقبض حتى
على عصي الراعي ، فكيف تحمل صولجان أمير مهاب ؟ فراسي أنا
الذي سيلا من ذهب هذا التاج ، أنا الذي نظير رمح البطل
الأسطوري . أخيل ، بسمته وعبسته تقدر كل منها بدورها أن تجرح
وتداوي ، أن تحيي وتميت . ها هذا يدي الطاهرة تقبض على
الصولجان وتقرض تنفيذ القوانين . بحق السماء ، أعطني مكانك
لأنك لن تملك بدلاً عن خلقه رب السماء لأن يكون ملكاً
عليك .

سومرست : أيها الخائن السافل ، إني أقبض عليك ، يا يورك ، لاقتراك جرم
الخيانة العظمى بتمردك على مليكك وعلى تاج انكلترا . إخضع أيها
الخائن الخسيس والتمس العفو جاثياً على ركبتك .

يورك : أنت تطلب مني أن أركع ؟ دعني أولاً أن أسأل رجالي إذا كانوا
يقبلون أن أطوي ركبتك أمام أي إنسان . يا صاحبي ، اذهب واثنني

بأولادي لكي يكونوا ضماتي. (يخرج أحد المراقبين). أنا على يقين
بأنني قبل أن أمضي الى السجن سينستلون سيوفهم لتخليصي من
أيديكم.

الملكة مرغريت : اطلبوا من كليفوردي أن يحضر الى هنا سريعاً كي يقول لي إذا كان
أولاد يورك اللقطاء بإمكانهم أن يشكّلوا ضمانة لأبيهم الخائن.
يورك : تباً لك ، أيتها الإيطالية النجسة ، يا حثالة نابولي ، يا جالبة العار
لإنكلترا ، إن أبنائي هم أشرف مجتدّ منك بما لا يقاس وسيؤمنون
الضمانة لأبيهم ، وبفضلهم أنا أرفض هذا الارتهان.

يدخل ادوارد ورينشار بلاتاجينييه مع فصائلها من جهة ، ومن الجهة
الأخرى ، يدخل العجوز كليفوردي وابنه الشاب مع فصائلها.
ها هم قد أتوا ، وأنا واثق بأنهم سيشرفون موقفي وينقذوني.

الملكة مرغريت : وها هوذا كليفوردي الذي جاء يرفض ضماتهم.

كليفوردي : التحية والعمر الطويل لمولاي الملك (يركم)

يورك : أشكرك ، يا كليفوردي. ما وراءك من الأخبار ؟ ماذا تقول ؟ لا ، لا
تهدّدي بهذه اللهجة الغبية. أنا مليكك ، يا كليفوردي ، فاركع على
ركبتك ، لأسأحك على تصرفك غير اللائق.

كليفوردي (يشير الى هنري) : هذا هو مليكي ، يا يورك ، وأنا لست مخطئاً بل أنت
المخطيء في اعتباري هكذا. خذوا هذا المعتوه الى «بدلام» ، فقد
أصابه الجنون.

الملك هنري : أجل ، يا كليفوردي. إن مزاجه الموهوس أعمى بصيرته وحمله غروره
على عصيان مليكه.

كليفوردي : إنه خائن . خذوه الى البرج واقطعوا له رأسه المشؤوم .

الملكة مرغريت : هو موقوف . لكنه لا يريد الخضوع ، بل قال إن أولاده يضمّنونه بتعهداتهم الشفهية .

يورك : أليس كذلك ، يا أولادي ؟

ادوارد : أجل يا والدي النبيل ، إذا كان تعهدنا يكفي .

ريشار : وإذا لم تكفِ كلمتنا ، لجأنا الى سيوفنا .

كليفوردي : ما هذا؟ يبدو أننا أمام عصابة من اللصوص الخونة .

يورك : انظر الى المرأة ، تبصر فيها صورة الحياة مجسّمة . أنا مليكك وأنت

لست سوى خائن حقير . اجلبوا الدّبين القويّين الى الحلبة فقد

احتفظنا بهما لنخيف بصوت سلاسلها هؤلاء المتمردين الجبناء

المغرورين . وقل لسالزيري ولورويك أن يأتيا إليّ .

تقرع الطبول . يدخل سالزيري وورويك مع بعض الجنود .

كيفوردي : هل هذان هما الدبان اللذان طلبت جلبهما؟ عذّب هذين الشخصين

بسلاسلها على أيدي حراسهما . يمكنك أن تدفعهما الى داخل

الحاجز .

ريشار : لقد شاهدت مراراً كلباً هائجاً مسعوراً يقفز الى الوراء ويعضّ أحياناً

من كان ممسكاً به . لكن متى أفلت يصبح ثقيلاً كالذبّ فيحبس

ذنبه بين قائمتيه الخلفيتين ويعوي . ستفعلون مثله إذا اشتبكتكم في

القتال مع لورد ورويك .

كليفور د : الى الوراء ، يا شبح التبجح ، يا بصلة نتنة ، يا قليل العقل وكثير البشاعة .

يورك : سأؤدّبك وألقّنك درساً لن تنساه ما حييت .

كليفور د : حذارِ أن يكون هذا الدرس من نصيبك .

الملك هنري : ما هذا ، يا ورويك ، ألم تعد تعرف كيف تطوي ركبتيك؟ وأنت أيها العجوز سالزبري عار على شيبك أن تحمّس ابنك على العصيان والهوس . أتريد أن تصبح قاطع طرق وأنت على فراش الموت ، وأن تستعجل حتفك بنحساستك وجحودك؟ أين إيمانك؟ أين وفاؤك؟ إن كان الإخلاص تبخّر من رأسك الأصلع ، فأين ستجد ملاذاً على هذه الأرض؟ أتريد أن تحفر قبرك بأظفارك ، وتنبش منه حرباً ، وتلطخ بدم الغدر شيخوختك الجليلة؟ لماذا وأنت عجوز تتناسى حنكك؟ وإن كنت لا تزال تحفظ بها ، لماذا لا تستفيد منها؟ أتصرف هكذا بداعي الحياء الذي يحلوك الى عدم الركوع أمامي احتراماً وقد قربك الشيب من منيتك .

سالزبري : يا مولاي ، لقد تفحصت أنا بذاتي ألقاب الدوق الشهير وحسب ضميري أعتبر جلالته كوريث شرعي لعرش انكلترا .

الملك هنري : ألم تقسم بأن تحفظ بولائك لي وحدي ، أنا مليكك؟
سالزبري : أجل ، يا مولاي .

الملك هنري : هل تستطيع أمام السماء أن تتنصّل من قسمك هذا؟

سالزبري : ليس من شرّ أفظع من أن يتعهد الانسان بعمل الشرّ . والبلية الكبرى هي تنفيذ هذا التعهد الدنيء . أي نذر علني يجبر المرء على

ارتكاب الجريمة وعلى سرقة قريه وعلى انتهاك عفة العذراء ، وعلى تجريد اليتيم من حقه الشرعي بالايث ، وعلى اغتصاب حق الأرملة الأكيد. كل هذه الآثام لا يبررها أي ارتباط أو أي قسم علي.
الملكة مرغريت : الخائن الخنوع لا تردعه موعظة المتصوف.

الملك هنري : نادوا لي بكونكهام وقولوا له أن يتسلح وأن يكون على أتمّ الاهبة.
يورك : استعن بكونكهام وبجميع أصحابك. فأنا مصمم على اعتلاء العرش أو الموت في سبيله.

كليفوردي : الموت أنا أضمنه لك ، إذا تحقق حلمي.
ورويك : الأولى بك أن تذهب الى سريرك وتنام ، وأن تستسلم الى أحلامك لتتقي أنواء عاصفة القتال.

كليفوردي : أنا مصمم على مجابهة أعنف الرياح التي يسعك أن تتوهمها اليوم.
وسأسجل انتصاري على خوذتك ، ، لأنني لا أعرف شعار أسرتك.

ورويك : إذا بحق شعار والدي ، أقسم بأن أحمل شارة أسرة نافيل التي تشتمل على رسم دبّ مربوط بسلسلة وهو يحمل عصا كثيرة العقد ، وأن أضعه على خوذتي ، فيكون بارزاً مثل أرزة على رأس جبل ، وهي متشبّهة بجميع أغصانها زغم الرياح الهوجاء بشكل يجعلك تهيب مجرد منظرها.

كليفوردي : وأنا سأنتزع صورة هذا الدب عن خوذتك وأدوسها بقدمي باحتقار رغم أنف صاحب الدب المشار اليه.

كليفوردي الشاب : بناء على ذلك ، هيا الى السلاح يا أبي ، يا حليف النصر ، لنسحق المتمردين وجميع أعوانهم.

ريشار : تباً لك . أرجوك أن تكون أكثر شفقة وأوفر حياً . لا تتكلم بمثل هذا الحقد لأنك ستعشى هذا المساء في العالم الآخر .

كليفورڊ الشاب : ما هذه العنجهيات ؟ أنت تتبجح بأكثر من طاقتك .

ريشار : وإذا لم تأمل بأن تعشى في الجنة فحتماً سيكون عشاؤك في جهنم (يفترقان) .

المشهد الثاني

في مدينة ستيلبان

يسمع انذار ، وضجيج تحرك الفصائل . يدخل ورويك .

ورويك : يا كليفورڊ كمبرلاند ، أنا ورويك أناديك . وإن لم تكن هارباً من اللدب ، الآن والبوق يُنفخ فيه نغم الانذار ، وصيحات الموتى تملأ الفضاء ، أقول لك يا كليفورڊ : تعال قاتلني ، يا أمير الشمال الباسل ، يا كليفورڊ كمبرلاند ، أنا ورويك أحمداك وأنتظرک للقتال .

يدخل يورك .

ما بك أيها اللورد النبيل ؟ أراك تمشي على قدميك .

يورك : الغدّار كليفورڊ قتل لي مطيبي . لكنني بادرته بطعنة قاضية وجعلته فريسة للطيور الجارحة والغربان ، ولا سيما رأسه الذي كان يجب الاحتفاظ به سليماً .

- ورويك : بالنسبة الى أحدنا والى كلينا معاً ، قد دقت الساعة الحاسمة .
- يورك : قف ، يا ورويك ، وابحث عن صيد آخر ، لأنني أريد أنا أن أطارده حتى الموت .
- ورويك : تصرف إذاً بنبل ، يا يورك ، إذ إنك تقاتل لأجل التاج . وبما أنني مصمم على الانتصار هذا النهار ، ليس ما يغيظني أكثر من التخلي عن القتال (يخرج ورويك) .
- كليفوردي : ماذا ترى فيّ ، يا يورك ، لماذا تتوقف ؟
- يورك : أنا معجب بموقفك المتشامخ ، وإن تكن لي عدواً للدوداً .
- كليفوردي : وهل أرفض قبول ثنائك وتقديرك القيم ، إذا انجرفت أنت وراء خيانتك المشينة ؟
- يورك : أرجو أن تحميني اليوم من سيفك الذي يتحتم عليه أن يخدم العدالة والحق .
- كليفوردي : اني أجازف هنا بجسمي وروحي .
- يورك : مغامرتك هائلة رغم ظروفك ، فهيا إذاً ، استعدّ (يتعاركان فيسقط كليفوردي) .
- كليفوردي : عند الامتحان يكرم المرء أو يهان (يموت) .
- يورك : هكذا أدخلتكَ الحرب جنة السلام . فهيا أنت جنة هامة . فلتسترح نفسك في جوار ربك ، تماماً كما أنت شئت (يخرج) .
- يدخل كليفوردي الشاب .

كليفورن الشاب : يا للعار ، يا للفوضى ! كل شيء قد تبدّد ، وبسط الرعب على
 الساحة ضباب التضعف الذي قضى على من أرادوا حمايته . سحقاً
 للحرب وليدة الجحيم الذي أغضب السماء فانتدبت لإحراق قلوب
 أنصاره المتقلية على جمر الحقد والانتقام . لا مجال لأي جندي لكي
 يهرب . فمن كرس نفسه فعلاً للحرب لم يعد يكنّ لذاته أي حبّ .
 ومن أحب ذاته لم يستحق عن جدارة ، بل بسبب الظروف ، أن
 يدعى شجاعاً . (يشاهد أباه ميتاً) يُدمّر هذا العالم الجاحد ولتُحرق
 نيران اليوم الأخير رحاب السماء والأرض معاً . ليدقّ النفر العام
 ولتدوّ أنغامك الموسيقية وتحرس ململات كل البشر . هل حكم
 عليك يا أبي أن تستخدم شبابك أيام السلم وأن تلبس شيخوختك
 الحكيمة حلة البياض لتأتي هكنا في سنّ المهابة والوقار ، وقد آن
 لك أن تستريح على أريكة المجد ، أن تموت في معركة جنونية
 مدمرة ! إن هذا المشهد يمزق قلبي ويضطّرني الى اعتباره لا من لحم
 ودم بل من صخر صلب لا يلين . أنت يا يورك ، لم توفر شيوختنا ،
 فعليك أن لا توفر أولادهم أيضاً . ستكون لي دموع العذاري
 كقطرات الندى التي تبرد اللظى المتأجج ، والجمال الذي غالباً ما
 يخضع قلب الطاغية لن يكون لي إلا زيتاً وقطراناً يزيدان غضبي
 اشتعالاً ولهيأاً . من الآن وصاعداً لن تعرف الرحمة سبيلاً الى
 صلدري الموغر حقداً على البشرية . وإن صادفت طفلاً من آل يورك
 سأقطعه إرباً إرباً ، كما فعلت الساحرة الغاضبة « مادي » التي
 هشمت جسم الشاب أبسبرت وتركته أشلاء مبعثرة ، ومن الشراسة
 سأجني أبحادي (يحمل الجثة على كتفيه) . ويحك أيها الدمار الحديث

العهد إذ لحقت بأسرة كليفورده العريقة. فكما حمل «اينيه» أباه العجوز «نشيز» عشيق افروديت، أحملك أنا على كفتي القويتين. لكن اينيه لم يحمل ثقلاً حياً أخف من حملي الجنائزي هذا. (يخرج)

يدخل ريشار بلاتاجينه وسومرست وهما يتعاركان فيسقط سومرست على الأرض قتلاً.

ريشار : حسناً ، استرح هنا . فبموتك هكذا تحت شعار هذا التزل المشؤوم الذي يمثل قصر سستلبان ، قد أذعت ، يا سومرست ، صيت تلك الساحرة التي تنبأت بموتك . فيا أيها السيف ، إحتفظ بحدك ، ويا أيها القلب أكظم غيظك . إذ إن الكهنة يصلون لأجل أعدائهم ، أما الأمراء فيقتلونهم (يخرج)

يسمع نذير ، ثم ضجة فصائل المقاتلين . يدخل الملك هنري والملكة مرغريت وغيرهما ويتراجع الجميع .

الملكة مرغريت : اهرب . يا مولاي . ما أبطأك ! بربك أسرع في الرحيل .
الملك هنري : هل نستطيع أن نستبق مشيئة السماء ؟ بحياتك ، يا مرغريت الطيبة ، دعينا نقف قليلاً .

الملكة مرغريت : بماذا أنت مجبول ؟ أنت لا تريد القتال ، ولا تنوي الهرب . الآن ما لنا سوى الشجاعة والحكمة والتبصر بعواقب الأمور ، لتجعلنا على ترك الساحة للعلو . تعال نهرب بما أننا لا نزال نستطيع الابتعاد عن هذا المكان ، فليس لنا من خلاص إلا بالهرب . (تسمع موسيقى

تحذير عن بعد) إذا قبض علينا ، فلا مفرّ لنا من مصيرنا الأسود
المحتوم . لكن إذا نجونا ، ونحن لا نزال نتمكن بسهولة من النجاة ،
إلا إذا حال دون ذلك جمودك وجبنك ، سنصل إلى لندن حيث
أنت محبوب وحيث الثغرة التي نفتحها في حظنا العاثر يتاح سدّها
بسرعة .

يدخل كليفورد الشاب .

كليفورد :

لو لم يكن فؤادي مصمماً على الانتقام مجدداً ، لفضّلت أن أشتّم
على أن أنصحك بالهرب . لكن لا بدّ من الهرب ، لأنّ تخاذلاً غير
مشجع يسود أذهان جميع الأنصار . فاهربوا واغنموا أنفسكم .
وسنحيا لنرى ذلك اليوم الذي نردّ لهم فيه كيدهم إلى نحرهم . فإلى
الأمم ، يا مولاي ، هيا إلى الابتعاد عن هذا المكان . (يخرجون) .

المشهد الثالث

في سهل قرب ستلبان .

يسمع إنذار ثم ضجة انسحاب تليه موسيقى . حيثذ يدخل يورك وريشار
بلانتاجينيه وورويك وجنود وطبول تقرع وشارات ترفع .

يورك :

لكن يا سالزبري ، من يستطيع أن يزوّدنا بأخبار عن هذا الأسد
الذي فقد شعر لبدته ، وفي غضبته نسي جراح عمره ، وعثرات
الزمن . ونظير الشجعان في شرخ شبابهم ، يسترد قواه بهذه المناسبة .

فهذا اليوم السعيد لن يكون هنياً ولن نكون قد أصبنا أي ربح ،
إذا فقدنا سالزبري .

ريشار :
لقد أجلسيت أبي على سرج الحصان ثلاث مرات وحميته بجسمي
ثلاث مرات وأخرجته من المعركة ثلاث مرات ، وأنا أستحلفه بأن
لا يشترك فيها مجدداً . لكني كنت أجده دائماً يواجه الخطر ، ونظير
سجادة ثمينة في بيت فقير ، هكذا كانت ارادته في جسمه العاجز
بسبب تقدمه في السن . وها هو ذا الجندي النبيل يعود الى إنجاز
مهمته .

يدخل سالزبري .

سالزبري (ليورك) : بحق سيني ، قاتلت اليوم . بشجاعة ومهارة ، كما فعلنا نحن
جميعاً . لذلك أشكرك يا ريشار . الله يعلم كم بقي لي من العمر في
هذه الدنيا . لقد أتيج لي أن أنجو اليوم ثلاث مرات من موت أكيد .
لكن ما يخصنا ، يا مولاي ، لم نعد نمتلكه . لا يكفي أن يهزم أو
يهرب أعداؤنا هذه المرة ، فإن أخصاماً مثلهم لا يلبثون أن يعوضوا
عن سقوطهم .

ليورك :
أنا أعلم أن أمتنا يتطلب منا أن نظاردهم ، لأنني عرفت أن الملك قد
هرب الى لندن لكي يدعو المجلس فوراً الى الاجتماع . فهيا نذهب
إليه قبل أن يرسل بطاقات الدعوة . ما هو رأي لورد ورويك ؟ هل
يحبذ ذهابنا اليهم ؟

ورويك : نذهب إليهم ؟ لا ، لا ، بل نسبقهم ، إذا استطعنا . إي وربي ، يا مولاي هذا يوم مجيد . لأن معركة ستلبان ، وقد انتصر فيها يورك الباسل ستكون مخلّدة لدى الأجيال القادمة . انفخوا الأبواق واقرعوا الطبول ، وتعالوا نتوجّه كلّنا الى لندن ، ونحن نتمنّى أن نحظى بأيام عديدة مثل هذا اليوم التاريخي البهيج (يخرجون) .

اتّته

وليم شكسبير

هنري السادس

الجزء الثالث

أشخاص المسرحية

هنري السادس	: ملك انكلترا
ادوارد امير ويلز	
لويس الحادي عشر	: ملك فرنسا
دوق سومرست	{ أنصار أسرة لنكاستر
دوق أكسستر	
كونت أوكسفورد	
كونت نوتمبرلند	
كونت وستمورلند	
لورد كليفورد	
ريشار بلانتاجينيه	: دوق يورك.
ادوارد كونت مارش ، فيما بعد ، ادوارد الرابع	{ أولاده
جورج ، فيما بعد دوق كلارانس.	
ريشار ، فيما بعد دوق كلوستر	
ادموند كونت رثلند.	
كونت ورويك	: الملقب بصانع الملوك

دوق نورفولك
مركيز مونتيكو
كونت بيمروك
لورد هاستينكس
لورد ستافورد

أنصار يورك

سير جون مرتيمور
سير هيو مرتيمور
هنري الشاب

عمّا الدوق

: كونت ريتشموند، فيما بعد هنري السابع
: شقيق لئدي كراي.

لورد ريفرز
سير وليم ستانلي.

سير جون منتكومري.
سير جون سومرفيل.

حاكم كونت رثلند.

محافظ مدينة يورك.

ملازم البرج.

لورد.

اثنان من حرس الصيد.
صياد.

ابن قتل أباه.

أب قتل ابنه.

الملكة موغريت

لئدي كراي

بون

: زوجة هنري السادس.

: فيما بعد زوجة ادوارد الرابع وملكة انكلترا

: شقيقة لويس الحادي عشر

جنود، رجال حاشية، رسل، حراس، الخ...

الفصل الأول

المشهد الأول

لندن — في قاعة مجلس النواب

يسمع قرع طبول. جنود حزب يورك يحتلون القاعة. حيثل يدخل دوق يورك وادوارد وريشار وبورفولك ومونتيكو وورويك وغيرهم وعلى قبعاتهم ورود بيضاء.

ورويك : يدهشني أن يكون الملك قد نجا من أيدينا.

يورك : بينما كنا نطارد فرسان الشمال ، هرب سراً ، وقد تخلى عن رجاله . وعلى هذا الأساس يكون لورد نرتمبرلند الذي لم تتعود أذنه الحربية على ضجة التراجع ، قد شحذ همة الجيش المنكسر للفرار . فهو ولورد كليفورد نفسه ، ولورد ستافورد ، قد هاجموا جميعاً جيشنا المحارب ، وتوغلوا فيما بيننا فسقطوا تحت طعنات سيوف جنودنا البواسل .

ادوارد : أما والد لورد ستافورد ، دوق بوكنكهام ، فلا بد من أن يكون إما

قُتل وإِماً أُصيب بجرح بليغ ، إذ اخترقت خوذته بطعنة محكمة ،
وبرهاناً على ذلك يا ولدي ، انظر دمه (يشير الى سيفه المملوخ
دماً) .

مونتيكو (يُري سيفه ليورك) : انظر ، يا أخي ، هذا دم كونت ويلتشاير الذي
جابهته في أول صدام .

ريشار (يرمي الى الأرض برأس سومرست) : تكلم أنت عني ، وأخبرهم ماذا
فعلت .

يورك : من بين جميع أولادي ، ريشار هو المميّز حتماً . كيف متّ يا
سيادة لورد سومرست ؟

نورفولك : جميع ذرية حتّا دي غان سيلاقون نفس هذا المصير .

ريشار : املي أن اهز بيدي هكذا رأس الملك هنري .

ورويك : أنا أيضاً ، يا امير يورك المظفر . طالما لا أراك تربع على هذا العرش
الذي اغتصبته أسرة لنكاستر ، أنا أقسم بحق السماء أن لا يغمض
لهذين العينين جفن . هذا هو قصر الملك الجبان فاستولوا عليه يا
يورك ، لأنه ملكك ولا يخص الملك هنري أبداً .

يورك : تصرف اذاً كما يحلو لك يا عزيزي ورويك ، وأنا مستعد لأن
أساندك ، فانتا ما دخلنا الى هنا إلا بالقوة .

نورفولك : سنساعدك جميعنا ، لأن من يهرب يصبح بحكم الميت .

يورك : شكراً يا نورفولك . ابقوا الى جانبي أيها اللوردات ، وأتم أيها الجنود
ابقوا هنا واقضوا هذه الليلة بقربي .

ورويك : وعندما يأتي الملك ، لا تقابلوه بأي عنف إلا اذا حاول طردكم بالقوة (ينسحب الجنود).

يورك : الملكة تقيم هنا مجلسها اليوم. لكنها لا تشكّ أبداً بأننا سنشارك في محاورتها سواءً بالكلام أو بالطعان لأننا مصممون على استعادة حقوقنا.

ريشار : سنمكث في هذا القصر بقوة السلاح الموجود في حوزتنا.

ورويك : وسيدعى هذا المجلس مجلس الدم ، إلا اذا توصل بلانتاجينه دوق يورك الى اعلان ذاته ملكاً ، وقبّل بالتنازل عن العرش صاحبنا هنري الجبان الذي جعل منا أضحوكة لأعدائنا.

يورك : لا تتركوني اذاً ، أيها اللوردات ، وكونوا حازمين ، لأنني مصمم على الوصول الى حقوقي.

ورويك : لا الملك ، ولا نصيره المخلص والأكثر اعتزازاً بين جماعة لنكاستر ، لا يسعه أن يحرك ساكناً اذا ما لوح ورويك بقبضة سيفه البتار. ساذرع بلانتاجينه هنا ، فن يجسر على اقتلاعه. كن ثابت الجنان ، يا ريشار ، وطالب بعرش انكلترا (ورويك يقود يورك الى العرش ، وهذا الاخير يتربع عليه).

تسمع موسيقى. يدخل الملك هنري وكليفورد ونرتمبرلند ووستمورلند واكساتر وغيرهم وعلى قبعاتهم ورود حمراء.

الملك هنري : أيها اللوردات ، انظروا كيف يجلس المتمرد الوقح على العرش الذي يبدو ظاهراً ان قوات ورويك تسانده ، وهو النائب الاخرق الذي يدّعي الوصول الى التاج لملك مثلي. ان كونت نرتمبرلند قد قتل

اباك ، ووالدك أيضاً ، يا لورد كليفورده ، وكلاكما اقسمتما اليمن بأن
تنتقما منه ومن أولاده ومن أصحابه والمقربين اليه .

نرتملند : اذا لم اعاقبه أنا ، اقتصّي منه أنت ايتها السماء .

كليفورده : أنا كليفورده ، سأرتدي ثياب الحداد الفولاذية حتى احقق الانتقام .

وستمورلند (مشيراً الى يورك) : ما هذا؟ هل علينا أن نتحمل ذلك؟ اطرحوه
خارجاً ان قلبي تغلي فيه مراحل الغضب ، ولا يسعني احتمال هذا
الحال أكثر مما فعلت .

الملك هنري : صبراً ، يا عزيزي كونت وستمورلند .

كليفورده : الصبر سلاح الجبناء أمثاله . ما جرؤ على الجلوس هنا ، لو كان
والدك لا يزال حياً . يا عزيزي اللورد ، دعنا نهاجم اسرة يورك هنا
في هذا المجلس .

نرتملند : بالصواب نطقت يا ابن العم ، هيا نهاجمهم .

الملك هنري : الا تدرون ان المدينة رهن اشارتهم ، وأن لديهم عدداً كبيراً من
الجنود ينتظرون صدور الأوامر اليهم .

اكساتر : لكن متى قتل الدوق سيادرون الى الهرب .

الملك هنري : بعيداً عن مودتي أنا هنري ، وبدون أن أفكر بأن أدفن عظام نواب
المجلس ، يا ابن عمي اكساتر ، أرى أن الأنظار والكلمات القاسية
هي السلاح الوحيد الذي يمكنني اللجوء اليه . (يتقدم نحو الدوق)
انزل عن عرشي يا دوق يورك المتبجح اللثيم ، وخزّ على قدمي
لاتماس صفحي وإنعامي ، أنا ملكك وسيدك .

- يورك : بل أنا مليكك وسيلك.
- اكساتر : هيا أنجل منه وأنزل ، لأنه هو الذي رفعك الى مقام دوق يورك.
- يورك : هذه اللوقية هي من حتي بالارث نظير كونتية مارش.
- اكساتر : والدك خان التاج.
- ورويك : أنت خنت العرش ، يا اكساتر ، بمساندتك هذا المغتصب هنري.
- كليفورد : أولا يتحتم عليه أن يناصر مليكه الشرعي.
- ورويك : بالفعل ، يا كليفورد ، ريشار هو دوق يورك.
- الملك هنري (ليورك) : سأظل واقفاً طالما أنت مترع على عرشي.
- يورك : هذا واجب لا مفر منه ، عليك أن تزعن للواقع وتتنازل عن العرش.
- ورويك (لهنري) : كن أنت دوق لنكاستر ، وهو يصبح ملكاً.
- وستمورلند : هنري هو في الوقت نفسه دوق لنكاستر ، وملك ، بموافقة لورد وستمورلند.
- ورويك : أنا موافق على ذلك يا ورويك. هل نسيت أننا طردناك من السهل ، وأنا قتلنا اجدادك ، وبعد أن رفعنا اعلامنا مشينا عبر المدينة للدخول الى هذا القصر؟
- نورمبرلند : أنجل ، يا ورويك ، يؤلني جداً أن أتذكر ذلك. أقسم برحمة والدي أنك أنت وأسرتك ، ستدفعون الثمن باهظاً.
- وستمورلند : اكراماً لك ، يا بلانتاجينه ، ولأولادك هؤلاء وذويك

وأصحابك ، سبأتمسك بوجودكم أكثر مما أفعله لأجل قطرات الدم التي تسري في عروقي .

كليفور : لا تُلج أكثر من هذا ، يا ورويك ، خشية أن أوجه الك بدلاً من الكلام رسولاً يثار لموت أبي قبل أن اغادر هذا المكان .

ورويك : مسكين كليفور . كم أحقر تهديداته العقيمة الفاشلة .

يورك : هل تقبل بأن نبين لك انسابنا وحقنا بالتاج ؟ وإلا طالبت سيوفنا به حالاً في ساحة القتال .

الملك هنري : أيها الخونة ، أية انساب واي حق لكم بالتاج ؟ كان ابوك مثلك دوق يورك ، وكان جدك روجر مرتيمور كونت مارش . أما أنا فأين هنري الخامس الذي اخضع لحكمه ولي العهد والفرنسيين معاً ، واستولى على المدن والمقاطعات .

ورويك : لا تتكلم عن فرنسا بما أنك خسرتها برمتها .

الملك هنري : اللورد حامي المملكة هو الذي خسرها ، لا أنا . وعندما توجت ، لم يكن عمري سوى تسعة أشهر .

ريشار : الآن أراك تقدمت في السن ، ومع ذلك يحيل اليّ أنك لا تزال خاسراً على الدوام . يا والدي ، انتزع التاج عن رأس المقتصب .

ادوارد (ليورك) : هيا ، يا أبي العزيز ، ضعه على رأسك .

مونتيكو (ليورك) : إذا كنت ، يا نسيبي ، تحب أن تشرف السلاح ، تعال نحتكم اليه في القتال بدون أن تثرر هكذا .

ريشار : أقرعني يا طبول ، وانفخي يا أبواق ، فان الملك مزعج أن يهرب .

يورك : اصمت ، يا ولدي .

الملك هنري : اسكت ، ودعني انا الملك هنري اتكلم .

ورويك : بلانتاجينه سيتكلم أولاً . فاستمعوا اليه أيها اللوردات ، اسكتوا وانتبهوا ، وإلا لن يبقى من يقاطعه على قيد الحياة .

الملك هنري : اتظنون أنني اتنازل عن عرشي الذي تربع عليه مثلي أبي وجدي ؟ كلا . ثم كلا . فقبل أن يتم ذلك ستحصل الحرب جميع رعايا مملكتي وتطوي أعلامهم التي أرتفعت طويلاً في فرنسا والتي يؤلني أن لا تخفق الآن إلا في سماء انكلترا فقط والتي ستكون الكفن الذي يلقي . لماذا ترددون أيها اللوردات . فان نسبي وحي بالعرش أوضح وأفضل بكثير مما يدعيه هو .

ورويك : اثبت يا هنري أنك مصمم على أن تكون ملكاً .

الملك هنري : هنري الرابع إكسب التاج .

يورك : بواسطة الفردي على ملكه .

الملك هنري (على حدة) : لا أدري ماذا أقول . هل نسبي ضعيف ؟ قل لي : هل يسمع الملك أن يتبنى وريثاً ؟

يورك : ماذا تعني ؟

الملك هنري : اذا كان ذلك باستطاعته . فأنا اذاً ملك شرعي ، لأن ريشار ، بحضور عدد كبير من اللوردات ، تنازل عن التاج لهنري الرابع ، وكان والذي وريثه ، كما أنا وريث أبي .

يورك : لقد ثار ريشار على ملكه وأجبره بالقوة على الاستقالة .

ورويك : ولنفترض أيها اللوردات أن ريشار تصرف بملء ارادته ، فهل تعتقدون أن باستطاعته أن ينكر حتي في العرش ؟

اكساتر : كلا ، لأنه حال تنازله عن الملك ، كان على الأقرب نسباً إليه أن يخلفه ويملك بعده .

الملك هنري : هل أنت عليّ إذاً ، ولست معي ، يا دوق اكساتر ؟
اكساتر (يدل على يورك) : الحق بجانبه هو . أرجو منك أن تسامحني .

يورك : لماذا تغمغم ، يا مولاي ، ولا تتكلم بصراحة ؟
اكساتر (يدل على يورك) : ضميري يحدثني بأنه الملك الشرعي .
الملك هنري (على حدة) : الجميع يتخلون عني وينضمّون إليه .

نرتمبرلند : يا بلانتاجينيه رغم كل غرورك وتبجحك . لا تظن أن هنري يتنازل بمثل هذه السهولة .

ورويك : سيتنازل رغم أنف الجميع .

نرتمبرلند : أنت تخدع نفسك . فليس مسلحو الجنوب وإسكس ونورفولك وسوفولك ، ولا رجال مقاطعة كنت الذين يقتلهم الشموخ وتنفخ صلورهم العجرفة هم الذين سيفيلونك أو يستطيعون أن يجلسوا الدوق على العرش بالرغم منك .

كليفورد : أيها الملك هنري ، إن كان لقبك صالحاً أو سيئاً ، فأنا لورد كليفورد أقسم بأن أحارب دفاعاً عنك . فلتنشق الأرض وتبتلعني حياً إن جثوت أمام قاتل أبي .

- الملك هنري : يا كليفوردا ، أود أن تتعش كلماتك قلبي الحزين .
- يورك : يا هنري سليل لنكاستر ، اخلع التاج عن رأسك . بماذا تتمتعون ، وعلى من تتآمرون أيها اللوردات ؟
- ورويك (لهنري) : أعطِ دوق يورك حقه الأميري ، وإلا ملأت هذه القاعة بالرجال المدججين بالسلاح ، وفوق العرش الذي يتربع عليه في هذه اللحظة سأجعل لقبه بدم المغتصب (يضرب الأرض بقدمه فيبرز الجنود) .
- الملك هنري : يا لورد ورويك ، اسمح لي بكلمة واحدة فقط . دعني أحكم كملك طوال حياتي .
- يورك : آمن التاج لي ولذريتي ، وستحكم بسلام ما دمت حياً .
- الملك هنري : انا موافق على جلوس ريشار بلانتاجينه على العرش بعد مماتي .
- كليفوردا : ما هذه الاهانة بحق ابنك الامير ؟
- ورويك : بل يا لسعادة انك لترا وسعادتك !
- وستمورلند : ما اجبتك ، يا هنري اليائس الخسيس !
- كليفوردا : هكذا أنت تؤذي نفسك وتؤذينا في الوقت ذاته !
- وستمورلند : لا يسعني البقاء هنا لسامع هذه الشروط .
- نرتمبرلند : ولا أنا .
- كليفوردا : تعال ، يا ابن العم ، ننقل الخبر الى الملكة .
- وستمورلند : وداعاً ، ايها الملك الخائف المنحط الذي لا يحوي دمه الفاسد أية ذرة شرف .

نرتمبرلند : ستكون اذاً ضحية أسرة يورك ، وتموت راسفاً في سلاسل الذل بسبب هذا التصرف الجبان الارعن .

كليفور : لا بدّ من السقوط صريع حرب هائلة ، والعيش في سلام هزيل محتقر . (يخرج نرتمبرلند وكليفورد ووستمورلند) .

ورويك : أدر وجهك نحونا ، يا هنري ، ولا تأبه لهم .

اكساتر : هم لا يبحثون إلا عن الانتقام ، لذلك تراهم متمسكين بما هم حاصلون عليه .

الملك هنري : آه ، يا اكساتر !

ورويك : لماذا هذا التآؤه ، يا مولاي ؟

الملك هنري : انا لا أتحسر على نفسي ، يا لورد ورويك ، انما على حظّ ابني الذي سأحرمه من العرش بسبب مصيري المشؤوم . ليحدث ما هو مقدّر لي . (لدوق يورك) أنا أهبك العرش على أن تنقله الى أولادك من بعدك بشرط أن تقسم لي هنا بأن تنهي هذه الحرب الأهلية ، وأن تحفظ شرفي ما دمت أنا حياً بصفة كوني ملكاً سيّداً ، وأن لا تحاول ، عن طريق الخيانة أو بقوة السلاح ، أن تقلبني لتحكم أنت مكاني .

يورك (وهو يتزل عن العرش) : أقسم راضياً ، واعدك بأن أبرّ يميني .

ورويك : ليحيّ الملك هنري . عانقه ، يا بلانتاجينييه .

الملك هنري (يعانق يورك) : لتحيّ طويلاً أنت وأولادك وأولاد أولادك .

يورك : الآن تصالحت أسرتا يورك ولنكاستر .

اكساتر: ملعون من يحاول أن يزرع العداوة بينها (ينفخ البوق ويتقدم اللوردات)

يورك: وداعاً، ايها اللورد النليل. أنا ذاهب الى قصري.

ورويك: وأنا ذاهب لاحتلال لندن مع جنودي.

نورفولك: وأنا ذاهب الى نورفولك مع رجالي.

مونتكو: وأنا عائد الى البحر من حيث أتيت.

(يخرج يورك وأولاده ورويك ونورفولك ومونتكو والجنود والحاشية).

الملك هنري: وأنا، والألم يحزّ في قلبي، أعود الى بلاطي.

تدخل الملكة مرغريت وأمير ويلز

اكساتر: ها هي الملكة آتية، وعلى وجهها امارات الغضب الشديد، فالأولى بي أن انسحب.

الملك هنري: وأنا أيضاً، يا اكساتر.

الملكة مرغريت: لا، لا تباعد عني، فأنا لاحقة بك.

الملك هنري: هلّئي روعك، يا ملكتي العزيزة، فأنا باقي هنا.

الملكة مرغريت: ثباً لهم من رجال أشقياء. كم أتمنى لو متُّ وأنا فتاة، على أن أكون قد عرفتك ومنحتك ابناً، عندما أرى فيك أباً هكذا حقيراً.

هل استحق هذا الابن أن ينحسر هكذا ما يحق له بالميراث؟ لو كنت أحببته بمقدار نصف ما يتحتم عليك وما أكنّه انا له من حنان، لو كنت تعذبت بسببه كما تعذبت أنا، لو كنت غذيته نظيري

بدمك ، لبذلت هنا أظهر دم سري في عروقك ، قبل أن تجعل
ورثك هذا الدوق المتوحش ، وتحرم ابنك الوحيد من حقه .

امير ويلز : لا يسوغ لك ، يا أبي أن تحرمي . فان كنت ملكاً ، لماذا لا أخلفك
أنا ؟

الملك هنري : العفو يا مرغريت ، العفو يا ولدي العزيز ، ان كنت ورويك
والدوق هما اللذان اجبراني على التنازل .

الملكة مرغريت : هما اجبراك . هل أنت ملك لكي تدعها يتحكمان بك ؟ أنا أذوب
خجلاً لسماحك تنطق هكذا . تباً لك من جبان . لقد ضيعتنا
جميعنا ، أنا وأنت وابنتك . اذا منحت اسرة يورك كل هذا
الدعم ، فلن تحكم أبداً بسبب تساهلك ، وبسماحك بانتقال التاج اليه ،
ومن بعده الى ذريته ، تكون قد حفرت قبرك بيدك لتردى
فيه قبل الأوان . فأنا ورويك أصبح مستشاراً ولورد كاليه ،
وفولكنبريدج الغريب الأطوار يتحكم بالمضيق ، والدوق نصّب
نفسه حامي المملكة ، وتظن انك الآن في أمان ؟ أجل ، في امان
نظير الحمل المرتجف الذي تحيط به الذئاب . لو كنت هنا أنا المرأة
الضعيفة لكان الجنود ارقصوني على رماحهم قبل أن أقبل بحلّ
كهذا . أما أنت ففضلت البقاء حياً على الدفاع عن شرفك . وعلى
هذا الأساس ، يا هنري ، أنا أرفض الجلوس الى مائدتك والنوم في
فراشك حتى أرى المجلس يلغي ميثاق حرمان ولدي من العرش . ان
لوردات الشمال الذين نكسوا اعلامك سينضوون تحت اعلامي
حالمًا يرونها مرفوعة خفاقة . وسيتم هذا ويلحقك منه شر عار ودمار

من أسرة يورك. وبناء على ذلك اغادرك. هيا يا بنيّ ، ان جيشنا جاهز ، هيا بنا نسرع وننضم اليه .

الملك هنري : قفي ، يا مرغريت اللطيفة ، واصنفي الى كلامي .

الملكة مرغريت : لقد تكلمت كثيراً . فلإليك عني .

الملك هنري : يا ولدي الحبيب ادوارد ، ابق أنت هنا .

الملكة مرغريت : لكي يقتله اعداؤه .

أمير ويلز : عندما أعود متتصراً من ساحة القتال ، سأقبل بشخصك الكريم ، والى ذلك الحين سأتابع والدتي .

الملكة مرغريت : هيا يا ولدي ، الى الأمام . فلا يجمل بنا أن نتأخر هكذا (تخرج الملكة مرغريت ومعها أمير ويلز) .

الملك هنري : مسكينة أنت أيتها الملكة ! كم دفعها حبها لابنها ، ولي أنا أيضاً الى التلطف بكلمات غاضبة . أتمنى أن يثار لها أحد من هذا الدوق المتعجرف الذي يحوم باجنحة الجشع حول عرشي ، نظير نسر جائع لينقضّ بشراسة على لحمي ولحم ولدي . ان عدم مبالاة هؤلاء اللوردات الثلاثة يعذب قلبي . لذا سأكتب اليهم واستعطفهم بصدقة ومودة . تعال يا ابن عمي لتكون الرسول الوسيط بيني وبينهم .

اكساتر : وأنا أمل كبير بأن يصالحوك جميعهم (يخرجان) .

المشهد الثاني

في قصر الصندل قرب ويكفيلد في كونتية يورك

يدخل ادوارد وريشار ومونتيكو

ريشار : يا أخي ، مهما كنت أنا أصغر منك ، أسألك أن تدعني اتكلم .
ادوارد : لا ، انا أقدر منك في الخطابة .
مونتيكو : أنا حجتي أقوى ، ولا سبيل الى دحضها .

يدخل يورك

يورك : حسناً . ما معنى هذا ؟ ارى أبنائي وأخي يتشاجرون . فما هو سبب
المشادة ؟ وكيف بدأت ؟
ادوارد : هذا ليس شجار . هذه مناقشة طريفة .
يورك : حول ماذا ؟

ريشار : حول موضوع يهم سعادتك ويهمنا ، ألا وهو تاج انكلترا الذي
يخصك يا أبي .

يورك : يخصني أنا ، يا ولدي ؟ لا ، لا يمكن ذلك قبل موت الملك هنري .
ريشار : أنت وريثه ، فما عليك الا أن تبتهج بذلك . اذا تركت لأسرة
لنكاستر مجالاً لتنفس الصعداء ، فانها حتماً ستسبقك اليه ، يا
أبي .

يورك : لقد أقسمت أن أتركه يحكم بلاده بارتياح ، وتريدني أن أحنث
بألف عيّن لكي أملك سنة واحدة فقط ؟

- ريشار : كلا ، لا سمح الله أن تحت بقسمك .
- يورك : أكون قد حشت يميني إن أنا لجأت الى السلاح .
- ريشار : سأبرهن لك العكس ، اذا شئت أن تصغي اليّ .
- يورك : لن تستطيع اثبات ذلك ، يا ابني . لأن هذا مستحيل .
- ريشار : الحلفان لا قيمة له إلا اذا جرى القسم أمام قاضٍ حقيقي وشرعي له سلطة على من يحلف اليمين . والملك هنري لم يقسم أي حلفان عندما شغل مكانك . وبما أنه هو الذي فرض عليك التعهد واليمين أيها اللورد ، فان قسمك باطل لا قيمة له . ثم ، أسألك أن تفكر ، يا أبي كم هو جميل أن يحمل الانسان تاجاً على رأسه . فني مجلسه هو نظير « اليزه » ينعم بجميع الملذات والمسرّات التي يحلم بها الشعراء . فلماذا تتأخر هكذا ؟ أنا لا أرتاح الى كون الوردة البيضاء التي احملها لن تنمو إلا اذا شربت من دم قلب الملك هنري الفاتر .
- يورك : كفى يا ريشار . أريد أن أصبح ملكاً أو أموت . ستذهب حالاً الى لندن ، يا أخي ، لتحتّ ورويك على التعجيل في هذه القضية . أنت ، يا ريشار ، اذهب لمقابلة دوق نورفولك ، وأعلمه سرّاً بنوايانا . وأنت يا ادوارد ستذهب لمقابلة لورد كوبهام الذي سيهب مع رجال كنت يداً واحدة ، وأنا لي ملء الثقة بهم لأنهم جنود اذكياء وشجعان وكرماء وكلهم نخوة . وبينما تكون أنت منشغلاً لن يبقى لي سوى البحث عن فرصة لمناهضته ، بدون أن يدري الملك أو أي فرد من أسرة لنكاستر بمساعي الخفي .
- يدخل رسول

تعال يا هذا. ما وراءك من الأخبار؟ لماذا أنت آت بمثل هذه العجلة؟

الرسول : الملكة مع سائر الكونتات ولوردات الشمال يتأهبون لمحاصرتك هنا في قصرك. انها تتقدم مع عشرين ألف رجل ، وهكذا عليك أن تحصن وضعك يا مولاي.

يورك : أجل ، بسيفي هذا. أوتظن أنني أهابهم؟ يا ادوارد ويا ريشار ظلاً معي فان أخي مونتيكو سيسرع الى لندن ، والنيل ورويك وكوبهام والآخرين الذين تركناهم كحراس لحماية الملك ، سيتضامنون كقوة سياسية ، ولن يثقوا بالملك هنري الساذج ولا بعهوده.

مونتيكو : انا ذاهب ، يا أخي ، لأقنعهم. فلا يقلق لك بال. وعلى هذا الأساس أستأذنك بالانصراف.
يدخل سير جون وسير هيو مرتيمور

يورك : يا عمي سير جون وعمي سير هيو مرتيمور ، لقد وصلتما الى صندل في الوقت الملائم. فجييش الملكة يستعد لمحاصرتنا.

سير جون : لا حاجة الى ذلك. سنبادر الى لقاءهم في السهل.

يورك : ماذا تقول؟ أنسيت أن معها خمسة آلاف رجل؟

ريشار : أجل يا أبي ، وان كانوا خمسة آلاف؟ بما أن قائدتهم امرأة ، فهاذا نخشى؟ (يسمع عن بعد نشيد عسكري).

ادوارد : انا اسمع قرع طبولهم. فلنعد رجالنا ونخرج الى مقاتلتهم في الحال.

يورك : خمسة مقابل عشرين . ومهما كانت هذه النسبة في الفرق كبيرة ، انا لا أشك ، يا عمي ، بأن النصر سيكون حليفنا . ولقد فزت وأنا في فرنسا بكسب أكثر من موقعة كان فيها الأعداء عشرة لقاء واحد . فلماذا لا يكون نصيبي اليوم نفس النجاح . (يسمع صوت إنذار يخرج الجميع) .

المشهد الثالث

في سهل قرب قصر الصنل .

يسمع صوت إنذار وحركة جيوش . يدخل رتلند والحاكم .
 رتلند : هيا اهرب لتنجو من أيديهم . أيها الحاكم ها هوذا سفاك الدماء كليفورده .
 يدخل كليفورده وبعض الجنود .
 كليفورده : اذهب أيها المرشد . فوظيفتك الدينية أن تنقذ حياتي . أما ابن هذا الدوق اللعين ، فإن والده قتل أبي . لذلك لا بد له من أن يموت .
 الحاكم : وأنا يا مولاي سأرافقه .
 كليفورده (يشير الى الحاكم) .: خنوه ، أيها الجنود .
 الحاكم : يا كليفورده ، لا تقتل هذا الولد البريء خوفاً من غضب الله والناس أن ينال عليك (يخرج يحرق الجنود) .
 كليفورده (ينظر الى رتلند) : هل مات ؟ أم أن الخوف أغمض عينيه ؟ سأفحصها .

رتلند : هكذا يتطلع الأسد الجائع الى المخلوق الشقي الذي يختلج تحت برائته الجارحة . وهكذا يأتي لإهانة صحبته وتمزيقها إرباً إرباً . اقتلني بسيفك يا كليفوردي الكريم ، لا بنظرتك الوحشية المشبعة تهديداً . يا كليفوردي الحنون استمع إليّ قبل أن أموت . أنا أمام هياجك ضعيف للغاية . صبّ نعمتك على الرجال الأشداء ودعني أعشّ .

كليفوردي : كلامك يذهب سدىً ، يا ولدي المسكين ، لأن دم أبي سدّ الثغرة التي كان على كلامك أن يدخل منها الى قلبي .

رتلند : إذا دع دم أبي يغطيها . هو رجل قادر ، فما عليك يا كليفوردي إلا أن تقارن نفسك به .

كليفوردي : لو كان إخوتك هنا ، لما كَفّت حياتهم وحياتك لشفاء غليل انتقامي . كلا ، عندما أنبش قبور أجدادك وأعلق بالسلاسل جثثهم المهترئة ، لن ينطق لي هيب غضبي ولن ينوق قلبي طعم الانفراج . لأن رؤية أحد أفراد أسرة يورك هي بحدّ ذاتها شوكة تعذب نفسي . وإلى أن أقرب بطون هذه السلالة الملعونة ولا أدع منها أحداً على قيد الحياة ، أحياء في جحيم ولا يهدأ لي بال . إذا ... (يرفع يده) .

رتلند : دعني أصلي قبل أن تزهر روحي . أتوسل اليك يا كليفوردي الحنون أن ترأف بحالي .

كليفوردي : ليس أمامك سوى الشفقة التي يكتنّها لك حدّ سيني .

رتلند : أنا لم أسبّب لك أي ضرر ، فلماذا تروم قتلي ؟

كليفوردي : أبوك أنزل بي أشنع مذلة .

رتلند : هذا كان قبل أن أرى النور. أنت لك ابن، فباسم هذا الابن أسألك أن تشفق عليّ خوفاً من أن تقتصر منك عدالة الله، فيموت ولدك أفضع الميتات. دَعني أمكث في السجن ما بقي لي من العمر. وإذا سببت لك أي إزعاج يمكنك حينئذ أن تقضي عليّ لأنك لا تملك الآن أية حجة للقيام بذلك.

كليفوردي : لا حجة لدي؟ يعني أن يكون والدك قاتل أبي، لكي يتحتم عليك أن تموت. (يطعن رتلند بخنجر).

رتلند : لتكن هذه الجناية قمة أبحادك (يموت).
كليفوردي : أنا قادم اليك، يا بلاتاجينه. سيسبب دم ابنتك العالق في حدّ سني الصدا لنصلته، ومتى جمد الدم عليها امسحها كليهما معاً (يخرج).

المشهد الرابع في نفس المكان.

يرسم صوت إنذار. يدخل يورك.
يورك : جيش الملكة يسيطر على ساحة المعركة، وقد قتل اثنان من أعامي عندما جاءا لنجدتي، وجميع أنصاري أداروا ظهورهم لأعدائي. وهربوا مثل السفن أمام الرياح العاتية أو مثل الخرفان التي تطاردنا الذئاب الجائعة. أين أنتم يا أولادي؟ الله يعلم ماذا حل بهم. إن ما أعرفه هو أنهم تبصروا، إن كانوا أحياء أو أموات، كبرجال لم

يخلقوا إلا للمجد. ثلاث مرات شقّ ريشار طريقه حتى وصل إليّ، وثلاث مرات صاح: تشجع يا أبي، واصمّد حتى النهاية. ثم ثلاث مرات وصل ادوارد الى جانبي وسيفه بلون الأرجوان، مصبوغ حتى قبضته بدم الذين جابهوه. وعندما انسحب أشجع المقاتلين صرخ ريشار: هاجموا ولا تتخلوا عن شبر من الأرض. وظل يصيح: ليس أمامنا إلا التاج، أو القبر المجيد، والصولجان أو الحفرة الضيقة في أرض شريفة. وبناء على ذلك هاجمناهم مرة أخرى، لكننا يا للأسف فشلنا مرة أخرى. وهكذا رأيت البجعة تجاهد عبثاً في السباحة بعكس اتجاه مجرى الماء، وتبذل أقصى جهدها لمكافحة الأمواج العنيدة (يسمع صوت إنذار مقتضب). انصتوا. إن المضطهد المشؤوم يلاحقنا وأنا منهوك القوى لا يسعني أن أهرب من غضبه، حتى ولو كنت أمتلك كامل قواي لما تسنى لي أن أتجنبه. لأن حبات الرمل التي تحصى أوقات حياتي معدودة. هنا عليّ أن أبقى، وهنا يتحتم على مصري أن يوصلني الى حتمي. تدخل الملكة مرغريت وكليفورد ونرتمبرلند وبعض الجنود. تعالَ أيها السفاك كليفورد، ويا أيها المتوحش نرتمبرلند. أنا أتحدّى غضبك الهائج وجنونك الرهيب، فأنت تستهدفني، وأنا لا أخشى طعناتك.

نرتمبرلند:

استسلم الى مشيئتنا، يا بلانتاجينييه المتجبر.

كليفورد:

أجل، الى مشيئتك التي لا ترحم لأنكم قتلتم أبي عندما سدّدتهم له الحساب. حينئذ سقط فاتيون ابن الشمس عن مركبته، وجعل الظلام يحتم حتى في رابعة النهار.

يورك : إن بقاياي نظير رماد طائر الفينيق الذي يسعه أن ينبثق منه لينتثر لي منكم جميعاً . وعلى هذا الأمل أرفع أنظاري الى السماء ، وأنا أهزأ بكل ما يمكنكم أن تتزلهو بي من بلايا . فلماذا لا تتقدمون نحو ي ؟ كيف ترضون بأن تكونوا جاعة ترجف من الخوف ؟

كليفوردي : هكذا يحارب الجبناء الرعايد عندما لا يتمكنون من الهرب ، وهكذا تعض الحائم مخالب الصقر الجارحة ، وهكذا ينال اللصوص المحكوم عليهم ، وقد يشسوا من الحياة ، بالإهانات على شهود قبايحهم .

يورك : أرجو منك يا كليفوردي أن تتأمل لحظة بما تذكرك به أيام حياتي الماضية . ثم أن تنظر الى عيني إن أمكنتك ، وأن تعض لسانك الذي ينطق بجمانة رجل كانت أنظاره ترعدك وتحملك كالمهزوم على الفرار .

كليفوردي : لا أريد أن أهاجمك بكلامي ، بل أن أقارئك بمنجبري ، وأرد لك أربع طعنات لقاء كل طعنة (يتضي خنجره) .

الملكة مرغريت : قف ، يا كليفوردي الشجاع ، لألف سبب أريد أن أطيل عمر هذا الخائن الزميم . فالهياج قد بلاه بالصمم . اسمع كلمة واحدة مني ، يا نرتمبرلند .

نرتمبرلند : قف يا كليفوردي . لا تبدأ يجرح اصبعه لكي تخزق قلبه . إن الكلب الذي يكشّر عن أنيابه ، ليس من الحكمة أن تمتد اليد الى شديقه ، بينما يتيسر طرده بركلة رجل . لا بدّ للحرب من أن تنتزع حقوقها من المقاتلين ولا تقتضي البسالة أن يقاتل المرء وحده عشرة رجال .

ويسود صفحة شجاعته ، وقد قيل بحق إن الكثرة تغلب المرحلة
(يجري اشتباك مع يورك الذي أخذ يخطب خطب عشواء).

كليفورد : أجل ، أجل ، هكذا يتخطب الديك ، الفصيح على تلته ، في فتح
العصافير.

نرتمبرلند : وهكذا يتمايل الأرنب تيهاً في شبكة الصياد . (يقع يورك في الأسر).
يورك : وهكذا أيضاً يظفر اللصوص بالغنيمة الباردة ، كما يسقط الرجل
الشريف تحت طعنات قطاع الطريق.

نرتمبرلند (للملكة) : والآن ، ماذا تريدان أن تفعلين به ، يا صاحبة الجلالة .
الملكة مرغريت : أيها المحاربان الشجاعان كليفورد ونرتمبرلند ، أوقفاه على هذه
الأكمة ، طالما مدّ ذراعيه ليعانق الجبال بدون أن يضمّ سوى
الأشباح . ماذا تقصد أنت يا من تريد أن تصبح ملك انكلترا ،
أنت يا من تتشامخ متخادلاً في مجلسنا ، وأنت تتبجح بعراقه
النسب . أين إذاً ابنك الذي يعتبر ذاته بقوة فرقة محاررين لبيادر الى
نجدتك . أين ادوارد المستهتر المستسلم الى مجونه ، أين ابنك الصغير
الذي يزجر بصوته الأجش ويهيج دفائن نفس أبيه ؟ أين أيضاً
عزيزك رتلند ؟ إليك يا يورك المنديل الذي لوثه بالدم حدّ سيف
كليفورد الشجاع ، وقد فجّره من صدر الطفل . وإذا كانت عيناك
قادرين على أن تبكيا موته سأعطيك هذا لتمسح به وجنتيك . لكني
أسف يا يورك المستكين إذا لم أبغضك حتى الموت سأرثي لحالك
وليؤسك . أرجوك أن تشقى لفرجني يا يورك . يمكنك أن تميد
وتهيج وترغي وتربد حتى يتسنى لي أن أغني وأرقص . ماذا أرى ؟

هل جئت رقة قلبك في صدرك حتى لا تستطيع أن تذرف دموعاً على رتلند؟ لماذا كل هذا التجبر، يا رجل؟ لا بدّ من أن تحتدم غيظاً وغضباً. ولكي أضرم بين ضلوعك نار الحقد، ها أنا أسخر منك. إني أنظر إليه لأتسلى. فهل تريد أجراً على ذلك؟ لا سبيل ليورك أن يتحدث بدون أن يكلّل التاج رأسه. هيا إليّ بهذا التاج لأضعه على رأس يورك. وأنت يا مولاي اخضع له. امسكوا بأيديه بينما أنا أتوجّه (تضع على رأسه تاجاً من الورق). وربي، يا سادة، أرى له سحنة الملك، وهو وريثه بالتبني. لكن كيف تسنى لبلا تاجينه الكبير أن يتوجّج باكراً ويحنث بعهدة العلي؟ إذا لم أكن مخطئاً، لا حقّ لك بأن تستأثر بالعرش قبل أن تختطف المنية شخص الملك هنري. وهكذا تكلل رأسك وتتنكر لوعدك المقدس. هذا جرم لا سبيل إلى الصفح عنه بشكل من الأشكال. فليسقط هذا التاج وليسقط معه هذا الرأس أيضاً. والزمن الذي يساعداً على التنفس، كفيل بأن يسقيه كأس المنون ويحرمه نعمة الحياة.

كليفورد: أنا أطالب بهذه الطقوس إكراماً لذكرى والدي.

الملكة مرغريت: كلا؛ توقفوا. لنسمع خطابه الرنان.

يورك: يا ذئبة فرنسا، بل أشرس من الذئاب المفترسة، أنت يا صاحبة اللسان السليط السام أكثر من أنياب الأفعى، لا يليق بجنسك الذي يقال عنه إنه لطيف أن يتصر، يا أيها المستهترّة الدنيئة، يا طالع النحس، يا عنوان الحساسة التي شاء شقاؤك أن تكوني أسيرة. إذا كان وجهك مقطب الحاجبين كأنه قناع غريب مخيف

إذا لم يكن مخلوقاً للأعمال الحقة التي تحني كالحيجاب حيائك بحكم
أفمالك الحيشة ، سأحاول أيتها الملكة المتشاحمة أن أجعل الاحمرار
يحتاج حياك . وأن أسألك من أنت ، ومن أين أنت تنحدرين ، ما
دام هذا سبباً كافياً لإحجالك ولو كنت خالية من كل حشمة .
ان والدك يحمل لقب ملك نابولي وصقلية ، مع انه أقل غنى من
الفلاح الانكليزي . هل هذا الملك المسكين هو الذي علمك
الوقاحة ؟ هذا أمر لا جدوى منه بل مرهق للغاية أيتها الملكة الجبانة ،
إلا إذا كنت تريدن تبرير القول المأثور : الحَيَال القذر يظل راكضاً
حتى تموت مطيته . حقاً هو الجلال الذي يجعل المرأة في أغلب
الأحيان جبانة . لكن الله يعلم مقدار هزال زوجتك . إنما المرأة
الفاضلة فقط تستدر الإعجاب ، والعكس يؤلّد فيها الوجوم ،
والحياء يضني عليها مسحة الأنوثة والنعومة ، بينما الوقاحة تجعلها في
منتهى القباحة . أنت نقيض كل خير ، كما أن الفضيلة نقيض
المجون ، والجنوب نقيض الشمال . يا قلب النمر المستر ببشرة المرأة
كيف تسنى لك أن تحتفظي بوجه امرأة بعد أن سفكت دم طفل
وقلت لأبيه أن يكفكف دموعه ؟ النساء عادةً كلهن حنان ورقة
وشفقة وإحساس ، بينما أنت مقدودة من صخر أصم ، أنت خشنة
صلبة ومرة كالعلقم وعديمة الرحمة . كنت تنذريني بأن لا أستسلم
الى الغضب . وها هو رجاؤك قد تحقق . كنت تريدني باكياً وها
هي مشيتك قد نفذت . لأن الرياح الهوجاء تطرد المطر الوشيك
الهطول ، وحالما يهدأ هبوبها تبدأ الأمطار بالانهار . هذه الدموع
هي جنازة رتلند اللطيف ، وكل منها يطلب الانتقام من قاتليه ،
منك أنت يا كليفوردا الشرير ومنك أنت يا أيتها الفرنسية الجاهدة .

نرتمبرلند : تباً لك ، أن تأثرك يهز مشاعري الى حد أنني أكاد لا أمسك دمعني عن الانهيار على خديّ.

يورك : ألا ترى أن وجهه يشبه أكلة اللحوم الجشعين الذين لا يكفون عن الاقتراس وعن مصّ الدماء. لكنك أنت أكثر وحشية وبعداً عن الانسانية بعشرة أضعاف بل أشرس من الثور بما لا يقاس. انظري أيتها الملكة العديمة الاحساس ، هذا المنديل الذي لوثته بدم ولدي الحنون. دعيني أغسل دمه بدموع عينيّ. خذي إذاً هذا المنديل وتبجحي بإثمك المشؤوم (يرد لها المنديل) ستروين الحادث تماماً كما جرى ، وحق السماء سيسكب السامعون دمعهم مدراراً. أجل حتى أعدائي سيدرفون الدمع بغزارة ويقولون : وأأسفاه ، هذا الجرم يستدعي الازدراء. هيا خذي هذا التاج ومعه تلتني لعنتي. وأنا كلي أمل أن أجد عزاء في محنتي التي أنزلتها بي يدك القاسية. يا كليفوردي لفظاً اقتلني من هذا العالم ، فتصعد روحي الى السماء ويُهدر دمي على رؤوسكم.

نرتمبرلند : لو سفك دم جميع أفراد أسرتي ، لما وسعني أن لا أبكيهم معه وأنا أرى ما يسحق قلبه ألماً.

الملكة مرغريت : ماذا أرى ؟ هل تتباكى يا مولاي نرتمبرلند ؟ تذكر فقط ما ألحقه بك من شرور ، فلا يلبث دمعك أن يجفّ.

كليفوردي : هذا وفاء عهدي ، وهذا جزاء موت أبي (يطعن يورك).

الملكة مرغريت : وهذا في سبيل الانتقام للكنة الممتاز. (تطعنه بالخنجر).

يورك : افتح يا رب أبواب رحمتك . فإن نفسي تطير اليك من خلال

جرحي (يموت)

الملكة مرغريت : اقطعوا له رأسه ، وضعوه عند باب مدينة يورك بشكل يجعل سيد

يورك يسيطر على مدينته (يخرجون)

الفصل الثاني

المشهد الأول

في سهل قرب صليب مريتمور في كونتيّة هيرفورد.

يسمع قرع طبول. يدخل ادوارد وریشار مع رجالهما المسلحين في مشية عسكرية.

ادوارد :
إني أتساءل كيف هرب والدنا الجليل ، وكيف تمكن من الخلاص من مطاردة كليفورد ونرتمبرلند؟ فلو تمكنّا من القبض عليه لبلغنا الخبر. ولو كانا قتلاه لبلغنا الخبر أيضاً. إنما لو كان فعلاً هرب ، يخيّل إليّ أننا كنا سمعنا بخلّاصه المرتجى. كم أتوق الى معرفة أحوال أخي ، ولماذا هو هكذا حزين؟

ريشار :
لن يهدأ لي بال قبل أن أعلم ما حلّ بوالدنا الشيخ الشجاع. لقد رأيته يتجوّل في كل اتجاه وسط ميدان القتال ، ولاحظت كيف يهاجم كليفورد ، وهو في عزّ المعركة ، نظير أسد بين قطيع من الثيران ، أو كدبّ تطارده الكلاب : فحالما يعص بعض الكلاب الدبّ يقف باقي الكلاب بعيداً ويعوون عليه. هكذا كان والدنا يفعل بأعدائه ، وهكذا كان الأعداء يهربون من ثورة غضبه الهائل

الرهيب . وما أعظم أن نكون نحن أولاده ! انظروا كيف نشر الفجر
أنواره الذهبية ليستقبل الشمس الساطعة . وهو يشبه شاباً في مقتبل
العمر يتباهى بفتوته الرائعة أمام حبيسته المشرقة المحيا .

ادوار : هل انبر نظري ، أم آئي أرى ثلاث شمس حقاً؟

ريشار : أجل ثلاث شمس مشرقة كل منها تمتاز عن الأخرى ، يفرق بينها
غمام أبيض من رجابة ذلك المدى الصافي الأديم . انظروها كيف
تقترب إحداها من رفيقتها وتتعانق بشوق وانسجام كأنها تقسم على
الولاء لتكوّن مصباحاً ونوراً وشمساً واحدة . وهذا دليل على أن
السماء منشغلة بمحدث خطير .

ادوارد : هذا أمر غريب جداً ، لم تسمع به أذن . أعتقد يا أخي بأن السماء
تدعونا الى معركة جديدة ، وتطلب منا نحن أولاد بلانتاجينييه
الباسل ، وقد لمع نجمنا وذاع صيتنا أن نخزم أمرنا ونجمع أنوارنا في
مشعل واحد نظير هذه الشمس الساطعة على العالم أجمع . ومهما
كان هذا التنبيه خطيراً أودّ أن أحمل من الآن وصاعداً هذه
الشمس الثلاث كشعار .

يدخل رسول

من أنت ، ومظهرك المرهق ينبئ بقصة مريعة ترتجف لفظاعتها
شفتاك ؟

الرسول : أنا رجل مجرب عاركت الدهر وشاهدت ما يشيب لهوله الأطفال ،
إذ أبصرت مقتل والدك دوق يورك النبيل الوقور وهو مليكي
الحبيب المفضى .

ادوارد :

كفّ عن الكلام ، فلقد سمعت أكثر من اللازم .

ريشار :

أخبرني كيف مات ، لأنني أريد أن أسمع عنه أدق التفاصيل .

الرسول :

كان محاطاً بعدد من الأعداء ، وكان يقاتلهم كبطل مغوار ، وكأنه

أمل خلاص طروادة في محاربتها اليونانيين الذين حاولوا السيطرة

على ضحيتهم . إن هرقل ذاته لا يستطيع مقاومة الجماعة التي تهزمه

بوفرة العدد ، لأن ضربات الفأس المتواترة وإن خفيفة تقطع في آخر

الأمر أضخم أشجار السنديان . ووالدكم ما تغلب عليه إلا الغدر

والتزلة فذبجه الشرس كليفوردي نصير الملكة التي كافأت هذا الدوق

السفّاك بضحكة مريّة رنّت قهقهتها في أجواء الأسى وارتجت لها

القلوب الكسيرة . وعندما بكى حسرة وألماً قدمت له وجنتها لتمسح

بهما دموعه ومنديلاً لثوّته الدم الذكي الذي سال من جرح الشاب

اللطيف رتلند حين قتله كليفوردي بوحشية . وبعد وابل من الإهانات

والسباب الدنيء قطعوا رأسه ووضعوه على باب مدينة يورك حيث

بقي منظره القائم معروضاً كشبح يهرب الخواطر ويلهب الأحقاد .

ادوارد :

يا حبيبي يورك ، على من نتكل الآن بعد أن فقدناك ولم يعد لنا من

يناصرنا ويحمينا . وأنت يا كليفوردي اللعين قتلت زهرة فرسان أوروبا

الذي ما تغلبت عليه إلا بخيانتك المنحطّة ، إذ لو قارعت خنجره

بخنجرك لكان حتماً نال منك وأزالك من عالم الوجود كأنك لم

تكن يوماً في هذه الدنيا . منذ ذلك الوقت أضحت نفسي سحينة في

أعماق صدري الموغر حقداً عليك . ولو تسنّى لها أن تهرب من

جسمي لدفنت السلم في أعماق الأرض الى الأبد ، وما ذقت طعم

الفرح أبداً بعدئذ وما هدأ لي بال .

ريشار : أنا لا أستطيع البكاء لأن كل دموعي لا يسعها أن تطفئ لظي قلبي ، ولساني لا يقوى على تخفيف عبء همومي . لأن الأنفاس اللازمة لإخراج جميع كلماتي تضرم الجمر المتاجع في أحشائي ، وتزيد لهيب الحريق الذي تحاول دموعي أن تخمد نيرانه . وما دام البكاء يخفف الألم ، فهياً إلى البكاء أيها الأولاد ، وعليّ أنا أن أقاتل وأنقم . أنا أحمل اسمك يا ريشار وأنوي أن أثار لموتك أو أموت في سبيل المحافظة على أجدادك .

ادوارد : هذا الدوق الباسل ترك لك اسمه ودوقيته ومكانته .

ريشار : إن كنت حقاً ابن هذا النسر الملكي ، عليك أن تبرهن عن أصالة نسبك بأن تحرق بأنظارك في نور الشمس . أنت تقول إنه ترك لي دوقيته ومكانته ؟ بل قل عرشه ومملكته ، فكلاهما لك أو أنت لست من صلبه .

تسمع مشية عسكرية . يدخل ورويك ومونتيكو مع جنودهما .

ورويك : الى أين وصلت أيها اللورد الوسيم . وما وراءك من الأخبار ؟

ريشار : يا لورد ورويك العالي المقام ، كان علينا أن نقصّ حكاية مصائبنا . فلديّ كل كلمة كنا نتلقى طعنة خنجر الى أن تمّ فينا قول كل ما يمكن قوله ، لأن الكلام يحفر أخاديد اللوعة والكمد بدلاً من الجراح البليغة الأليمة . أيها اللورد الشجاع ، قُتل دوق يورك وترك في صدرنا غصة .

ادوارد : لهني على ورويك سليل أسرة بلانتاجينه . هو عزيز على قلوبنا نظير طمأنينة نفوسنا وأمانها . وقد قضى عليه لورد كليفورد الغادر .

ورويك :

منذ عشرة أيام ، وأنا أطفئ بالدموع ما أورثني إياه هذا النبأ من الأسف . والآن زاد شقاؤك بسبب ما أطلعتك عليه من الأحداث منذ ذلك الحين . فبعد القتال الدامي الذي جرى في ويكفيلد حيث لفظ والدك الشجاع أنفاسه الأخيرة ، بلغني خبر الكارثة ونبأ موته وصل إليّ بالبريد السريع . كنت في لندن أحرس الملك ، فجمعت جنودي ولقيت من الأصدقاء ، وبرفقة قوات ظننتها كافية زحفت على ستيلبان لأسد الطريق على الملكة وآتي بالملك كي يسمح لي بمجابتها لأن جواسيسي أعلموني بأنها قادمة وهي تنوي أن تلغي آخر قرار اتخذته المجلس بخصوص ما أقسم الملك لأجله من يمين واستلامك منه العرش . وبالاختصار تلاقينا في ستيلبان واصطدم جيشانا وتقاتل حزبانا بغضب وضراوة . ولا أدري إن كان ما أصابنا من إخفاق سببه انشغال الملك بتأمل زوجته التي خفت بعدائها حماس جنودي ، أم هي الضجة التي أحدثها نجاح الملكة ، أم بالحري هو الخوف الناجم عما يفرضه كليفورد ، وقد صعق أسراه بمشاهدة الدم والموت ؟ لست أدري . على كل حال ، كانت أسلحة الأعداء تروح وتجيء نظير اليوم المشؤوم أو منجل الحصاد الكسول الذي يضرب بتهاون واسترخاء كأنه يصيب بعض الأصدقاء . حاولت أن أنشطهم بالثناء على قضيتنا العادلة والوعود بإجزال العطاء والمنح الوافرة . لكن على كل هذا كان بلا جدوى . إذ لم يكن لديهم الإقدام اللازم للقتال . ونحن لم يعد لدينا أمل بالانتصار ، فتعاس رجالنا هؤلاء ففضلنا الحرب ، على أن يلاقي الملك ملكته ولورد جورج شقيقك وأنا ونورفولك ، لنوافيكم على

جناح السرعة . لأننا علمنا أدت هنا ، على أهبة السير بعد أن جمعتم جيشاً آخر للقتال .

ادوارد : أين دوق نورفولك ، يا عزيزي ورويك ؟ ومتى رجع جورج من بوركون الى انكلترا ؟

ورويك : مقرر الدوق ، على بعد ستة أميال تقريباً من هنا ، وهو مع جنوده . أما أخوك فقد وصل إلينا منذ هنية آتياً من لندن عمتك دوقة بوركون مع نجدة من الجنود ضرورية لهذه الحملة .

ريشار : لم تكن الحملة متوازية ، فما كان على ورويك الشجاع إلا الفرار . وكم سمعت من حديث ينسب إليه شرف المطاردة ، لكنني لم أعلم حتى اليوم بأنه واجه ذلك الانسحاب .

ورويك : أنت لن تقف اليوم على قصة إذلاي يارشار ، لأنك ستري أنني لا أزال أحفظ بذراعي القوية لكي أنزع التاج عن رأس هنري الضعيف ، ومن يده الصولجان الرهيب ، وإن عُرف بشجاعته في الحرب فهو لطيف هادئ . متدين .

ريشار : أنا أعرف ذلك يا لورد ورويك ، فلا تلمني ، إن رغبتني في رؤيتك متصراً هي التي تحملني على الكلام . لكنني في هذه الأوقات العصية ما عساي أن أفعل ؟ هل علينا أن نرمي جانباً ردوعنا الفولاذية ونرتدي ثياب الحداد ونرتل أناشيدنا وصلواتنا بحزن ؟ أم علينا أن نحمل أسلحتنا ونهجم بإيمان ، في سبيل الانتقام ، ونحطم خوذات أعدائنا ؟ فإن كنت من هذا الرأي ، فقل نعم ، وهيا الى القتال ، يا مولاي .

ورويك :

لهذا السبب جئت يا وروييك وسأصطحبك . ولهذا السبب أيضاً أتى أخي مونتيكو . انتبهوا أيها اللوردات . إن الملكة الجبانة الوقحة ، بالاتفاق مع كليفورد والمتشامخ نرتمبرلند وغيرهما من الطيور الكاسرة التي تشبهها ، قد عجنوا الملك كأنه شمع طري ، وأقسموا جميعاً على أن تكون أنت خلفه ، وحلفانهم مسجل في المجلس . الخلاصة أنهم ذهبوا كلهم الى لندن لإلغاء هذا القسم وكل ما يقوم عقبة في سبيل وصول أسرة لنكاستر الى مبيتها . وها هي قواتهم يبلغ تعدادها ثلاثين ألف رجل . والآن إذا كان عدد مسلحي نورفولك ومسلحي أنا أيضاً وجميع الأنصار الذين تستطيع استدعاءهم أنت يا كونت مارش الشجاع من بين أهالي ويلز ، ويمكنهم أن يحملوا أسلحتنا ، يناهز عددهم خمسة وعشرين ألف مقاتل ، فإلى الأمام لتزحف رأساً على لندن ممتطين ظهور جيادنا التزقة ونصرخ بأعلى أصواتنا : هيا نهجم أعداءنا يا فرسان ، وكلنا عزم وطيد هذه المرة على أن لا نتراجع ولا نخيب .

ريشار :

الآن جاء دور وروييك الكبير ليسمعنا صوته . نتمنى أن لا يرى يوماً نور الشمس الساطعة كل من تسول له نفسه الانسحاب من المعركة عندما يأمره وروييك بالصمود .

ادوارد :

يا لورد وروييك ، أنا متكل عليك في تنفيذ هذه المهمة . فإذا فشلت لا سمح الله الذي أسأله أن يحميني من مثل هذا الموقف الحرج ، أرجو أيضاً أن لا أسقط أنا وادوارد معاً .

ورويك :

أنت لم تعد كونت مارش ، بل أصبحت دوق يورك . والمرتبة التالية التي سترقي إليها هذه المرة ستكون درجات عرش انكلترا بدون

شك . وستوج ملكاً في لندن وجميع المدن والقرى التي سنمر بها .
ومن لا يلتي بقبعته في الهواء ابتهاجاً ، سيدفع رأسه ثمن هذه
الإهانة . أيها الملك ادوارد ، ويا ريشار الباسل ويا مونتيكو ، علينا
أن لا نتوقف لنحلم بالأجناد ، بل أن نأمر بنفخ الأبواق لتبدأ
هجومنا .

ريشار : مهما قسا قلبك يا كليفورد وأصبح صلباً كالقولاذ ، وقد برهنت انه
كالصخر الأصم ، فأنا أبادر الى اختراقه أو أسلمك أنا قلبي .
ادوارد : اقرعي إذا يا طبول ، والله وشفيعنا جاورجيوس يكونان في عوننا .
يدخل رسول .

ورويك : ما وراءك من الأخبار ؟
الرسول : أوفدني دوق نورفولك لأبلغ الملكة أن تتقدم مع جيش قوي لأنه
يتكل على مساندتك ليحقق لنا تحريراً سريعاً .
ورويك : كل شيء يسير على ما يرام . فهيا أيها المحاربون الشجعان
(يخرجون) .

المشهد الثاني

أمام مدينة يورك

يدخل الملك هنري والملكة مرغريت وامير ويلز وكليفورد ، ونرتمبلند مع
جنودهم .

الملكة مرغريت (للملك) : أهلاً وسهلاً ومرحباً بكم في مدينة يورك هذه . هنا يبحث

رأس عدونا اللود الذي حاول ان يغتصب منك تاجك . ألا
يفرحك هذا المشهد ، يا مولاي ؟

الملك هنري : كما يسرّ منظر الصخر الراسخ ، من يخشى الفرق في اللجة . هذا
المنظر يضيق له صدرى . فأرجوك أن تؤجل انتقامك ، يا
عزيزي ، فالذنب ليس ذنبى ، وان حشّت بقسمي ، فليس بمحض
ارادتي .

كليفورد : يا مولاي الكريم ، إن هذا اللطف العقيم ، وهذا الحنان المؤذي ، لا
بد من أن ندعها جانباً . فعلى من يلقي الأسد نظرة الاشفاق ؟ طبعاً
ليس على البهيمة التي تقتحم عرينه لتطرد اصحابه منه . ثم يد من
يلحس الدب في الغابات ؟ ليس طبعاً يد من يهاجم صغاره امام
عينيه . ومن ينجو من لسعة الحية الرقطاء ؟ ليس بالطبع من يدعس
بقدمه ذنبها اللين . لأن احقر حشرة تلدغ الرجل التي تحاول دوسها ،
وكذلك الحمامة الوديدة تنقد من يحاول تخريب عشها . فالطامع
يورك كان يتمنى الاستيلاء على تاجك وأنت تبسم له ، بينما كان
هو يقطب حاجبيه غضباً . وهو الذي لم يكن أكثر من دوق ، شاء
أن يجعل من ابنه ملكاً ليرفع ذريته الى أعلى مراتب الحكم ، وأنت
الملك ، ولك ابن ممتاز رضيت بأن تحرمه ، وتتصرف هكذا كأب
ارعن . ان العصافير الخالية من العقل والتفكير تغذي صغارها ،
ومهما كان وجه الانسان دميماً في نظرها ، فلكي تدافع عن فراخها
تتسلح بالاجنحة ذاتها التي تساعد على الهرب امام الخطر
لتتصدى لعدوها المتسلق للسطو على اعشاشها ، ولا تتردد في بذل
حياتها لأجل صيانة صغارها . ففي سبيل سعادتك يا مولاي الملك ،

يمكنك أن تستخلص العبر، أوليس من الحيف أن تضع حقوق
ولذلك في الملك من بعدك؟ وذلك بسبب تخاذلك. فيقول لابنه
ذات يوم: ان ما كان يملكه اجدادي تحلى عنه أبي الذي لم يأبه لما
كان في يده فأضاعه. يا للعار! انظر الى هذا الصبي الذي يشرق
بحياه بالأمل، واستمد من نصارته وبراءته ما يقويك على الدفاع عما
وصل اليك لتحافظ عليه وتسلمه الى ولدك.

الملك هنري: لقد تبين ان كليفورد أبدى بلاغة خارقة في الخطابة، وجاء بالبراهين
الدامغة. هل تظن دوماً ان السعد حليف ابن الوالد الذي ذهب الى
الجحيم بسبب ما اخترته من اموال. انا سأورث ابني أعمالاً صالحة.
أشكر الله على أني لم أرث ما هو أئمن، لأن سائر الأمور تشتري مهما
غلا ثمنها. فإن قلت لك ان المرء يشق عليه ألف مرة الاحتفاظ
بالمالذات أكثر من الحصول عليها وامتلاكها. فيا ابن العم يورك ليت
أصحابك يدركون كم أنا متأسف على ما وصلت اليه من حال في
هذه الظروف العسيرة.

الملكة مرغريت: ارفع معنوياتك يا مولاي، فالعدو قد اقترب. وقلة شجاعتك
تثبط عزيمة اتباعك. لقد وعدت برتبة الفروسية ابنتا البكر
الطموح، فقلده سيفك حالاً. اركع يا ادوارد.

الملك هنري: يا ادوارد بلانتاجنيه، انهض فقد أصبحت فارساً. واحفظ وصيتي
هذه: عليك أن تمتشق حسامك كلما دعاك الواجب الى ذلك.
امير ويلز: اشكرك يا والدي العزيز، وباذن جلالتك سأمتشق هذا الحسام
الذي يحمي التاج، وفي هذه المشادة سأستعمله حتى المات.

كليفورڊ : هذا كلام امير شجاع قدير .

يدخل رسول

الرسول : ايها القادة الابطال ، استعدوا ، فان ورويڪ قادم على رأس عصابة من ثلاثين الف رجل ، وهو يعتمد على دوق يورك ليجتاز جميع المدن وينادي الشعب به ملكاً فيجتذب الجماعات اليه . نظموا صفوف جنودكم الواقفين على أهبة الاستعداد للقتال .

كليفورڊ (للملك) : أتمنى أن تترك جلالتك على الفور ساحة القتال ، فنجاح الملكة مضمون اثناء غيابك .

الملكة مرغريت : اجل ، يا مولاي . اتركنا نتدبر شؤوننا لثلاثين يوماً .

الملك هنري : حظك هو حظي أنا أيضاً . لذا أنا باقٍ هنا .

نرتمبرلند : وليشتمل قرارك هذا على القتال أيضاً .

امير ويلز : يا والدي الملك ، ارجو أن تشجع هؤلاء اللوردات النبلاء ، وأن تحمس من يريد الحرب في سبيل حمايتك . استل سيفك يا أبي الحبيب ، واستعن ببسالة شفيعلك جاورجيوس .

يسمع نشيد عسكري . يدخل ادوارد وجورج وريشار ورويڪ ونورفولك ومونتبيكو والجنود .

ادوارد : هيا اذاً يا هنري ، اركع على ركبتك واطلب العفو ، ثم ضع تاجك على رأسك ، واشترك في مغامرة تقرر مصيرك المتأرجح .

الملكة مرغريت : اذهب ووبّخ أحبابك أيها الولد الوقح . الأخرى بك أن تخاطب مليكك بجرأة وتقدّم له واجب الاحترام .

ادوارد : انا مليكه ، وعليه هو أن يركع امامي . لقد اختارني وريثاً له بملء رضاه . ومنذ أن حث يمينه ، كما بلغني ، أصبحت انت الملك الحقيقي ، وإن ظل هو يحمل التاج على رأسه . ولقد اجبرته بموجب قرار جديد من المجلس على إزاحتي من الدرب وتنصيب ابنه مكاني .

كليفوردا : هذا حق شرعي . ومن يخلف الأب إلا ابنه ؟

ريشار : انت اذاً هنا ، يا جزار ؟ وأنا لا أرى سبيلاً الى محادثتك ؟

كليفوردا : اجل ، أيها الأحذب . ها أناذا أجيبك وأجيب كل الحمقى الوقحين أمثالك .

ريشار : أنت قتلت رثلند الشاب أليس كذلك ؟

كليفوردا : نعم ، يا يورك العجوز . وأنا لا أزال حانقاً .

ريشار : باسم السماء يا مولاي ، اعطِ إشارة البدء بالقتال .

ورويك : ماذا تقول يا هنري ؟ هل أنت مستعدٌ للتنازل عن التاج ؟

الملكة مرغريت : أجل أنت طويل اللسان ولا تجسر على الكلام . في آخر مرة تقابلنا أنا وأنت في سستلبان ، أذكر جيداً أن رجلك تحركت أكثر من يديك .

ورويك : اذا كان دوري بالأمس أن أهرب ، فقد جاء اليوم دورك أنت .

كليفوردا : لقد نصحتك قبلاً ولم تهرب .

ورويك : ليس توجيهك الذي يحملني على الانسحاب يا كليفوردا .

- نرتمبرلند : ولا بسالتك التي اعطتك القوة لتتشبث بعناد.
- ريشار : يا نرتمبرلند ، بما أني احترمك ، أرى من الأفضل أن تقف محادثتنا عند هذا الحد ، لأنني أكاد أتمالك انفجار قلبي المتنفخ غضباً على كليفورد قاتل الأولاد الشرس .
- كليفورد : أنا قتلت اباك . فهل تحسبه طفلاً ؟
- ريشار : أجل ، أنت قتلته بيجانة وخيانة ، كما قتلت أخانا الحنون رثلند . لكن قبل مغيب الشمس ستحل عليك اللعنة بسبب فعلتك هذه .
- الملك هنري : كفى أيها اللوردات . اصغوا اليّ .
- الملكة مرغريت : تحداهم اذاً ، وإلا أغلق فك ولا تنطق بكلمة .
- الملك هنري : أرجوك أن لا تضعي القيد في تصرفي ، فأنا ملك ولي حق التكلم بحرية .
- كليفورد : يا مليكي ، ان الجرح الذي أوجب هذا الاجتماع لا يمكن لأي حديث أن يشفيه ، فالزم الصمت اذاً .
- ريشار : إستلّ سيفك ، يا سفاك الدماء . بحق من خلقنا جميعاً أنا مقتنع بأن شجاعة كليفورد محصورة في لسانه فقط .
- ادوارد : تكلم ، يا هنري . هل تعترف بحق أم لا ؟ ان آلفاً من الرجال الذين تغدوا هذا النهار لن يتعشوا هذا المساء ، اذا لم تتنازل عن العرش .
- ورويك : اذا رفضت التنازل ، سيهدر دهمهم على رأسك ، لأنني أنا يورك ، لأجل فرض عدالتني قد ارتديت درعي الحديدي .

امير ويلز : ان ما يقوله يورك هو الحق بعينه ، فلن يبقى في الدنيا من ظلم ، وسيصبح كل شيء في منتهى العدل .

ريشار (يشير الى الملكة) : لا يهمني من كان أبوك ، فها هي أمك ، وأنا أرى فيك لسانها الزلق .

الملكة مرغريت : لكنك لا تشبه اباك ولا أمك : فأنت مسخ شوهتك الرذيلة ، وقد حكم عليك مصيرك بأن يحتقرك الجميع نظير ضفدع حقير أو حية رقطاء أو شوكة سامة .

ريشار : أنت حديد من نابولي مطليّ بذهب انكليزي ، ووالدك يحمل لقب ملك ، لكنك كساقية تتكئين بالحيط . الا تستحين ، وأنا أعرف منبتك ، عندما يخونك لسانك البليء الذي ينطق بفضلات قلبك الخسيس ؟

ادوارد : انا مستعد لأن أدفع درهم ثمن حزمة قضبان تذكرك بهذه السافلة المستهترّة ، هيلانة اليونانية التي كانت أجمل منك وكان زوجها مينيلاس مغبوناً . مع ذلك لم يحق شقيق أكامنون هذا ، ولم تغضبه هذه المرأة الجاحدة ، رغم كون وضعه يشبه حالك . فقد انتصر والدها في قلب فرنسا وسيطر على الملك وضغط على ولي العهد . وإن حقق زواجاً مناسباً كما يشتهي ، لحفظ حتى الآن هذه الثروة الضخمة من الأبحاد . لكنه حالماً قَبِلَ في سريره هذه المتسوّلة ، جرّ على رأسه عاصفة من الكوارث اكتسحت فرنسا وامبراطورية والده ، وأثارت التمرد على عرشه . اذ لم يسبب هذه الاضطرابات الهدامة إلا كبرياؤه وعجرفته . فلو كنت متواضعاً لظلت القابنا

محترمة ، ومن باب شفقتنا على هذا الملك اللطيف كنا أرجأنا مطالبتنا الى وقت آخر.

جورج : لكن متى سطعت أنوارنا لتشر الربيع في دياركم ، وجدنا أن سيفك لا يزال قاحلاً بالنسبة الينا ، وهذا ما حدا بنا الى إعمال الفأس في جذورك المغتصبة . لذا ، وان جرحنا حد سيفك احياناً فنحن لم نطرق بعد بابك ولن نتحول عنك إلا بعد أن ندك كيانتك ، ونروي عظمتك المتمايدة بغزير دمائك .

ادوارد : بهذا التصميم أنا أتحداك ، لأني لا أريد أن أطيل عليك هذه المحاضرة ، وأنت تمنع الملك اللطيف من الكلام . انفخوا الابواق ودعوا اعلامنا تحقق ، وإن قطرت دماً ، فإمّا الانتصار بعزة وكرامة ، وإما الاندثار في قبر مجيد خالد .

الملكة مرغريت بكفى ، يا ادوارد .

ادوارد : كلا ، أيتها المرأة المشاغبة المتخاذلة . لن نصبر دقيقة واحدة بعد الآن ، لأن طلبك سيكلفنا التضحية بحياة عشرة آلاف مقاتل . (يخرجون).

المشهد الثالث

في ساحة القتال بين تاونن وساكستون في مقاطعة يورك شاير

يسمع صوت انذار ، ومعركة حامية . يدخل وروبك .

وروبك : لقد انهكتي التعب كأني عداء في سباق جري طويل . سأستريح هنا

لأتنشق الهواء برهة . ما دامت الضربات المتلقاة والمردودة قد ذهبت
بقوى عضلاتي المفتولة ، فبالرغم من اندفاعي ، لا بد لي من أن
أستريح بعض الوقت .

يدخل ادوارد راكضاً

ادوارد : ابتسمي أيها السماء الحليمة ، أو إطعنْ أيها الموت الغاشم ، فكل
شيء أظلم في عيني واحتجبت شمسي وراء الغيوم المتلبدة .

ورويك : وهل تنتظر ، يا مولاي ، أن يكون مصيرنا أبهج من هذا ؟ ما هو
نصيبنا ؟ وماذا بقي لنا من أمل ؟

يدخل جورج

جورج : مصيرنا هو الهلاك المحتم ، وأملنا هو اليأس الكثيب القاتل . صفوفنا
قد تمزقت والدمار يلاحقنا ويلازمنا . فماذا ننصحنا ؟ وإلى أين
نذهب ؟

ادوارد : لا فائدة من الهرب ، لأن لأخصامنا أجنحة يطيرون بها . وبما أننا في
غاية الضعف ، لا يسعنا إلا الابتعاد عنهم .

يدخل ريشار

ريشار : آه منك يا ورويك ، لماذا انسحبت ؟ فالأرض العطشى شربت من
دم أخيك الذي هدسه رمح كليفوردي بأسى وقسوة . اذ صاح
بصوت حزين كناقوس خطر مخنوق : انتقم لي أنا شقيقك واثأر
لموتي . وهكذا تحت حوافر جياد الاعداء ، وقد ابتلت جوانبها بدم
لا يزال يتصاعد منه البخار ، لفظ الوجه النبل آخر انقاسه .

ورويك : لتسکر الأرض بدمائنا . سأقتل حصاني لأني لا أريد أن أفر . لماذا
نبقى هنا كالنساء الواجفات نندب ما خسرناه ، بينما اعداؤنا
يهزجون؟ هنا ، وأنا راكع أمام الله سيد الأرض والسماء ، اتعهد
بأن لا أتوقف أو أرتاح ، وأن لا يغمض لي الموت جفنًا قبل أن
يسعفني الحظ وأروي غليل انتقامي بدمه .

ادوارد : يا ورويك ، أنا أجتو الى جانبك واتعهد مثلك بأن أضمّ سعبي الى
جهودك لتحقيق ما نصبو كلانا اليه . وقبل أن أنهض وأرفع ركبتي
عن الأرض الباردة ، ارفع يديّ وعينيّ وقلبي اليك يا ربي ، يا
صانع الملوك ومهلكهم ، وأتمسّ عونك ورعايتك . واذا لم نشأ أن
يكون جسمي ضحية اعدائي ، إفتح امامي ابواب النصر ووسّع
آفاقي وامنحي الفوز والغلبة ، وان كنت خاطئاً . والآن ايها
اللوردات ، ليودع بعضنا بعضاً الى أن نلتقي ثانية إما في السماء أو
هنا على الأرض .

ريشار : اعطني يدك ، يا أخي ، لتتعاقد ولنبحث عن ورويك . أنا لم انتحب
قبلاً ، وأحسّ بدموعي تتدفق من مآقيّ ، وقد داهمنا شتاء كربتنا ،
وكاد يقطع الطريق على ربيع عمرنا .

ورويك : هيا بنا ، هيا بنا . مرة أخرى نسألك اللهم أن تأخذ بيدنا .
لنذهب ولنلحق بجنودنا ، ولنسمح بالهرب لمن لا يريد البقاء معنا ،
ولنجي الشجعان الذين يأبون إلا مساندتنا . واذا كتب لنا النصر ،
نعدهم بمكافآت كما يغتم الجوائز من يفوزون في الألعاب الأولمبية .
فهذا يوطلد عزمهم ويوثق عري التعاون بينهم وبيننا . هيا بنا بدون
تأخير ولنغادر هذا المكان حالاً (ينخرجون) .

المشهد الرابع

في مكان آخر من ساحة القتال

تسمع حركات جنود، يدخل ريشار وكليفورد.

ريشار :
اخيراً يا كليفورد ، انت تحت رحمتي ، تصوّر أن ذراعي هذه تخص
دوق يورك ، وذراعي هذه تخص رثلند ، وكلاهما تترقبان لحظة
الانتقام كأنهما قُدتا من البرونز.

كليفورد :
اخيراً يا ريشار ، انا أمامك وجهاً لوجه . هذه يدي التي طعنت بها
والدك يورك بالخنجر ، وهذه التي قتلت بها أخاك رثلند ، وهذا
قلبي الذي ظفر بموتها ، وقد شجع يديّ على ازهاق روح أبيك
وأخيك ، وعلى محوك أنت أيضاً من عالم الوجود . فإليّ اذاً
(يتقاتلان).

يدخل ورويك ويهرب كليفورد

ريشار :
لا ، يا ورويك . اختر طريدة أخرى ، لأنني أنا نفسي أريد أن
أداعب هذا الذئب المفترس حتى أقضي عليه (يخرجان).

المشهد الخامس

في أرض وعرة على اطراف ساحة القتال

تسمع موسيقى انذار. يدخل الملك هنري

الملك هنري : هذه الحرب تشبه معركة هذا الصباح التي تصارعت فيها العتمة

الزائلة والانوار الساطعة. في هذه اللحظة حين ينفخ الراعي في نايه ، لا يمكن استحضار وهج النهار ولا ظلام الليل. اذ تارة يميل الفوز الى جهة نظير بحر واسع يدفعه المدّ بعكس الرياح ، وطوراً يميل الى جهة أخرى نظير الامواج المتلاطمة امام ثورة العواصف. حيناً يتصر البحر وحيناً يفوز الريح. فالغلبة الآن لأحدهما وبعد برهة للخصم الآخر. وكلاهما يتنازعان الظفر وهما يتناسكان وليس بينهما لا غالب ولا مغلوب ما دام الاثنان متعادلين بالقوة والمهارة والحيلة. لأجل برهة هنا على الأرض ، والله يعطي النصر لمن يشاء. لأن ملكتي مرغريت وكذلك كليفورد. أقصيانني عن ساحة القتال ، وقد أقصا انهما سيظفران حين أغيب انا عن المعركة. كم أود أن أموت اذا كانت هذه ارادة الله. وهل في هذه الدنيا غير الحزن والشقاء؟ أحمذك يا الهي . لأنني لست سوى راع بسيط. سأستريح هكذا على هذه التلة فترة . وأرسم بدقة دائرة واراقب فيها سير الزمان اعدّ الثواني والدقائق . وأحسب الساعات والأيام والسنين التي يتسنى للمرء أن يقضيها في هذا العالم الفاني . وعندما أفرغ من حساباتي هذه أرى كيف توزع الأعمار وتقسم الحظوظ . كم من الساعات يمكنني أن أخصّص لقطيعي ، وكم من الساعات لراحتي ، وكم من الساعات لتأملاتي ولتسلّياتي ، وكم من الأشهر ستظل نعاجي مليئة وكم يلزم من السنين لتكبر جزّاتها. هكذا تمر الدقائق والساعات والأيام والاعوام ، وتسخر لغايات مرسومة سلفاً تسرع بشعري الى المشيب ثم يحسمي الى القبر المظلم. تباً لهذه الحياة المرهقة ! أولاً يمكن أن تكون حلوة ومحبوبة؟ أولاً يسع سياج

الشوك أن يمنح ظلاً أرحم للراعي الذي يسهر على قطيعه الآمن كما يستظل الملك المرفه خيمة مزركشة تقيه عوادي الزمان وكما يحميه حراسه من غدرات خيانة بعض رعاياه؟ أجل هذا ممكن الف مرة ، أجل ، أجل ، بالنتيجة أعتقد بأن ابن الراعي الذي يبرّد جوفه أيام الحرّ ويروي به عطشه ، جميع هذه الأمور تؤمن له الطمأنينة ببساطة أفضل من كل ما يتمتع به الأمير من الرخاء والمآكل الفاخرة والأواني الذهبية البراقة والسرير الوثير الفخم الذي يأوي اليه وفي رأسه تتصارع المطامع وفي صدره ينمو الحذر من الغدر والخيانة .

يسمع صوت انذار . يدخل ابن قتل أباه ويبرر وراءه جثته .

الابن :

لا خير في هدوء لا فائدة منه لأحد . وهذا الرجل الذي قتلته اثناء المعركة وجهاً لوجه ، ربما كان في جيبه بعض النقود ، وقد يسعدني حظي لانتزاعها منه في هذه اللحظة ، وقبل هبوط الليل ، قد أتنازل عنها لسواي كما انتقلت اليّ من هذا القتل . ماذا أرى ؟ يا الهي . هذا محيا والذي وقد ازهقت روحه بيدي بدون أن أتبين من هو في غمار المعركة . تباً لهذه الاوقات المشؤومة التي تسبب مثل هذه الكوارث . لقد استدعاني الملك الى لندن على عجل . ربما لأن والدي من رجال ورويك ، وقد وجد في صفوف جماعة يورك نزولاً عند إلحاح سيده . ما أفزع تصرفي ! أبي الذي منحني الحياة ، سلبته حياته بيدي . ساعني يا الهي ، لأنني لم أكن أدري ماذا أفعل . وأنت يا أبي اغفر لي لأنني لم أعرفك . ستغسل دموعي هذه الآثار الدامية ، فعليّ بالسكوت حتى تسيل وتمحو زلّتي .

الملك هنري : ما هذا المشهد المؤثر الأليم ؟ ما هذا العمل الفوضوي الهدام ! عندما تهاشرون الاسود في ساحة الوغى وتتنازع الأمان داخل عرينها ، تذهب الخراف البريئة ضحية جشع العداوة واللؤم . ابك ايها الشقي ، وأنا سأساعدك على الندب والنحيب . لا بد من أن تعمي بصائرنا الدموع وأن تمزق قلوبنا ألماً رزايا الحروب الأهلية .
يدخل أب قتل ابنه ، وهو يحمل جثته على ذراعيه .

الأب : أنت يا من قاومتني بضراوة ، أعطني ما لديك من الذهب إن كان لديك بعض المال . لأن منازلتك كلفتني مئة طعنة . لكن ، ماذا أرى ؟ اهذا وجه عدوي ؟ لا ، لا ، وألف لا . هذا ابني الوحيد . آه ! يا ولدي ، إن كان لا يزال في صدرك بضعة أنفاس ، أرجو أن تفتح عينيك . انظر الى هذا السيل من الدموع المنهمرة من مآقي وقد قذفت بها عواصف قلبي . اشفق علي يا الهي ، انا الشقي المسكين في هذه السن العتية . ما هو الجرم الفظيع والاثم الوحشي الذي يولد كل يوم نزاعات قاتلة ؟ آه ! يا ابني . ان والدك الذي وهبك الحياة بحنو وأنت طفل قد سلبك اياها غدراً وأنت في ربيع الشباب لأنه لم يعرفك إلا بعد فوات الأوان .

الملك هنري : بليّة تلو بلية ، ألم فوق ألم . ليت حياتي تستطيع أن تضع حداً لما ينتابني من عذاب مرير . الرحمة ، الرحمة ، أيها السماء الحليمة اشفقي عليّ . اني أرى على هذا المحيا وردة حمراء ووردة بيضاء ، وكلا اللونين اتسما بالشؤم في انتسابهما الى الأسر المتعادية . فلهذا الدم كل ما في الأولى من ارجوان ، ولهذا الحد كما أرى كل شحوب

الثانية. وعلى احدى هاتين الوردتين ان تذبل وتذوي وان تدع
الوردة الاخرى تزهر وتزدهر. فان واصلتم القتال لا بد لألوف
الأشخاص من أن يزولوا من عالم الوجود.

الابن : بأية بلامة سترشقي أمي حين تدري أني قاتل والدي.

الأب : وكم ستندرف زوجتي من الدموع على موت ابني ، لا سيما حين تعلم
أنني قاتل ولدي.

الملك هنري : وكم سيصبّ الشعب من الكره على رأس مليكه بعد كل هذه
الكوارث.

الابن : لم يسبق لولد أن يحزن هكذا لموت أبيه.

الأب : ولم يسبق أيضاً لأب أن يتحب هكذا على فقد ولده.

الملك هنري : ولم يسبق للملك أن تحلّ برعاياه مثل هذه المصائب الفظيعة. ومهما
كانت آلامهم مبرحة فان عذابني يفوق عشرة أضعاف ما اصابكم.

الابن : سأنتقل من هنا لأتمكن من البكاء بقدر ما أشاء (يخرج وهو حامل
جثة أبيه).

الأب : ها هما ذراعاي قد أصبحتا كأنهما كفك وقلبي يا ولدي العزيز ،
كأنه نعشك. لأن صورتك لن تمحي من قوايدي أبداً ، وتهدياتي
ستكون بمثابة ناقوس حزن عليك مدى الدهر. وسيتحسر أبوك
عليك الى الابد. سأبكيك وأندبك لأنك ابني الوحيد ، كما بكى
الملك بريام جميع ابنائه الشجعان. سأنتقل من هنا واترك القتال
لمن يشاء ، لأنني طعنت أقرب الناس اليّ طعنة نجلاء لا مبرر لها.
(يخرج حاملاً جثة ابنه).

الملك هنري : ايها الرجال أصحاب القلوب الحزينة التي برّح بها الألم ، أراني أنا الملك اتعس حالاً منكم جميعاً . (تسمع موسيقى انذار وضجة تنقل جنود) .

تدخل الملكة مرغريت وامير ويلز واكساتر

امير ويلز : اهرب ، يا أبي ، اهرب ، لأن كل أصدقائك لاذوا بالفرار . ورويك يرغي ويزبد نظير ثور هائج . هيا بنا نذهب لأن شبح الموت يطاردنا .

الملكة مرغريت : امتط جوادك ، يا مولاي ، واسرع حالاً الى وزويك . فان ادوارد وريشار زائغان نظير كليين شاهداً أرنباً مروّعاً ، وعيناها تقدحان شرراً من الغضب ، وفي يدهما السيف المسلول يقطر دماً وهما يطارداننا . لذا وجب علينا أن نعجل في الابتعاد من هنا .

اكساتر : الى الهرب ، فالانتقام يقود خطاهما ويعمي بصرهما . لا تضعوا الوقت سدى في التائب . هيا اسرعوا واتبعوني فأنا أسبقكم .

الملك هنري : كلا ، خذني معك ، يا اكساتر الرؤوف . أنا لست خائفاً من البقاء هنا . انما أحب أن ارافق الملكة حيثما توجهت . فهيا نغادر هذا المكان (يخرجون) .

المشهد السادس

تسمع موسيقى صاخبة . يدخل كليفوردي مجروحاً .

كليفوردي : لقد احترق مشعلي بكامله ، أجل وسينطفئ هذا النور الذي أضاء

للملك هنري بقدر ما دام التهابه . فيا لنكاستر ، أنا أخشى سقوطك أكثر من مفارقة روحي . لأن المودة والخوف اللذين كنت أوحى بهما كانا يشدان اليك أصدقاء عديدين والآن وقد سقطت لا بدّ لحربك المتفكّك الأوصال من الانهيار . وفي التخلّي عن هنري بغية مساندة خصمه الوقح ، ينجرف الشعب وراء يورك كأنه سرب من النحل ضلّ طريق القفير . والى أين يطير البعوض إن لم يكن نحو النور الوهاج ؟ ومن يلمع اليوم سوى عدوّ هنري . أيها الإله فابوس ، لو لم تسمح لفايثون أن يقود جيادك المظلمة ، لما كانت مركبتك الملتبّة أشعلت الأرض برمتها . وأنت يا هنري لو كنت حكمت كملك قدير ، كما حكم أبوك وجدك بدون أن تتنازل عن مواقعك لأسرة يورك ، لا أنا ولا عشرة آلاف مثلي في هذه المملكة التعيسة ما تركنا أرامل تبكي أمواتنا ، واليوم بالذات كنت لا تزال متربّعاً على عرشك بسلام . أوليس الهواء الناعم يتيح للأعشاب الفاسدة أن تزدد نمواً ؟ أوليست المبالغة في التسامح هي التي تشجع اللصوص على النهب والسلب . لا فائدة من شكواي ، كما أن لا شفاء لجراحي البليغة . ولا مجال للهرب ولا لمساندة انسحابي . فالعلوّ لن يرحم ولن يشفق عليّ لأنّي لا أستحقّ ذلك منه . لقد دخل الهواء الى جراحي القاتلة ومقدار الدم الذي سال مني قد أضعف جسمي . تعالوا يا يورك ويا ريشار ويا ورويك ، ومن بقي من الرجال . لقد طعنت آباءكم بالخنجر ، فما عليكم إلا أن تحترقوا قلبي بخناجركم (يغمى عليه) .

تسمع موسيقى إنذار وضجة انسحاب . يدخل ادوارد وجورج وريشار ومتيكو وورويك وبعض الجنود .

- ادوارد : والآن لتتنفس الصعداء أيها اللوردات لأن حظنا السعيد أتاح لنا قليلاً من الراحة والتخلص من التجهم بسبب الحرب ، والابتسام لاستقبال السلام. إن بعض فصائل الجنود تطارد تلك المملكة الدموية التي كانت تجر وراءها هنري الهاديء ، وإن كان ملكاً فهو كشراع تنفخ فيه رياح هوجاء وتتقاذف سفينته المتأيلة أمواج عاتية. لكن ، هل تظنون أيها اللوردات أن كليفورد فرّ معها؟
- ورويك : كلا ، لأن هربه مستحيل. وأنا أخشى أن أعلن ذلك في حضوره ، ما دام أخوك ريشار قد أصابه بطعنة أودت به الى القبر. فحيثما وجد لا بد من أن يكون قد قضى نحبه (يهتف كليفورد ويموت).
- ادوارد : من الذي فارقت روحه الحياة؟
- ريشار : هذه شهقة جنائزية تدل على الانتقال من هذه الدنيا الى الآخرة.
- ادوارد : انظر من هو. فالآن وقد وضعت الحرب أوزارها ، إن كان صديقا أو عدواً يجب أن نعامله معاملة لائقة.
- ريشار : أقلع عن التصرف بلين. لأن كليفورد هو الذي مات ، وهو الذي قصف الغصن الندي ببراعمه النضيرة عندما طعن رتلند بسكينه ، ثم اقتلع جنود تلك الشجرة التي أعطت ذلك الغصن ، أعني به والدنا الجليل دوق يورك.
- ورويك : انتزع من أمام أبواب يورك رأس والدك الذي علقه كليفورد ، وضع مكانه رأس هذا اللعين كليفورد. فلا بد من ردّ الكيل للعدو كيلين.

ادوارد : إيتوني بوجه اليوم الذي جلب الشؤم على أسرتنا واضطهدنا نحن وجماعتنا ، وجرّ علينا الشقاء والملاك . لقد أخرس الموت صوته الأجنس الشبيه بنعيب الغراب ، كأنه طالع النحس الذي ارتاحت آذاننا الآن من ضجيجيه وصخبه . (يؤتى بجثة كليفورد) .

ورويك : أظنه فاقد الوعي . تكلم يا كليفورد . هل تعرف من يخاطبك ؟ وها هي غيمة الموت السوداء ، قد خيمت على حياته ، وأظلم النور في عينيه ، فلم يعد يرى أحداً منا ولم يعد يسمع ما نقوله له .

ريشار : كم أنا آسف لذلك ! ربما هو لا يزال يسمع . فلا يستبعد أن يكون مظهره هذا خدعة بارعة من حيله العديدة كي يلوذ بالفرار . ويتخلص من ردة الفعل التي يتوقعها منا لقاء ما سام والدنا المتنازع من بؤس وعذاب .

جورج : إذا كنت تظن ذلك فما عليك إلا أن تعذبه بالكلام القارس .

ريشار : كليفورد الخبيث يتوخى الرحمة لأنه لا يستحق الصفح .

ادوارد : بدانتك يا كليفورد أضحت الآن غير مجدية إطلاقاً .

ورويك : كليفورد يستنبط الأعذار عما اقترفت يده من فظائع .

جورج : بينما ، لأجل قباحك أنت ، كنا اختلقنا أعذاراً أفضح .

ريشار : أنت أحيت يورك ، وأنا ابن يورك .

ادوارد : لأنك أشفقت على رثلند ، أنا أشفق عليك .

جورج : أين البطلة مرغريت تهبّ الى الدفاع عنك حالاً ؟

ورويك : هو يهزأ بك يا كليفورده ، فما عليك إلا أن تردّ عليه بشتائمك المعتادة .

ريشار : ماذا تقول ؟ لا أريد أن أسمع أي سباب . لا أنكر أن الأمر ليس بهيّن عندما لا يكون لدى كليفورده أية لعنات جاهزة ليخص بها أصدقاءه . وهذا دليل قاطع على أنه مات . لذلك أودّ أن أشتري له ، ولو ساعة من الحياة ، وأنا مستعد لأن أقطع يدي اليمنى ثمناً لها ، وبالدم الذي يسيل منها سأغرق اللعين الذي لم يتمكن يورك والشاب رتلند من إطفاء عطشه المزمّن اليه .

ورويك : أجل ، لكنه مات . اقطعوا رأس الخائن وعلقوه مكان رأس أبيك . (لادوارد) والآن لترحف على لندن متصّرين . سأُتّوج ملكاً على انكلترا . ومن هناك سيمخر ورويك عباب البحر الى فرنسا كي يطلب لك يد السيدة يون وهي أحلى عروس . وهكذا يتوحد البلدان بروابط وثيقة تكسبك فرنسا كصديقة ، ولن تخشى بعد ذلك من أعداء متفرّقين قد يفكرون بمناوأتك . إذ حتى إن كانت أشواكهم لا تؤذيك أو توجعك ، تتخلص على الأقل من صخب ثرثراتهم . أريد أولاً أن أشاهد حفلة التتويج ، ثم أعود على متن السفينة الى بريطانيا لكي أعقد لك هذا الزواج ، إذا شئت يا مولاي .

ادوارد : ليكن ما تريد ، يا عزيزي ورويك . لأنّي أقصد أن أسند عرشي بأكتافك العريضة وأنوي أن لا أفعل أي شيء بدون مشورتك وموافقتك ، يا ريشار . سأجعل منك دوق كلوسستر ، وأنت يا

جورج ، دوق كلارانس . أما ورويك فيمكنه أن يحلّ ويربط
باسمي على هواه .

ريشار : أفضل أن أكون دوق كلارانس ، ويكون جورج دوق كلوسستر .
لأن دوقية كلوسستر كثيفة أكثر مما أتحمّل .

ورويك : هذا اعتراض صبياني . كن يا ريشار دوق كلوسستر . والآن هيا بنا
الى لندن لاستلام مناصبتنا الرفيعة الشأن .

الفصل الثالث

المشهد الأول

في غابة شمالي انكلترا .

يدخل اثنان من حرس الصيد ، والقوس في يد كل منهما .

حارس الصيد الأول : لنختبئ وراء هذه الأجمة لأن الغزلان لا تلبث أن تجتاز الغابة من هنا ، ثم نهاجم ونقتل منها ما يتسنى لنا بعد أن نصيب الحيوان الذي يمشي على رأس قطيعها .

حارس الصيد الثاني : سأقف بجانبك في أعلى هذه التلة ، فتمكن هكذا من تسديد سهامنا معاً .

حارس الصيد الأول : هذا غير ممكن ، لأن صوت قوسك سيرعب تجمعها فيطيش سهمي . تعال نخبئ كلانا هنا ونسد سهامنا الى أجمل غزال منها . ولكي لا نشعر بطول الوقت والملل ، سأروي لك قصة جرت لي ذات يوم في نفس هذا المكان .

حارس الصيد الثاني : ها هوذا رجل قادم إلينا فلنتنظر حتى يعبر .

يدخل الملك هنري متنكراً ، وفي يده كتاب صلاة .

الملك هنري : أنا هارب من اسكتلندا حباً بوطني ، وجئت الى بلدي أحييه بنظرة

حب وإخلاص . كلا ، يا هنري ، هذه البلاد لم تعد تخصك ، لأن مكانك قد شغله غيرك وصولجانك قد انتزع من يدك . والزيت الذي مُسخت به قد زال . ومن الآن وصاعداً لا أحد يبحث أمامك ليعرض عليك قضاياه ، ولا أحد يطلب منك العدل والإنصاف . إذ كيف يتسنى لك أن تعين الناس ما دمت أنت لا تقوى على تدبير أمورك ؟

حارس الصيد الأول (على حدة) : ها هوذا غزال يساوي جلده ثروة ويصلح لحارس صيد مثلي ، ألا وهو الملك السابق ، فما عليّ إلا أن أمسك به .

الملك هنري : لنقبل هذه المحنة بصبر ، لأن العاقل يعتبر أن هذا هو الحل الأنسب .

حارس الصيد الثاني (على حدة) : لماذا التردد ؟ هيا نقبض عليه .

حارس الصيد الأول (على حدة) : قليلاً من الصبر ، فالأولى أن أستمع اليه بعض الوقت أيضاً .

الملك هنري : مليكي وابني ذهبا الى فرنسا لطلب النجدة . وعلمتُ بأن القائد القدير ورويك ذهب هو أيضاً يطلب يد شقيقة ملك فرنسا ليزفها الى ادوارد . فإذا كان هذا النبأ صحيحاً فسكينة أنت أيتها الملكة ، ومسكين أنت أيها الابن لأن سعيكما سيذهب سدى . ما دام ورويك خطيباً مفوهاً ولويس أميراً سهل الاستعطاف بريق الكلام . وعلى هذا الأساس يسع مرغريت أن تستميله هي أيضاً لأنها امرأة تستحق الشفقة ، ودموعها تفتت الصخر الأصم . حتى

التمر الشرس يحنّ لتعاسفها عندما تجود بدموعها ، ونيرون نفسه يلين
 رفقاً بتفجعها لمجرد رؤية دموعها وسماع تهندها. أجل هي آتية
 لتطلب ، وورويك مستعدّ للبذل والعطاء. هي الى يسار الملك
 تسعى للحصول على نجدة هنري ، وهو الى يمينه يطلب عروساً
 لادوارد. هي تتحب وتتشكو من خلع هنري عن العرش ، وهو
 يتسم ويقول إن صاحبه ادوارد توج ملكاً. هي بائسة شقية يمنعها
 الألم عن الكلام ، بينا ورويك يعلن لقب ادوارد الجديد ، يخفف
 من سيئاته ويشيد بحججه القوية الساحرة ، وبالنتيجة سيفوز على
 مرغريت لدى الملك ، ويحصل على أخته مع مساعدات قيمة ترسخ
 مكانة الملك ادوارد وتوطّد أركان عرشه. فيا مرغريت إليك ما
 سيحدث. وأنا الشقي لن يكون نصيبي سوى الهجران والإهمال.

حارس الصيد الثاني : أجبني ، من أنت كي تتحدث عن الملوك والملكات ؟

الملك هنري : هل يبدو عليّ أيّ أكثر مما أظاهر به ، وأقل مما يحق لي في الوجود ؟
 فأنا رجل بسيط بالرغم من ظروف ، ولا يسعني أن أكون غير
 ذلك . وهكذا أستطيع كرجل أن أتكلم عن الملوك . ولماذا لا أتكلم
 عنهم ؟

حارس الصيد الثاني : لكنك تتحدث وكأنك ملك .

الملك هنري : أجل يحيل إليّ أيّ ملك ، وهذا يكفيني .

حارس الصيد الثاني : إن كنت حقاً ملكاً ، فأين تاجك ؟

الملك هنري : تاجي في أعماق قلبي ، وليس على رأسي . وهو غير محلي بالملاسات ،

ولا بالأحجار الهندية الكريمة ، وهو غير ظاهر طبعاً للعيان . تاجي
أنا يدعى الاكتفاء والإزعان ، وهو تاج قلماً يحصل عليه الملوك .

حارس الصيد الثاني : إن كنت ملكاً وتاجك الازعان ، فأنت وتاجك عليكما أن
ترعنا وترافقانا . لأنك على ما نعتقد ، أنت الملك السابق الذي خلعه
الملك الجديد ادوارد . ونحن رعاياه ، أقسمنا له يمين الولاء ،
ونعتبرك عدوه .

الملك هنري : أولم يتفق لكم أن تقسموا يميناً وتحثوا به ؟
حارس الصيد الثاني : كلا ، لم نحث أبداً بمثل هذا القسم ، ولن نبدأ اليوم بذلك .
الملك هنري : أين كنت تسكن عندما كنت أنا ملك انكلترا ؟
حارس الصيد الثاني : هنا في هذه البقعة حيث نحن الآن مقيمون .

الملك هنري : لقد تُوجت وأنا في الشهر التاسع من عمري ، وكان أبي
وأجدادي ملوكاً . وأنتم بما أنكم من رعاياي ، أقسمتم يمين الولاء
لي ، فأصدقوني القول ، أولم تخفروا عهدكم لي هذا ؟

حارس الصيد الأول : كلا ، نحن كنا من رعاياك يوم كنت ملكاً .

الملك هنري : ماذا تقول ؟ هل متّ أنا ؟ أولم أعد في عداد الأحياء ؟ أيها الرجال
البسطاء ، أتم لا تدرون بما تقولون وتجدفون . انظروا الى هذه
الريشة التي أزيحها عن وجهي بنفسي ، ونسمة الهواء تعيدها إليّ ،
هي تطيع نفسي ثم تخضع لنسمة أقوى منها . فأسألكم أن لا تحثوا
بعد الآن بيمينكم ، فلا أدينكم على غلطتكم هذه ولا أعتبركم

مذنبين. إذهبوا إلى حيث تشاؤون فأنا الملك أظل الى جانبكم ، أنتم تأمرون وعليّ أنا أن أطيع .

حارس الصيد الأول : نحن من رعايا الملك ادوارد الأوفياء .

الملك هنري : بما أنكم ستلبثون أمناء للملك هنري لو ظل على العرش ، فأين أصبح الملك ادوارد؟

حارس الصيد الأول : ننذرك باسم الله والملك أن تأتي معنا الى القضاء ، الملك همفري : باسم الله ، قودوني ، ولتكن كلمة مليكم مطاعة ، ولينتم ما شاء الله . لأن مليكم سيفقد إرادته ، وأنا أخضع بتواضع لما يملكه (يخرجون) .

المشهد الثاني

في لندن داخل أحد القصور .

يدخل الملك ادوارد وریشار وكلارنس وليدي كراي .

الملك ادوارد (لریشار) : يا أخي ، كلوسستر قتل زوج هذه السيدة ، سير جون كراي ، في موقعة ستلبان ، واستولى المتصر على أملاكه . أما هي فتطلب أن ننصفها ونردّها لممتلكاتها . والعدل لا يجوز لنا أن نرفض طلبها ، لأن زوجها الكريم مات وهو يدافع عن أسرة يورك .
ریشار : يا صاحب السمو ، يجمل بك أن تستجيب طلبها ، إذ من العار أن تهمله .

الملك ادوارد : هذا أمر عادل ، على كل حال سأترث قليلاً .

ريشار (لكلارانس بصوت خافت) : هكذا تفكر اذا ! أرى أن علينا أن نمنح السيدة بعض الحق قبل أن يستجيب الملك طلبها الوضع .

كلارانس (لريشار بصوت خافت) : هو خير بالصيد ، كما هو بارع في قلبه مع الريح .

ريشار (لكلارانس بصوت خافت) : أصمت .

الملك ادوارد : سأدرس طلبك ، أيتها الأرملة . فعودي اليّ قريباً لتعرفي ما أنوي عمله لأجلك .

ليدي كراي : مولاي الكريم ، لا يسعني أن أصبر . فأرجو من سموك أن تتنازل وتعلمني بقرارك منذ الآن ، فأنا مستعدة لقبول مشيئتك بملء الرضى .

ريشار (على حدة) : أجل أيتها الأرملة ، سيرد لك جميع أراضيك إذا وافقت على ما يرضيه . فكوني متبصرة وإلا واجهت بعض المشاكل .

كلارانس (لريشار بصوت خافت) : أنا لا أخشى عليها إلا إذا تعرضت لنكسة .
ريشار (لكلارانس بصوت خافت) : مشيئة الله هي عكس ذلك تماماً ، أما هو فله غاية أخرى .

الملك ادوارد : قولي لي ، كم هو عدد أولادك أيتها الأرملة .
كلارانس (لريشار بصوت خافت) : يحتمل لي أنه يطلب منها أن تنجب ولداً .
ريشار (لكلارانس بصوت خافت) : أنا مستعد لأن أجلد طائعاً إن لم يطلب منها بالأحرى ولدين .

ليدي كراي : بل ثلاثة ، يا مولاي الكريم .

ريشار (على حدة) : سيكون لك أربعة إذا طاوخته .

الملك ادوارد : من المؤسف جداً أن يخسروا أراضي أيهم .

ليدي كراي : اشفق عليهم ، يا مولاي الجليل ، وارجع لهم أملاكهم .

الملك ادوارد : أطلقوا لي حريتي ، أيها اللوردات . فأنا أريد أن أمتحن ذمة هذه الأرملة .

ريشار (على حدة) : أجل أنت حرّ . وبإمكانك أن تستأثر بجميع الحريات حتى يدرك شبابك معنى الحرية ويتركك تتوكأ على عكازين . (ينسحب

كلارانس وريشار جانبا) .

الملك ادوارد : والآن صارحيني يا سيدتي ، هل تحبين أولادك ؟

ليدي كراي : نعم ، أحبهم كنفسي .

الملك ادوارد : وأنت مصممة على التضحية بالكثير لخيرهم .

ليدي كراي : أجل ، لخيرهم . لن أتأخر عن تحمل كل مشقة وتضحية .

الملك ادوارد : إذا استردّي أراضي زوجك لخيرهم .

ليدي كراي : لهذه الغاية أتيت إليك يا صاحب الجلالة .

الملك ادوارد : سأبين لك كيف يتسنى استرداد هذه الأرزاق .

ليدي كراي : بهذا تجعلني أسيرة معروفك ورهن إشارتك الى الأبد يا صاحب السمو .

الملك ادوارد : أية خدمة أنت مستعدة أن تؤدي لي إذا أنا أرجعت لك أرزاقك ؟

ليدي كراي : كل ما تفرضه عليّ ، يا مولاي ، بشرط أن يكون ذلك ضمن حدود إمكانياتي .

الملك ادوارد : ها أنت تعارضين اقتراحي .

ليدي كراي : لا ، لا ، يا مولاي الكريم ، أنا لا أعارض على أي طلب ، إنما أتوه بعجزني عن تلبية رغبتك .

الملك ادوارد : لكنك تستطيعين تلبية طلبي البسيط .

ليدي كراي : إذا سألي ما تأمرني به يا صاحب السيادة .

ريشار (لكلارانس بصوت خافت) : ها هو يضاعف الضغط عليها ، والنقطة الدائمة تثقب الحجر .

كلارانس (لريشار بصوت خافت) : احمرّ وجهه وأضحى كالنار ، ولا بد لهذا الشمع بقربه من أن يذوب .

ليدي كراي (للملك) : لماذا توقف مولاي ؟ أتراه يتردد في مصارحتي برغبته ؟ الملك ادوارد : العمل المطلوب هين جداً ، وهو محبة الملك .

ليدي كراي : طبعاً هذا سهل وواجب ما دمت أنا إحدى رعاياه .

الملك ادوارد : إذا بكل طيبة خاطر ، أردّ لك أراضٍ زوجك .

ليدي كراي : أستاذن مولاي صاحب السموّ ، بالانصراف ، وأنا مستعدة لأن أؤدي له ألف خدمة .

ريشار (على حدة) : ها قد تمّت الصفقة وختمت بتقديم الاكرام والاحترام .

الملك ادوارد : قتي ، يا سيدتي ، هذه براهين حبّ أودّ الحصول عليه .

ليدي كراي : هذه براهين حبّ أودّ أنا أيضاً أن أقدمه للملكي المبجل .

الملك ادوارد : أخشى أن تكوني فهمت الأمر خلافاً لما أعنيه . أي حب تتصورين
أني أبحث عنه وأسعى للحصول عليه بإلحاح ؟

ليدي كراي : جبي لك حتى المات ، وعرفاني المتواضع بجميلك ودعائي لك بالخير
والبركة . هو الحب الذي توصي به الفضيلة وتجد به النخوة .

الملك ادوارد : لا ، لا ، وري . أنا لا أقصد هذا النوع من الحب أبداً .

ليدي كراي : إذاً ، ما تطلبه مني ليس ما أفكر فيه .

الملك ادوارد : إنما يمكنك أن تدركي ما أعنيه .

ليدي كراي : لن تطاوع أبداً لإرادتي ما يحيل إليّ أن سموك تلمح اليه ، إن كنت
أفهم مرادك .

الملك ادوارد : بصراحة أودّ أن أنام بقربك .

ليدي كراي : بصراحة أنا أفضل أن أنام في السجن .

الملك ادوارد : لن تستردي إذاً أرزاق زوجك .

ليدي كراي : ستكون سعادتي هكذا كل إرثي ، لأنني لا أنوي أن أدفع ثمنها
باهظاً .

الملك ادوارد : وبذلك تلحقين بأولادك أفدح الضرر .

ليدي كراي : هكذا أنت تؤذي أولادي يا صاحب السموك كما تؤذي . ألا اعلم يا
مولاي القدير ، أن أفراح المحون لا تتفق مع خطورة طلبي ، فأرجو
أن تنصفني بقولك لي : لا أو نعم .

الملك ادوارد : نعم إذا استجبت طلبي ، ولا إذا رفضت تلييته .

ليدي كراي : فإذا ، ردك يعني لا ، يا مولاي . وهكذا لم يعد من داعٍ لالتماسي .
ريشار (لكلارانس بصوت خافت) : أرى أن الأرملة غير موافقة بتاتاً ، لأنها قطبت
جبينها .

كلارانس (لريشار بصوت خافت) : هذا أحسن رجل عديم اللياقة رأيته في
حياتي .

الملك ادوارد (على حدة) : تصرفها يدل على تمسكها بأهداب الفضيلة ، وحديثها
يوحي نبلاً لا مثيل له ، وجميع هذه الكمالات تشير الى تحليها
بشخصية تجعلها تليق بملك ، وستكون إما محظيتي ، وإما زوجتي .
(بصوت عالٍ) ما قولك إذا اختارك الملك ادوارد ملكة ؟

ليدي كراي : هذا كلام بعيد عن الواقع ، يا مولاي الكريم . لأنني أعرض
للسخرية ولا أستحق أن أكون ملكة .

الملك ادوارد : أيتها الأرملة الفاتنة ، أقسم بشرفي أنني أقول ما أفكر فيه جدياً : أودّ
أن تكوني عشيقتي .

ليدي كراي : هذه رغبة لا يسعني قبولها . فأنا أعرف أنني أقلّ من أن أستحقّ أن
أصبح زوجتك وأكثر من أن أكون محظيتك .

الملك ادوارد : أراك تذهين بعيداً في تفسيرك ، فأنا قصدت بكلامي أن تصبحي
زوجتي .

ليدي كراي : سيصعب على سمّوك أن تسمع أبنائي ينادونك يا والدنا .
الملك ادوارد : لا أكثر من منادة بنائي إياك يا أمنا . أنت أرملة ولك أولاد . وأقسم

لك بحياتي أنا الأعزب ، إن لي أنا أيضاً أولاداً ، ويسرني أن أكون
أب أولاد عديدين . لا تتسرعي في الجواب . ستصبحين زوجتي .

ريشار (لكلارانس بصوت خافت) : أرى الوالد المحترم قد أنهى اعترافه .

الملك ادوارد : تتساءلون يا اخوتي ، عما دار بيننا من حديث .

ريشار (على حدة) : الأرملة ليست مرتاحة أبداً ، لأن موقفها في غاية الخطورة .

الملك ادوارد : أيدعشكم حقاً أن أتزوج ؟

كلارانس : من يا مولاي ؟

الملك ادوارد : أن أتزوجها يا كلارانس .

ريشار : سأظل عشرة أيام غائباً عن الوعي على أثر هذا التصريح العجيب .

كلارانس : إذا سأسبـقك بيوم واحد في استيعابي الحقيقة المدهشة .

ريشار : هل ترى المفاجأة هكذا ضخمة ؟

الملك ادوارد : يمكنكم أن تهزأوا بي يا اخوتي . لكني أؤكد لكم أن طلبها مقبول ،
وأنها ستسترد أملاك زوجها .

يدخل أحد النبلاء .

النبيل : عدوك هنري ، يا مولاي الكريم ، احتجز واقتيد أسيراً الى باب
قصرك .

الملك ادوارد : أرسلوه الى البرج . ونحن أيها الأخوة ، سنذهب الى الرجل الذي
أوقفه . تعالي معنا أيتها الأرملة . أرجو أن تحيطها بكل العطف
والرعاية (يخرج الملك ادوارد وليدي كراي وكلارانس والنبيل) .

ريشار (وحده) : أجل ، ادوارد ينظر بعطف ورعاية الى جميع النساء . وأنا أودّ أن يستنفد كل قواه حتى نخاع عظمه حتى لا يتسنى له أن ينجب أي ولد بمثل حيويته قادر على قطع الطريق الذهبي الذي أتوق الى سلوكه . على كل حال بين هدف عاطفتي ورغبتني ، بعد دفن ملكية ادوارد الاباحي ، يوجد أمامي كلارانس . فإن هنري وابنه الشاب ادوارد وجميع ذريتهم غير المعروفة الآن باستطاعتهم أن يسبقوني في هذا المضمار . وهذه الفكرة تشلّ طموحي . لذا تراني لا أحلم إلا بالسيادة نظير رجل واقف على شرفة يبصر منها الشاطئ الرملي الذي تطأه قدماه ويتمنى أن تكون نسبة خطواته بسعة المساحة التي يقع نظره عليها ، ويلعن المحيط الذي يفصله عن هذا الهدف ، وهو يقول في سره انه سيجفف البحر ليشقّ لنفسه ممراً الى مأربه . فأنا أتوق الى وضع التاج على رأسي مهما كان بعيد المئال . وهكذا ألعن المعرقلين الذين يفصلونني عنه . لذلك أريد أن أزيل كل العقبات والعوائق التي تقف في وجهي ، وأنوي أن أفعل المستحيل في هذا السبيل . ان نظري حادّ ، وقلبي صامد ، وقوتي وزندي ليسا في المستوى المرغوب . فإذا افترضنا ان العرش ليس من نصيبي أنا ريشار ، فأية لذة في العالم تستهويني للتعويض لي عنه . هل يمكنني أن ألقى اللجنة في أحضان امرأة ، وأن أزيّن شخصي بأروع المجوهرات ، وأن أسحر أجمل الحسنات بحلو حديثي وثاقب نظري . هذه فكرة جهنمية يصعب تحقيقها أكثر من الاستيلاء على عشرين تاج من ذهب . لقد جفاني الحب منذ تكويني في بطن أمي ، بوضع يخالف قانون الطبيعة فعاندتني الأقدار الجائرة التي لا

ترحم وأعطيني عن طريق الشلل إذ جففت ذراعي كشجيرة يابسة
 ووضعت جبلاً قبيحاً على ظهري وللإمعان في مسخي علاوة على
 كونني أحذب ، جعلت رجلي غير متوازيتين في الطول وخصت
 جسمي بهيئة غير منسجمة كأني هيولي ، أو بالحري كأني دب لم
 تلحسه أمه جيداً . فهل أنا كرجل مشوه أستحق أن أكون محبوباً ؟
 يا لها من غلطة فظيعة أن أقتبل مثل هذه الفكرة المبتورة . فما أن هذه
 الأرض لا تمنحني سوى بهجة القيادة والتحكم والسيطرة على من
 هم أحسن مني منظراً ، انحصرت جنتي في حلمي بالجلوس على
 العرش . وطوال عمري كان هذا العالم في نظري جحيماً لا يطاق ،
 لأن مشوهاً مثلي له رأس كراسي لن يكتب له أن يحمل تاجاً مرصعاً
 بالأحجار الكريمة التي لا تقدر بثمن . مع ذلك لست أدري كيف
 أحصل على هذا التاج . لأن أشخاصاً عديدين يفتقون حائلاً دون
 وصولي الى تحقيق أمنيته هذه . وأنا كالرجل الضائع في مناهة كلها
 أشواك ، لا أكاد أقتلع شوكه حتى تخزني شوكه أخرى وتمزق
 جلدي ، وأبحث أنا المهائم عن طريق لا أهتمي اليه ، ولا أدري
 كيف السبيل الى بلوغه ، رغم كل ما يرهقني به جهدي في
 الاستيلاء على تاج انكلترا . غير أنني أنوي أن أخلص من هذا
 العذاب وأن أمهد دربي بفأس دامية . إذ يمكنني أن أبتهج وأن أقتل
 والبسمة مرتسمة على ثغري . فأصفق فرحاً لما ينخر قلبي من الأسى
 وما يبئل وجنتي من دموع مصطنعة وأن أطبع قسماً وجهي بما
 يلائم كل مناسبة . أنا قادر على إغراق عدد من البحارة أكثر مما
 تستطيع عرائس البحر ، وعلى تسديد أنظار قاتلة أفنك من أنياب

الغول وعلى إلقاء خطب أبلغ من فصاحة نسطور وعلى الخداع بفنّ
أمهر من بطل الأسطورة أوليس ، وعلى السيطرة نظير سينون على
طروادة أخرى وعلى استعارة ألوان الحرباء وعلى تبديل سحنة
بروطيوس وعلى ارسال ألف مكيفيل شرس الى الجحيم . أنا قادر
على عمل كل هذا ولن يتاح لي الوصول الى اغتصاب أي عرش .
حتى إن كان هذا المطلب أبعد منالاً ، سأمدّ اليه يدي وأستولي
عليه . (يخرج) .

المشهد الثالث

في فرنسا داخل احد القصور

تسمع موسيقى . يدخل الملك لويس الفرنسي والسيدة بون مع حاشيتهما
يجلس الملك على عرشه ، ثم تدخل الملكة مرغريت وابنها امير ويلز وكونت
اوكسفورد .

الملك لويس (وهو ينهض) : يا ملكة انكلترا الجميلة النبيلة ، مرغريت . اجلسي بقربي
اذ لا يليق بمقامك الرفيع ولا بمحتدك السامي . أن تظلي واقفة عندما
أكون أنا الملك لويس جالساً .

الملكة مرغريت : لا ، يا ملك فرنسا القدير ، من الآن وصاعداً ، عليّ أنا الملكة
مرغريت أن لا أرفع علمي عالياً وأن أتعلم أن أخدم حيث يأمر
الملوك . عليّ أن اعترف بأنني كنت ملكة البيون العظيمة في عهد
ذهبي قد ولّى . لكنني بت الآن تعيسة بعد أن زال ما كان لي من

سلطة وانهارت مكاتي بخساسة. عليّ اذاً أن اسير وضعي الجديد الخائب وأن ألزم حد حظي الوضع العاثر.

الملك لويس : لكن قل لي ايها الملكة الحسنة ، ماذا دفعك الى كل هذا اليأس ؟

الملكة مرغريت : الكارثة التي تملأ مآقي دموعاً وتختق صوتي في حنجرتي ، بينا قلبي يتخبط في لجج الهموم.

الملك لويس : مهما جرى لك ، عليك أن تمالك نفسك. فاجلسي الى جانبي (يجلسها بقره). ولا تحني رأسك هكذا تحت نير الحظ العاثر ، بل رفرقي باجنحة روحك المتصرة فوق كل الولايات. اشرحي لي ما بك ايها الملكة مرغريت وابسطي امامي جميع همومك فلا بد لها من أن تنفرج اذا كانت فرنسا قادرة على معالجتها.

الملكة مرغريت : حديثك الحلو المشجع يحبي امالي المنهارة ، ويعيد النطق الى جرائي وقد اخرستها آلام المصائب. الا اعلم ، يا مولاي لويس النبيل ، ان هنري مالك قلبي الوحيد ، كان ملكاً واصبح الآن طريداً مضطراً الى العيش متوارياً مهجراً في اسكتلندا بينما الوقع المتخطر ادوارد دوق يورك اغتصب لقبه الملكي وعرشه وازال عنه ما مسحه به السيد من زيت الملوك الشرعيين على عرش انكلترا. هذا ما جئت انا الملكة مرغريت المسكينه وابني الأمير ادوارد الحاضر ها هنا وهو وريث هنري الشرعي ، لالتماسه منك كي تتصفنا وتساندنا في استرجاع حقنا الشرعي السليب ، وبغير هذا الموقف من قبلك سيفضي كل أملنا في هذا المجال. اسكتلندا ترغب في مساعدتنا ولا

تملك الامكانية اللازمة . وهكذا ضاع شعبنا ونوابنا وانتزعت اموالنا
منا عنوةً وشرّد جنودنا ، وها نحن بين يديك في حالة يرثى لها .
الملك لويس : ايها الملكة اللامعة ، قابلي العاصفة بصبر ريثما نفكر وندبر لك وسيلة
لازالة محتك وتفريج كربتك .

الملكة مرغريت :كلما تأخر حلّ مشاكلنا ، كلما ازدادت قوة خصمنا .
الملك لويس : بل كلما اجلّت معالجة قضيتك كلما قويت نجدي لك .
الملكة مرغريت :لا تنسَ ، يا مولاي ، ان قلة الصبر حليقة العذاب الحقيقي . وهذا
بالذات سبب شقائي .
يدخل ورويك وحاشيته .

الملك لويس : من هو القادم يمثل هذه الجسارة الى مقرنا .
الملكة مرغريت : هذا هو كونت ورويك أخلص اصدقاء الملك ادوارد .
الملك لويس : اهلاً ومرحباً بك يا ورويك الشجاع . ماذا جاء بك الى فرنسا؟
(يتزل عن عرشه وتقف الملكة مرغريت).

الملكة مرغريت (على حدة): نعم ، أرى عاصفة جديدة مقبلة لأن هذا الرجل
يتحكم بالرياح والامواج .

ورويك : أنا قادم من قبل النبيل ادوارد ملك أليون ، مولاي وصديقك
المخلص ، مزوداً بأصدق مودته القلبية ، أولاً لأحيي شخصك
الملكي ، ثم لأطلب منك عقد معاهدة تحالف ، ولتوطيد هذا
الاتفاق بوثاق الزواج اذا تنازلت ومنحت السيدة بون الفاضلة
شقيقتك الفاتنة كزوجة شرعية لملك انكلترا .

الملكة مرغريت (على حدة) : اذا نجح هذا المسعى ، قضي على آمال هنري .
 ورويك (لبون) : والآن يا سيدتي الكريمة ، باسم ملكنا ، انا مكلف ، اذا تكرمت
 وسمحت ، ان اقبل بكل تواضع يدك الناعمة وأن اعبر لك بصوتي
 عن اشواق قلبه النبيل حيث وضعت شهرتك التي تطبق الآفاق ،
 رسم جمالك وفضيلتك في أعز مكان .

الملكة مرغريت : أيها الملك لويس ، وأنت يا سيدتي بون ، أرجو أن تستمعا إليّ
 قبل استجابة طلب ورويك . رغبة ادوارد ليست وليدة حب
 نزيه شريف بل ابنة سياسة ودهاء وتطول . لأنه يشبه الطغاة الذين
 لا يتسنى لهم ان يحكموا حتماً بأمان داخل البلاد اذا لم يؤمنوا لهم
 حلفاء في خارجها . ولا ثبات طغيانه ، يكفي ان يكون هنري لا يزال
 حياً . حتى إن مات فأماننا الأمير ادوارد ابن الملك هنري . أحرص
 اذاً يا لويس على أن لا تجلب على نفسك الخطر والعار بتحالفك في
 مثل هذا الزواج . لأن المغتصبين قادرون على سلب الحكم بعض
 الوقت ، لكن السماء العادلة والزمن المنصف كفيلا بتبديد كل
 ظلم واستبداد .

ورويك : تباً لك من وقحة يا مرغريت .

امير ويلز : ولماذا لا تعتبرها ملكة ؟

ورويك : لأن والدك هنري مغتصب ، وأنت لم تعد اميراً أكثر مما هي ملكة .

اوكسفورد : هكذا أزيل من الوجود حثاً دي غان الكبير الذي أخضع الجزء
 الأكبر من اسبانيا . وبعد حثاً دي غان أتى هنري الرابع الذي كان
 بحكمته مرآة لأكثر العقلاء رصانة . وبعد هذا الامير أتى هنري

الخامس الذي احتل بجرأته وشجاعته كل ارجاء فرنسا . وهنري الذي نتكلم عنه هو سليل هؤلاء النبلاء .

ورويك : كيف أمكنك ، يا اوكسفورد ، أن لا تشرح لنا في هذا الخطاب المعسول اسباب خسارة هنري السادس كل ما ربحه هنري الخامس ؟ هكذا كنت أضحكك علينا شجرة المواليد التي تعاقبت مدة اثنتين وستين سنة . وفي هذه الأثناء لم تسرد لنا أي جديد عن المملكة .

اوكسفورد : كيف تتكلم بهذه اللهجة يا ورويك عن مليكك الذي خضعت له طوال ست وثلاثين سنة بدون أن تبوح بخيانتك أو يحمر وجهك خجلاً منها ؟

ورويك : هل يستطيع يا أوكسفورد ، هو الذي دافع دائماً عن الحق أن يكتشف أكاذيب هذا التسلسل الملكي . ولو من قبيل الحياء ، عليك أن تترك هنري هنا وتعترف بادوارد كملك .

اوكسفورد : تريدني ان اعترف بسلطة من أهْلَكَ ، بقراره الجائر ، أخي البكر لورد اوبري فيري . ماذا أقول ؟ أهْلَكَ أبي حين مالت شمسهُ نحو المغيب وأضحى على حافة قبره . لا ، يا ورويك ، لا . ما دام في عرق ينبض بالحياة سأظل اساند بسواعدي أسرة لنكاستر . ورويك : وأنا سأناصر اسرة يورك .

الملك لويس : ايتها الملكة مرغريت ، ويا أيها الامير ادوارد وأنت يا أوكسفورد ، أرجو منكم أن تتنحوا جانباً بعض الوقت ، وأن تدعوني اتابع حديثي مع ورويك .

الملكة مرغريت : أسأل الله أن لا تسحره كلمات ورويك (تسحب جانباً مع الامير واوكسفورد).

الملك لويس : والآن يا ورويك ، قل لي بصراحة وضمير حيّ ، هل تعتبر ادوارد ملكك الشرعي ؟ لأنني آبي أن أرتبط بأمر غير شرعي .

ورويك : أؤكد لك شرعيتي ، بشرفي وعلى ذمة سمعتي .
الملك لويس : وهل هو حائر على رضى الشعب ؟

ورويك : اجل ، بقدر ما لم يكن هنري سعيداً في حياته .

الملك لويس : لي كلمة اخرى . وبعيداً عن كل تورية ، قل لي بصدق ، كم هو مبلغ حبه لشقيقي بون ؟

ورويك : عاطفته تليق بملك مثله . لقد سمعته انا بنفسه يؤكد ويقسم بأن حبه خالد ، عميق الجنور في تربة الفضيلة التي تضاعف الاوراق والثمار تحت شمس جماها الفاتن الذي يكره النبذ ويتصدى للازدراء اذا لم تبادل له السيدة بون شعوره .

الملك لويس : والآن يا أختاه ، ما هو قرارك النهائي ؟

بون : القبول أو الرفض ، حسب جوابك ، هو قراري ، (لورويك) مع ذلك أقرّ بأنني سمعته يفاخر باستحقاقات ملكك ، فالت اذني الى استلطافة ، والاذن تعشق قبل العين احياناً .

الملك لويس : اذاً أليك ، يا ورويك ، جواي : ستكون اختي زوجة ادوارد . وحالاً سننظم العقد الذي نحدّد فيه ما سيدفعه لها ملكك كحق بنسبة البائنة التي ستقدمها هي له . اقتربي ايها الملكة مرغريت ، وكوني شاهدة على ان السيدة بون اوضحت خطية ملك انكلترا .

امير ويلز : خطيبة ادوارد ، لا ملك انكلترا .

الملكة مرغريت : ما أبرعك يا ورويك . استنبطت هذه المحالفة لتسقط حتي بما اطلبه . فقبل بجيئك كان لوس صديق هنري .

الملك لويس : لا أزال صديقه كما أنا صديقك ، يا مرغريت . لكن ما حيلتي اذا كانت حقوقكم بالعرش ضعيفة كما تدل عليه بوادرنجاح ادوارد . فالعدل يعني من منح المساعدة التي وعدتك بها . مع ذلك سأحفظ لكم كل الاكرام والاحترام الذي يحق لكم بموجب مقامكم وسمو حسيكم .

ورويك : هنري يعيش الآن في اسكتلندا راضياً . وبما أنه لا يملك شيئاً فلن يخسر شيئاً . اما أنت بصفتك ملكة سابقة ، فان والدك قادر في الوقت الحاضر ، ويمكنك أن تكوني على عاتقه أكثر مما على عاتق ملك فرنسا .

الملكة مرغريت : اسكت ، يا ورويك الوقح . اسكت يا متعجرف ، يا هدام عروش الملوك . لن أرحل من هنا إلا ودموعي الصادقة تتحدى بحضور الملك لويس ، مكيدتك الدنيئة وحبك الكاذب لسيدك ، لأنكما عصفوران غريان من فصيلة واحدة شاردة (يسمع صوت نفير) .

الملك لويس : هذه رسالة عاجلة لا أدري اذا كانت لي أو لك .

يدخل ساعي البريد

ساعي البريد (لورويك) : يا مولاي السفير ، هذه الرسالة موجهة اليك من قبل اخيك مركيز مونتيكو . (للملك لويس) وهذه لجلالتك من قبل

مليكتنا. (للملكة مرغريت) وهذه أيضاً لك يا سيدتي ، ولا أعلم من قبل من. (يقرأ كل واحد منهم رسالته).

او كسفورد : يسرني أن أرى ان ملكتنا الجميلة وسيدتنا تبسم لهذه الأنباء ، وأن تبتلو على محيا ورويك امارات الامتعاظ والقلق.

امير ويلز : لكن ، انظر كيف يضرب لويس الأرض بقدمه كأن حشرة عقصته بشدة. أمل أن تسير الامور على ما يرام.

الملك لويس : ماذا وردك من أنباء ، يا ورويك ؟

الملكة مرغريت : أنبائي تملأ قلبي حبوراً غير منتظر.

ورويك : أما أنبائي أنا فلا تجيئني إلا بالغم والازعاج.

الملك لويس : ماذا تقول ؟ عليك تزوج ليدي كراي ؟ والآن يريد أن يصلح خزيه وسوء تصرفه ، فأرسل معي هذه الورقة يدعوني فيها الى التروي والاصطبار. أهذه هي المحالفة التي يسعى اليها مع فرنسا ؟ أو بلغت به الجسارة الى حد الهزء بي على هذه الصورة الوقحة ؟

الملكة مرغريت : لقد نهت جلالتك الى كل هذا ، وهو أسطع دليل على حب ادوارد ، وعلى شرف ورويك.

ورويك : ايها الملك لويس ، أنا احتج فوراً امام الجميع ، وعلى أمل أن يكون لي نصيب في السعادة الدائمة ، أؤكد لك أنني بريء من تصرف ادوارد غير اللائق . وهو لم يعد ملكي ، لأنه ألحق بي العار والحجل الذي لا بد من أن ينوبه هو أيضاً لو تسنى له أن يلرك دناءته . لم أنس أن أسرة يورك سيبت موت والدي المبكر ، ورغم أنني

غضضت الطرف عن الالهانة التي لحقت بابنة اخي ، قد كَلَّت رأس ادوارد بالتاج الملكي ، بعد أن جردت هنري من كل حقوقه الشرعية. فاذا بي أكافأ أخيراً بهذا التحقير المشين. ستكون الحقارة من نصيبه هو. لأن حقي بالشرف لا ينازعني اياه أحد. ولكي اعوض عما ألحقه بكرامتي من إهانة ، أنا أنكره هنا علناً ، وأعود الى مناصرة هنري. فيا مليكتي النبيلة ، لننسَ حزازاتنا الماضية ، ومن الآن وصاعداً ، انا خادم جلالتك الأمين. اريد أن انتقم أيضاً لما لحق بالسيدة بون من اهانة واعيد للملك هنري سلطته السابقة.

الملكة مرغريت : هذا الكلام ، يا ورويك ، قلب حقدى الى محبة. فأنا أغفر اساءتك وأنسى كل الأخطاء القديمة وأبتهج بعودتك الى الصداقة التي كنت تحفظها للملك هنري.

ورويك : أجل بالطبع انا صديقه الوفي ، اذا تنازل الملك لويس الى تأمين عدد من نخبة الجنود ليساعدونا على انزال الطاغية عن العرش بالقوة. اذ لا يسع العروس إسعافه في هذه المحنة. اما كلارانس ، حسب ما جاء في الرسالة ، فربما تخلى عن أخيه بعد هذا الزواج الذي اوحى بعقده اهواؤه وشهواته ، بالرغم من الشرف والعظمة والامان المتوفرة في بلدنا.

بون : ياأخي الحبيب كيف يمكنك أن تتأثر لأختك بطريقة أفضل من المبادرة الى مساعدة هذه الملكة المتكوبة؟

الملكة مرغريت : ايها الأمير الشهم ، كيف يعيش الملك هنري اذا لم تنتشله من يأسه القاتل؟

بون : ان قضيتي وقضية ملكة انكلترا هما عندي قضية واحدة.

ورويك : وقضيتي ، يا سيدتي الحلوة بون ، تشبه قضيتكم .

الملك لويس (لورويك) : وقضيتي وقضيتك وقضية بون وقضية مرغريت جميعها تهمني كثيراً . ولذلك صممت على مدكم بكل عون ومساعدة .

الملكة مرغريت : دعني اشكرك جزيل الشكر بتواضع على حسن نيتك ، يا مولاي .

الملك لويس : يا ساعي البريد ، عد الى انكلترا وقل حالاً للخبيث ادوارد ملكيك أن لويس فرنسا سيرسل له اقنعة ليشارك في الرقص معه ومع عروسه . ألا ترى أن ما حدث سيرتجف له الملك حين تروي له تفاصيله ؟

بون : قل له أنني اتوقع أن يترمل قريباً . سأطوق عني ، لهذه المناسبة ، بعقد من الزهور النضرة .

ورويك : قل له من جهتي أنه بادرني بتصرف غير مشرف ، ولكي أثار لنفسي سأنتزع التاج عن رأسه بأقرب فرصة . خذ هذا مكافأة لك ، واذهب (يخرج ساعي البريد) .

الملك لويس : يا ورويك ، ويا أوكسفورد ، مع خمسة آلاف رجل ستجتازون البحار وتشبكون في معركة ضارية للقضاء على ادوارد المخادع . ثم عندما يحين الأوان ستلتحق بكم هذه الملكة النبيلة ومعها الامير الشهم بصحبة مدد جديد . مع ذلك ، قبل الرحيل ، أسألك أن تزيل عني بعض الغموض وتقول لي : ما هي الضمانة التي تقدمها لي لاثبات امانتك ؟

ورويك : اليك البرهان القاطع على وفائي الأكيد : اذا كانت ملكتنا وهذا الامير الشاب يوافقان ، اربط بينه حالاً بوثاق الزواج وبين ابنتي الكبرى التي اعتبرها فرصة عمري.

الملكة مرغريت : أجل انا موافقة ، واشكرك على شعورك. يا ابني ادوارد ، هي جميلة وفاضلة ، فلا تردد في مدّ يدك الى ورويك ، ومع يدك قدّم له تعهداً بأن لا يكون لك امرأة غير ابنته الرائعة.

امير ويلز : نعم ، أرضى بها لأنها تستحق ذلك ، وعربوناً على حسن نيتي هاك يدي. (يمد يده الى ورويك).

الملك لويس : ماذا تنتظر الآن ؟ هيا. سيزحف هؤلاء الجنود ، وأنت يا مولاي بوربون أميرنا الكبير ستقلهم في اسطولك الملكي. يصعب علي أن يزوج ادوارد تحت وقرويلات الحرب. وفي سبيل نجاته اعرض على سيدة فرنسية هذا الزواج الباهت. (يخرج الجميع ما عدا ورويك).

ورويك : لقد جئت كسفير ادوارد. لكنني انقلبت واضحيت ألد اعدائه. فلقد كلفني بمهمة في عقد زواج ، وسيكون جوابي على هذا الطلب حرباً شعواء اشنها عليه. إن كنت الوحيد الذي اعتبرني خيلاً في صحراء ، سأعرف أنا وحدي كيف احول مهزلة الى عذاب أليم. كنت العامل الأهم في رفعه الى سدة الملك ، وسأكون العامل الأهم أيضاً على دحرجته عنها ، لا لأنني أشفق على بؤس هنري ، بل لأنني أريد أن أنتقم وأثار لنفسي لقاء الإهانة التي ألحقها بين ادوارد هكذا. (يخرج).

الفصل الرابع

المشهد الأول

لندن ، في أحد القصور

يدخل ريشار وكلارانس وسومرست وموتيكو وغيرهم .

ريشار : قل لي يا أخي كلارانس ، ما رأيك في هذا الزواج الجديد بليدي كراي ؟ ألم يكن اختيار اخينا لانقاً ؟

كلارانس : يا للأسف ! ألا ترى أن المسافة بعيدة بين هذا المكان وفرنسا ؟ كيف استطاع أن لا ينتظر رجوع ورويك .

سومرست : كفّ يا مولاي عن هذا الحديث . فهذا قد اقبل الملك .

تسمع موسيقى . يدخل الملك ادوارد وحاشيته ثم ليدي كراي وقد أصبحت الملكة اليزابيث ، وبمبوك وستافورد وهاستيكس وغيرهم .

ريشار : ومعه رفيقته الرفيعة المقام .

كلارانس : كم أود أن اعبرّ له عن فكري .

الملك ادوارد : ما رأيك يا أخي كلارانس في أمر اختياري هذا ؟ اراك كثير التفكير وألاحظ عليك أنك لست مرتاحاً كل الارتياح .

كلارانس : رأيي مطابق لما قاله الملك لويس الفرنسي وكونت ورويك اللذان لا يمتازان بالشجاعة الكافية ولا يودان مجابهتنا في هذا الموضوع .

الملك ادوارد : لنفرض أنها انزعجا بدون حق ، فانهما يظلان لويس وورويك ، ولا بد من أن تم مشيتي .

ريشار : يجب أن تم لأنك مليكنا . على كل حال ، لا ننس أن الزواج العاجل قلما يكون ناجحاً .

الملك ادوارد : أجل ، يا أخي ريشار ، أنت أيضاً مغناظ ؟

ريشار : انا ، لا ، لا . لا سمح الله أن أرضى بتفريق ما جمعه الله ، ومن الحيف أن يفترق من اجتمعوا على أساس الانسجام .

الملك ادوارد : لنضع جانباً خلافاتكم وقلة تفاهمكم ، وقل لي لأي سبب لا يجعل بليدي كراي أن تصبح زوجتي وملكة انكلترا ؟ وأنت أيضاً يا سومرست ، ويا مونتيكو قولاً لي بصراحة ما هو رأيكما ؟

كلارانس : رأيي أنك اكتسبت عداوة الملك لويس بسبب هزتك باقتران جلالتك بالسيدة بون .

ريشار : ثم أن ورويك الذي سعى الى تحقيق ما طلبته منه يرى أن عدم تحقيق هذا الزواج قلل مهابته .

الملك ادوارد : واذا توصلت انا الى ارضاء لويس وورويك بوسيلة من ابتكاراتي ؟ مونتيكو : هذا لا يهم . لأن هذا الزواج كان قوى علاقاتنا بفرنسا ووطد أركان أمبراطوريتنا في وجه العواصف الخارجية بشكل أمتن مما يؤمنه لنا زواج من داخل البلاد .

هاستينكس : ما هذه الحجة ؟ أولاً يدري مونتيكو أن انكلترا بوسائلها الخاصة هي في مأمن من كل خطر طالما هي وقيّة لنفسها ؟

مونتيكو: لكنها تكون في مأمن أفضل عندما تحصل على مساندة فرنسا.

هاستنكس: الأولى أن نسيطر على فرنسا لا. أن نلتي انكالتنا عليها. فلتشكل على الله وعلى البحر الذي يحميننا كحاجز منيع ، وعند الحاجة نجد فيها خير مدافع وخير معين ، فيها وبهمتنا ، علينا أن نصون سلامنا.

كلارانس: بهذا الكلام فقط يستحق لورد هاستينكس حصوله على وريثة لورد هنكرفورد.

الملك ادوارد: وبعد ذلك؟ يسرني أن امنحه اياها. وفي هذه المسألة يمكن اعتبار كلامي بمثابة قانون.

ريشار: مع ذلك ، اعتقد بأنك يا صاحب الجلالة ، احسنت صنعاً باعطائك الوريثة للورد سكايل شقيق زوجتك الحبيبة. كانت تليق أكثر بكلارانس أو بي أنا ، لكنك دفنت حبك الاخوي لصالح زوجتك.

كلارانس: وإلا لما وافقت على تخصيص وريثة لورد بونفيل بابن زوجتك الجديدة وتركت اخوتك يبحثون عن نصيبهم في جهة أخرى.

الملك ادوارد: يا للأسف ، يا كلارانس المسكين. الأجل امرأة تحتق؟ هيا سأساعدك على الوصول الى مبتغاك.

كلارانس: عندما اخترت لنفسك زوجة ، أظهرت تبصراً قل نظيره ، وعليه أرجو أن تسمح لي بتدبير شؤوني بنفسي. وعلى هذا الأساس ، أود أن اغادرك قريباً.

الملك ادوارد: ان بقيت الى جانبي او غادرتي ، سأصبح مليكاً ولن تلين عزيمتي امام أي أخ.

الملكة اليزابيت : يا مولاي ، قبل أن يطيب لجلالتك أن ترفعني الى مقام الملكة ، وجميعكم موافقون على أن تروا هذا عادلاً ، لم أكن وضبعة النسب . وكم من النساء ممن هن أدنى مني حساباً ، حالفهن الحظ نظيري . انما إن كان هذا الارتقاء يشرفني ، ويشرف اسرتي ، فان الكراهية التي تظهرونها لي ، اتم الذين اود أن ارضيكم ، تنشر على سعادتي غيمة من الاخطار والاحزان .

الملك ادوارد : يا حبيتي ، لا تتنازلي الى دغدغة عدائهم . اية مخاطر وأية احزان يمكنها أن تنال منك ، ما دمت انا ادوارد صديقك ومليكك الشرعي الذي يدين له الجميع بالطاعة والولاء ؟ أجل عليهم ، أن يطيعوني وأن يحبك ، ان لم يريدوا اكتساب بغضي . واذا تعرضوا اليه ، ساعرف كيف ادافع عنك ، وسيواجهون انتقام غضبي .

ريشار (على حدة) : أنا اسمع بدون أن احري جواباً ، فهذا ما افكر به أنا أيضاً بدخل رسول

الملك ادوارد : ما وراءك ، أيها الرسول ؟ بأية انباء وبأية رسائل تأتينا من فرنسا ؟ الرسول : لا رسائل ، يا مولاي الملك . انما فقط بعض الكلام الذي لا يسعني أن أفصي به الى جلالتك ، الا إذا منحتني سماحك الخاص .

الملك ادوارد : هيا قل ، انا اسمح لك ، وبدون تأخير قل لي هذا الكلام بأمانة على قدر ما تحفظه ذاكرتك . ما هو جواب الملك لويس على رسالتي ؟

الرسول : ها هي الكلمات التي سمعتها حرفياً عند مجيئي : اذهب وقل للملك الحثيث ادوارد ، ان لويس ملك فرنسا سيرسل له اقنعة لكي يشترك في الرقص هو وزوجته الجديدة .

الملك ادوارد : هل أصبح لويس وقحاً الى هذه الدرجة ؟ اراه يظنني نظير هنري ؟
لكن ، ماذا قالت السيدة بون عن زواجي ؟

الرسول : اليك بما قالته يا مولاي بلهجة هادئة ساخرة : قل له أني ، بمناسبة
ترملته قريباً ، سأضع في عتي لهذه المناسبة عقداً من الازهار النضرة .

الملك ادوارد : انا لا ألومها إذ لا يسعها أن تقول اقل من هذا ، ما دامت هي التي
اغتاظت . لكن ، ماذا قالت زوجة هنري ؟ لأني علمت انها كانت
حاضرة .

الرسول : لقد صاحت : قل له ان الثياب التي ارتديها للحداد موضوعة
جانباً ، وأني مستعدة لارتداء درعي .

الملك ادوارد : يظهر انها تريد أن تتسلق بركوب الخيل . وماذا كان ردّ ورويك على
هذه الاهانات ؟

الرسول : هو مستاء أكثر منهم جميعاً من أقوال جلالتك ، لأنه صرقي بهذه
العبارة : بلغه من قبلي انه حقّرني ، ولقاء استهّاره بي سأسعى لترع
التاج عن رأسه في اقرب مناسبة .

الملك ادوارد : تيّاً له من خائن تجاسر على توجيه مثل هذا الكلام القبيح لشخصي .
ها أنا على حذر وسأتسلح لمحاربته ، وسيدفعون جميعهم غالياً ثمن
شموخهم هذا وتمردهم على مشيئتي . لكن اخبرني ، هل تصالح
ورويك ومرغريت ؟

الرسول : نعم ، يا صاحب الجلالة . أضحت الصداقة تربط بينهما الى حد ان
الأمير ادوارد الشاب سيتزوج ابنة ورويك .

كلارانس : على الأرجح الابنة الكبرى ، على أن أحظى أنا كلارانس بالصغرى . فالوداع يا أخي الملك ، وما عليك الا الصمود لأنني عازم على طلب يد ابنة ورويك . واذا لم أحصل على العرش بهذا الزواج ، على الأقل أكون أقرب الناس اليك . فمن يحبني ويحب ورويك يتبعني . (يخرج كلارانس ويتبعه سومرست) .

الملك ادوارد : ذهب كلارانس وسومرست ليلحقا بورويك . هذا لا يهمني لأنني مستعد لمواجهة أسوأ الاحتمالات ، انما علي أن استعجل الامور في هذه الوضعية اليائسة . يا مبروك ويا ستافورد اذهبا واجمعا باسمي كل رجالنا وسلحاهم للقتال ، لأن اخصامنا لا يلبثون أن يحلوا في ديارنا إن لم يكونوا قد أقبلوا . وسألحق بكم حالاً . (يخرج مبروك وستافورد) . لكن قبل أن أمضي . يا هاستينكس ، وأنت يا موتيكو ، أزيلا عني هذا الشك . انما بنوع خاص مقربان الى ورويك بالنسب وبالزواج . فقولوا لي بصراحة إن كنتما تحبان ورويك أكثر مني . فإذا كان هذا حالكما يمكنكما أن تلحقا به . فاني أفضل ان اعتبركما كأعدائي أكثر من صديقين مريبين . اما اذا صممتما على البقاء وفين وخاضعين لي ، فطمثاني واقسم لي بأنكما ستحافظان على مودتي . وهكذا لا يخامرنني أي ريب من ناحيتكما .

موتيكو : لا وقائي الله شراً ، إن لم أظل مخلصاً لك .

هاستينكس : وكذلك أنا ، ان لم أدافع عن قضيتك ، يا مولاي ادوارد .

الملك ادوارد : وأنت يا أخي ريشار هل تبقى الى جانبي ؟

ريشار : اجل بالرغم من جميع من ينحازون الى خصمك .

الملك ادوارد : حسناً. اذاً أنا واثق من الانتصار. والآن هيا بنا نبتعد من هنا بدون أن نضيع ساعة من الزمن ، اذ لا بد لنا من مواجهة ورويك وجيشه الغريب . (يخرجون).

المشهد الثاني

في سهل من مقاطعة ورويك شاير

يدخل ورويك وأوكسفورد مع فصائل فرنسية وغيرها.
 ورويك : صدقي . يا مولاي ، كل شيء حتى الآن يسير على ما يرام ،
 والشعب بأكمله ينضم إلينا.
 يدخل كلارانس وسومرست.
 ها هما سومرست وكلارانس قد أقبلا. أجبيا يا سادة. بأننا جميعاً
 أصدقاء.

كلارانس : بدون شك يا مولاي.
 ورويك : أهلاً بك يا كلارانس الكريم ومرحباً بك بجواري ، وأنت أيضاً يا
 سومرست أنا أعتبر نفسي جباناً إن شككت بكما ، لأنكما مددتما
 يدكما إليّ بقلب نبيل دلالة على التمسك بصدقي. وإلا اعتبرت أن
 كلارانس شقيق ادوارد لا يحبّد موقفي الحالي. مهما كان الأمر ، أهلاً
 بك يا عزيزي كلارانس ، فأنا أمنحك ابتي. والآن هيا الى العمل
 ولنغتنم فرصة عتمة الليل لأن أخاك خيم بدون ترتيب ليس بعيداً
 من هنا ، وجنوده متفرقون في المدن المجاورة ، وهو شخصياً لا تخميه

إلا فرقة صغيرة من الجنود. لذلك نستطيع مهاجمته وأسرره بسهولة ، لا سيما أن جواسيسنا وجدوا المغامرة هينة. وكما تسلل البطل أوليس والشجاع ديوماد ، ببسالة وبراعة الى خيم ريزوس واصطحبا معها في العودة رسل تراقيا ، هكذا نقتنم فرصة ظلام الليل لكي نهجم بغتة حرس ادوارد ونمسك به هو شخصياً بدون أن نقتله ، لأنني لا أريد سوى مفاجأته. فيا من تريدون أن تتبعوني في هذه المهمة اهتفوا مع رئيسكم بحياة هنري. (يهتف الجميع : يحيا هنري) والآن هيا نتقدم بصمت. فالله وشفيعنا جاورجيوس يحميان ورويك ورجاله (يخرجون).

المشهد الثالث

في مخيم ادوارد بقرب ورويك.

يدخل عدد من الحراس لحماية خيمة الملك.

الحارس الأول: تقدموا يا سادتي وليأخذ كل منكم مكانه ، فالملك ممتد هنا يغط في النوم.

الحارس الثاني: ماذا تقول؟ هو لا يريد الاستلقاء على سريره.

الحارس الأول: كلا ، لأنه أقسم اليمين علناً بأن لا ينام ولا يرتاح إلا عندما يهلك ورويك أو يهلك هو نفسه.

الحارس الثاني: غداً إذا سيكون يوم الحسم. إذا كان ورويك هكذا قريباً كما بلغنا؟

الحارس الثالث لمكن أرجو منك أن تقول لي من هو هذا المولى الذي يرقد في خيمة الملك وإلى جانبه .

الحارس الأول: هو لورد هاستينكس أخلص أصدقاء الملك .

الحارس الثالث بحقاً؟ لكن لماذا يأمر الملك بأن يمكث كبار ضباطه في المدن المجاورة بينما هو يستقر في منطقة حائدة .

الحارس الثاني: لأن الاقتراب من الخطر شرف زائد مرموق .

الحارس الثالث أجمل ، أنا يهمني الحصول على الراحة ورغد العيش أفضل من المخاطرة والشرف . لو درى ورويك ما هو وضع الملك الآن ، لخاف على حياته وجاء يوقظه .

الحارس الأول: إذا لم تحمهم رماحنا وتسد له الطريق .

الحارس الثاني: نعم ، لماذا نحن نحرس خيمة الملك ، إذا كنا لا نحميه من أعدائه . يدخل ورويك وكلارانس وأوكسفورد وسومرست ، ورجالهم .

ورويك : هذه خيمته ، وهنا يعسكر حرامه . فتشجعوا يا سادتي ، إذ ليس أمامنا إلا شرف الانتصار أو الهلاك إلى الأبد . اتبعوني فقط ويكون ادوارد في حوزتنا .

الحارس الأول: من القادم إلى هنا؟

الحارس الثاني: قف مكانك ، أو قضيت عليك . (ورويك ورجاله يهتفون معاً : ورويك ورويك ، وينقضون على حراس ادوارد الذي يفر صارخاً : إلى السلاح ، إلى السلاح . ورويك وجاعته يطاردونهم . يقرع الطبل وينفخ البوق . ورويك وجاعته يعودون

ومعهم ادوارد بقميص النوم وهو جالس على كرسي . يهرب ريشار وهاستينكس).

سومرست : من هم الهاربون هناك ؟

ورويك : ريشار وهاستينكس . دعوهما يذهبان . هذا هو الدوق .

الملك ادوارد : الدوق ! آه ، يا ورويك ! في آخر مرة افترقنا كنت تدعم الملك .

ورويك : نعم ، لكن الوضع تغير . بما أنك ألحقت بي العار في انتدابي كسفير ، أنا نزعيت عنك لقب الملك وجئت الآن أعيد اليك لقب دوق يورك . يا للأسف ! كيف تريد أن تحكم مملكة وأنت لا تعرف كيف تداري بلباقة موقف السفراء ، ولا أن تكني بزوجة واحدة ، ولا أن تعامل اخوتك بإنسانية ، ولا أن تسعى لخير الشعب ، ولا أن تحمي نفسك من أعدائك .

الملك ادوارد : أجل يا أخي كلارانس ، أنت لا تزال هنا ؟ أرى أن لا بد لي من السقوط كملك . مع ذلك يا ورويك ، بالرغم من كل المعاكسات ، وبالرغم منك ومن أعوانك ، سأظل أنا ادوارد أتصرف كملك . ومهما عاكستني الظروف وقلبت لي ظهر المجنّ وأزالت سلطتي ، فإن نفسي ستبقى خارج نطاق مفعولها .

ورويك (وهو يتزع التاج عن رأسه) : ليظل إذا ادوارد ملك انكلترا في مخيلته . لأن هنري هو الذي من الآن وصاعداً ، سيحمل التاج وسينكون الملك الحقيقي . أما أنت فما عدت سوى ظلّ . يا مولاي سومرست ، نزولاً عند طلبي ، أرجو أن تقود ادوارد الى شقيقي رئيس أساقفة يورك . وبعد أن أنهى حملتي على رفاقه ، سألحق بكم وسأعلم ادوارد

بالجواب الذي أرسله اليه لويس ملك فرنسا والسيدة بون. والآن وداعاً يا دوق يورك.

الملك ادوارد : على الرجال أن يتحملوا ما يفرضه عليهم مصيرهم ، إذ لا جدوى من قتال لا أمل فيه بالظفر. (يؤخذ الملك ادوارد برقعة أوكسفورد : لم يبقَ أمامنا ، يا مولاي ، إلا الزحف مع جنودنا على لندن. ورويك : أجل هذا أول أمر علينا أن نحققه : ألا وهو تخليص الملك هنري من السجن وإعادته الى العرش (ينخرجون).

المشهد الرابع

في لندن ، داخل أحد القصور

تدخل الملكة اليزابيث وريفرز.

ريفرز : يا سيدي ، ماذا دعائك الى هذا التبدل المباغت ؟
الملكة اليزابيث : ماذا أرى يا أخي ريفرز ؟ أتراك لم تعلم بعد بالمصيبة التي حلت بالملك ادوارد ؟
ريفرز : ماذا تعنين ؟ خسارة معركته مع ورويك .
الملكة اليزابيث : كلا ، بل خسارة شخص الملك بالذات .
ريفرز : هل قتل ملكنا ؟
الملكة اليزابيث : أجل ، تقريباً لأنه سيق الى الأسر . سواء كان ذلك عن طريق

خيانة حرسه أو على أثر مهاجمة أعدائه له فجأة ، المهم ما سمعته فوق ذلك ، أنه أخذ الى حرس الأسقف شقيق يورك الصارم الذي نعتبره الآن كعلونا .

ريفرز : لا بد من الاقرار بأن هذه الأنباء مؤلة جداً ، مع ذلك ، يا سيدتي الكريمة عليك أن تتحملي هذا المصايب بصبر ، لأن ورويك الذي ربح اليوم المعركة ، لا يستبعد أن يخسرها غداً .

الملكة اليزابيت : حتى الآن هناك أمل يحميني من الانهيار . على كل حال ، لا بد لي من الابتعاد عن كل يأس حياً بجنين ادوارد الذي أحمله في أحشائي . لذلك أضع حداً لتأثري وأتحمل بإذعان وقر سوء طالعي . أجل ، هذا ما يدعوني الى ابتلاع دموعي وحبسها في تنهدات محزنة خشية أن تُذبل لوعتي وحسرتي ثمرة حبي للملك الدوارد وريث تاج انكلترا الشرعي .

ريفرز : لكن ، يا سيدتي ، ماذا حلّ بورويك ؟

الملكة اليزابيت : علمت أنه زاحف على لندن ، ليعيد التاج الى رأس هنري . وعليك أن تتوقع الباقي ، وعلى أصدقاء ادوارد أن ينسحبوا من الميدان . ولكي أنجنب عنف الطاغية ، لأن من يحنث بقسمه لا يؤمن جانبه ، سألجأ الى أحد المعابد لأنقذ على الأقل وريث حقوق ادوارد في العرش . وهناك سأكون بعيدة عن كل عمل عدائي وكل مناوأة . تعال إذا نهرب ، بينما لا يزال المجال منفسحاً أمامنا . فإذا وقعنا في قبضة ورويك هلكنا لا محالة (يخرجان) .

المشهد الخامس

في حديقة بقرب قصر ميدهام في مقاطعة يورك شاير.

يدخل ريشار وهاستينكس وسير ولیم ستانلي وغيرهم.

ريشار : الآن يا مولاي هاستينكس ، وأنت يا سير ولیم ستانلي ، لا تعجبا إذا قدتما من هنا الى مجموعة كثيفة من أشجار الحديقة . فالوضعية هي كما يلي : أتم تعلمون أن أخي الملك أسرّه الأسقف الذي يحترمه ويمنحه بعض الحرية ، وغالباً ما يكون حراسه قليلي العدد ، وانه يأتي الى هذه الجهات ليتسلّى بممارسة الصيد . لقد نهته بطريقة سرية ، إذا أراد ، أن يأتي في هذه الساعة الى طرفنا بداعي الصيد حسب العادة . وهنا يجد أصدقاءه وحصانه ورجالاً مستعدين لتخليصه من الأسر . يدخل الملك ادوارد وأحد الصيادين .

الصياد : من هنا ، يا مولاي . من هنا تصل الى الطريدة .

الملك ادوارد : كلا ، من هناك يا صديقي . انظر الى مكان الصيادين . هناك شقيق كلوسستر لورد هاستينكس . لقد وقعتم جميعكم في كمين لأنكم تصطادون في أملاك الأسقف .

ريشار : الوقت والظرف يقتضيان العجلة ، يا أخي ، وحصانك ينتظر في زاوية الحديقة .

الملك ادوارد : لكن ، الى أن نذهب ؟

هاستنكس : الى « لين » يا مولاي . ومن هناك نركب البحر الى شواطئ فلاندر .

- ريشار : هذه فكرة رائعة ، صدقي ، وهي فكرتي أنا أيضاً .
- الملك ادوارد : يا ستانكي ، سأجزل لك المكافأة على غيرتك .
- ريشار : لكن لماذا التأخر؟ ليس الآن وقت التماذي في الحديث .
- الملك ادوارد : ما قولك أيها الصياد؟ هل تريد أن ترافقنا؟
- الصياد : هذا أوفق ، وإلا كان الشنق نصيبي .
- ريشار : هيا نذهب بدون زيادة كلام .
- الملك ادوارد : وداعاً أيها الأسقف . وحذار من غضب ورويك . صلي لكي أسترّد التاج (يخرجون) .

المشهد السادس

في برج لندن

يدخل الملك هنري وكلارانس وورويك وسومرست والشاب ريتشموند وأوكسفورد وملازم البرج ورجال الحاشية .

الملك هنري : سيدي الملازم ، الآن وقد أنزل أصدقائي ادوارد عن العرش بعون الله ، وأبدلوا أسري بالحرية ، وقلتي بالأمل والطمأنينة ، وأحزاني بالأفراح . ماذا تستحق في فترة مجبوحتي حين تعود المياه الى مجاريها .

ملازم البرج : الرعايا ليس لهم أن يطالبوا ملبكهم بشيء . لكن إذا كان رجائي مستجاباً ، فأتمس عقو جلالتك .

الملك هنري : لماذا أيها الملازم ؟ لأنك أحسنت معاملتي . كن على يقين بأنني سأكافئك بسخاء لأنك جعلت من سجنني متعة ، أجل متعة

يتنوقها العصافير في القفص حيث لا ينقصها شيء فتألف الأسر بما يعوضه عليها من عناية ، لقاء فقدان حريتها . ولكن ، بعد الله يا ورويك ، أنا مدين لك بخلاصي . لذلك أشكر الله وأشكرك على هذه النعمة ، فهو الأصل وأنت الوسيلة . لقد أراد خصمي أن يتنصر عليّ ويدلّني ، فإذا به يقع في الحفرة التي أعدّها لي . لذا أودّ أن يشعر شعبنا على هذه الأرض المباركة بأن يد العناية ترعاه ، أريد منك يا ورويك ، مع أنني أنا صاحب التاج ، أن تسلم أنت الحكم لأني واثق بمهارتك وحنكك في إدارة شؤون المملكة ..

ورويك : أنت تمتاز ، يا مولاي ، عن سواك بما تتحلّى به من فضائل . وما أنت تبرهن عن حكمتك وتبصرك ، لأن الرجال الذين يحسنون التصرف قليل عددهم . مع ذلك ، اسمح لي يا صاحب الجلالة أن أعاتبك على اختيارك إياي لهذه المهمة ، بينما كلارانس حاضر بيتنا . كلا ، يا ورويك . أنت تستحق السلطة لأنك منذ أن أبصرت عيناك النور كنت تحمل غصن الزيتون وإكليل الغار ، وهما رمزان نبيلان أيام الحرب والسلم . لذلك أنا أؤيد اختيار الملك منحك هذه الثقة الغالية الموضوعة في محلها .

ورويك : وأنا أختار كلارانس حامي المملكة .
الملك هنري : يا ورويك ويا كلارانس ، ليعطني كل منكما يده ، والآن ضمّا يديكما ، ومعها قليكما كي لا تتغلب أية عقبة على مسيرة الحكم .
إني أجعلكما معاً حامين للمملكة ، بينما أنا ألترم حياتي الخاصة ، وأنهي أيامي بالتأمل والتكفير عن ذنوبي وتمجيد خالقي .
ورويك : ما هو جواب كلارانس على تمنيات ملكه ؟

كلارانس : أنا أوافق إذا وافقت أنت يا ورويك . لأنني أنا أيضاً أرتاح الى تدبيرك وحسن إدارتك .

ورويك : عليّ إذاً أن أوافق ولو بشيء من الاضطرار . ستتكاثف كأنا ظليّ شخص هنري ، ونقوم مقامه بقدر الإمكان . أعني سنحمل أعباء الحكم بينما يعود اليه شرف الملك في إخلاذه الى الراحة . والآن يا كلارانس لا بد من أن نعلن فوراً خيانة ادوارد ، وأن نضع يدنا على جميع أملاكه وأرزاقه .

كلارانس : وماذا تريد أيضاً ؟ ان خلافته مفتوحة .

ورويك : طبعاً ، أنت بالفعل لك حق فيها .

الملك هنري : لكن ، قبل كل شيء دعني ألتبس منك ، لأنني لم أعد أنا الأمر ، أن تعاد الملكة مرغريت وابني ادوارد من فرنسا على جناح السرعة ، لأتبي حتى لحظة مشاهدتهما قريباً سيظل القلق المشوب بالشك يحرمي نصف فرحي بخلصهما .

كلارانس : سيتم ذلك بأسرع ما يمكن ، يا صاحب الجلالة .

الملك هنري : مولاي سومرست ، من هو هذا الشاب المحاط بكل هذه الحفاوة والحنان ؟

سومرست : هذا هنري الشاب كونت ريتشموند ، يا مولاي .

الملك هنري : تعال ، يا أمل انكلترا (يضع يده على رأس ريتشموند) إذا كانت هذه هي الحقيقة ، فإن قوة عجيبة توحى إليّ بأن هذا الفتى الوسيم سيغمر بلادنا بالسعادة والرخاء . لأن نظراته ملأى بالجلال والهدوء ، ورأسه تهيئته الطبيعة ليحمل التاج ، ويده لتمسك

بالصولجان ، وهو مدعو ليتربع يوماً على عرش الملوك. حيّوه يا سادة ، لأنه أهل لأن يوفر لكم الخير أكثر مما سببته أنا لكم من شر.
يدخل رسول.

ورويك : ما وراءك من أخبار ، يا صديقي؟
الرسول : هرب ادوارد من حراسة أخيك الى بوركون ، كما بلغني الآن.
ورويك : نبأ مزعج. لكن كيف هرب؟
الرسول : اصطحبه ريشار دوق كلوسستر ولورد هاستينكس اللذان كانا ينتظرانه في مكن سري عند طرف الغابة. فخطفوه من بين صيادي الأسقف ، لأن الصيد كان رياضته اليومية المفضلة التي يمارسها بكل حرية وابتهاج.

ورويك : لم يسهر عليه أخي كما يلزم ولم يؤدّ وظيفته كما يجب. هيا نذهب من هنا يا مولاي ، لنبحث سلفاً عن علاج لجميع المتاعب التي قد تصيبنا (ينخرج الملك هنري وورويك وكلارانس وملازم البرج ورجال الحاشية).

سومرست : لم يعجبني هرب ادوارد ، يا مولاي. لأن بوركينيون سيعدّ اليه يد المساعدة بدون شك وسنواجه حروباً أخرى عن قريب. فإذا صدقت نبوءة هنري عن مستقبل ريتشموند الشاب ، اغتبط قلبي لأن الخوف عليه من المؤامرات لا يفارقني ، لذا أرى من الأنسب أن نبعده من هنا بإرساله الى بريطانيا حتى تنقشع غيوم الخلافات والدسائس وتهدأ رياح العاصفة الهوجاء.

أو كسفورد : أجل ، فإذا استولى ادوارد على العرش من جديد ، عليك أن فوراً لتعمل بسرعة على تدارك الأمور . (يخرجون).

المشهد السابع

أمام مدينة يورك

يدخل الملك ادوارد وریشار وهاستينكس والجنود.

الملك ادوارد: كما ترون ، يا أخي ریشار ويا لورد هاستينكس وأنتم جميعاً الحاضرون ، قد عوّضنا الخطّ عمّا حلّ بنا ، وعلى ما اعتقدسة أحزاننا برجوعي الى اعتلاء عرش هنري . لقد قطعنا البحار ذ وإياباً وعدنا من بوركون بالعون المرتجى . والآن وقد وصلنا من رافنسبروك الى أبواب يورك ما علينا إلا أن ندخل الى مقرنا مقاطعتنا .

ریشار: أرى الأبواب مغلقة ، يا أخي ، وهذا يقلقني . إذ من يتعرّ عادة العتبة ، عليه أن يخشى خطراً كامناً في الداخل .

الملك ادوارد: هذه التوجسات يا عزيزي ، يجب أن ترعبنا الآن أكثر من قبل . يتحتم علينا ، شئنا أو أئينا ، أن ندخل لموافاة أصحابنا . هاستينكس: مولاي ، عليّ أن أطرق الباب مرة أخرى ليفتحوا لنا .

يدخل الى حواجز المدينة محافظ يورك وزملاؤه .

المحافظ: يا مولاي ، لقد وردنا نبأ بقدمكم وأغلقتنا الأبواب لتكون مأمّن ، ما دمنا الآن مضطرين لتقديم ولائنا الى هنري .

الملك هنري : لكن يا سيدي المحافظ ، إذا كان هنري ملككم ، فأنا ادوارد على الأقل دوق يورك .

لحافظ : هذا صحيح يا مولاي ، أنا أعترف بصفتك هذه .

الملك ادوارد : وأنا لا أطالب إلا بلوقي ، وكلّي استعداد للاكتفاء بها .

يشار (على حدة) : لكن متى مدّ الثعلب رأسه يجد حيلة لإدخال باقي جسمه .

ماستينكس : لماذا ، يا سيدي المحافظ ، تتردّد هكذا ؟ افتح لنا الأبواب . فنحن أصدقاء الملك .

لحافظ : حقاً ؟ سنفتح لكم الأبواب إذا (ينسحب من الحاجز هو وزملاؤه) .

يشار : هذا ضابط أصيل لن يلبث أن يستجيب .

ماستينكس : العجوز الكريم يعتقد أحياناً بأن كل شيء يسير على ما يرام حين تجري الأمور حسناً بالنسبة إليه . لكن ، حالما ندخل لا شك في أننا نستطيع أن نعيده سريعاً هو ورفاقه الى الجادة التي نسير عليها .

يظهر المحافظ واثنان من العصاة على الحاجز .

الملك ادوارد : حسناً يا سيدي المحافظ ، هذه الأبواب يجب أن لا تغلق إلا ليلاً ،

أو في زمن الحرب . هيا ، لا تخف ، أيها الصديق ، وسلمنا المفاتيح (يأخذ مفاتيح المدينة) فعلاً أنا ادوارد مصمم على الدفاع عن المدينة وعن جميع من يتنازلون ويتبعونني .

يسمع قرع طبول . يدخل متكومري ومعه جنود . تسمع مشية عسكرية .

يشار : يا أخي ، هذا هو سير جون ميتكومري صديقنا الخالص ، إذا لم أكن مخطئاً .

الملك ادوارد : أهلاً وسهلاً يا سير جون . لماذا تأتينا مدججاً بالسلاح ؟
متكومري : لإغاثة الملك ادوارد أثناء هذه العاصفة كما يجب أن يفعل كل مواطن وفيّ .

الملك ادوارد : شكراً يا متكومري الكريم . لكني الآن ، عليّ أن أنسى حتي بالتاج وأن لا أطلب إلا بدوقيتي حتى يمنّ الله عليّ بالباقي .

متكومري : الوداع إذاً ، لأنني عائد من حيث أتيت . جئت لأخدم الملك لا الدوق . افرعوا الطبول ، ولنواصل السير . (تبدأ البسيرة) .

الملك ادوارد : لا ، قف قليلاً يا سير جون لأرى بأية وسيلة أكيدة يمكنني استرداد العرش .

متكومري : ماذا تقصد بقولك ؟ لنختصر : إذا كنت لا تريد أن تعلن نفسك ملكاً ، أتركك الى حظك وأطلب من الذين أتوا الى نجدتك أن يعودوا من حيث أتوا . لماذا نحارب إذا كنت لا تطالب بأي لقب ؟

ريشار : هيا بنا يا أخي ، لماذا تتوقف أمام هذه المشاكل ؟

الملك ادوارد : عندما أصبح أقوى مما أنا عليه الآن أقدم مطالبي . حتى هذه الساعة أظن من الأنسب أن أخفي رغباتي .

هاستينكس : سحقاً للوساوس . لا شيء كالسلاح يقرر المصير .

ريشار : والرجل الجسور هو الذي يصل بسرعة الى التاج . فما قولك يا أخي أن ننادي بك بالقوة ملكاً منذ الآن ؟ فهذا الاعلان وحده يجلب لك العديد من الأصدقاء والمناصرين .

الملك ادوارد : كما تشاء . فالحق الى جانبي وهنري ليس سوى معتصب العرش .

متكومي : نعم ، الآن يتكلم مليكي لغة تليق به ، وأنا أريد أن أكون بطل ادوارد .

هاستينكس : انفخوا الأبواق ، لنعلن ادوارد ملكاً . هيا يا صاح أعلن نفسك (يعطي أحد الجنود ورقة ، وتصدح الموسيقى) .

الجندي (يقرأ) : ادوارد الرابع أصبح بعون الله ملك انكلترا وفرنسا ولورد إيرلندا الخ .

متكومي : ومن ينكر هذا الحق على الملك ادوارد ، أنا أتحداه لقتال منفرد (يرمي بقفازه الى الأرض) .

الجميع : يحيا ادوارد الرابع .

الملك ادوارد : شكراً يا متكومي الشجاع ، وشكراً لكم جميعاً . إذا حالني الحظ سأكافئكم على إخلاصكم . سنقضي هذه الليلة هنا في يورك ، وحالما تطلع الشمس غداً فوق الأفق ستوجه نحو ورويك وعصابتة . لأنني أعرف جيداً انه بالنسبة الى هنري ليس جندياً يخشى بأسه . تبارك يا كلارانس الحشن ، أنت لا تعرف كيف تتملق هنري وتتخلي عن أخيك . هذا لا يهمني . ستصدي لك ونعارض يورك بقدر استطاعتنا . فلإي الأمام أيها الجنود البواسل ضعوا النصر نصب أعينكم ، ومتى أصبح في يدنا يمكنكم تأمين سلام طويل الأمد . (يخرجون) .

المشهد الثامن

لندن — في قصر لمبث

يدخل الملك هنري وورويك وكلارانس ومونتيكو وأكساتر وأوكسفورد.

ورويك : بماذا تنصحوني أيها اللوردات ؟ لقد ذهب ادوارد من بلجيكا مع جماعته من الألمان المغرورين والهولنديين البلهاء ، وقطعوا المضيق بأمان ، وكل هؤلاء الرجال يزحفون على لندن ، بعد أن انضم اليهم عدد من المتهورين .

أوكسفورد : تعالوا نجمع بعض المحاربين وندحر أخصامنا .

كلارانس : النار الخفيفة سهل وسريع إطفائها . أما إذا تركتموها تمتد فإن أنهاراً برمتها لا تكفي حيثئذ لإخمادها .

ورويك : لديّ في منطقتي ، ورويك شاير ، أصدقاء مخلصون ، وإن لم يكونوا مشاغبين في أيام السلم ، تراهم من الشجعان في زمن الحرب . سأجمعهم يا ابني كلارانس ، في مناطق سوفولك ونورفولك وكنت ، ونستعجل الفرسان الوجهاء لينضموا اليك . وأنت يا أخي مونتيكو في مناطق بوكنكهام ونورتمتون ولايسستر ستجد رجالاً أشداء على أتم الاستعداد للانضواء تحت إمرك . وأنت يا أكسفورد الباسل بصفتك محبوباً للغاية في منطقة أوكسفورد شاير ستجمع أصدقاءك العديدين ليناصورك . أما ملكي الذي يحيط به المواطنون الأوفياء كما تحيط البحارة بهذه الجزيرة الصامدة ، وكما تحلق عرائس البحر حول ديانا العفيفة ، سيظل في لندن الى أن تأتي

للملاقاته. فيا أيها السادة الأجلاء استأذنوا الملك بالانصراف واذهبوا

بدون أي تأخير. الوداع يا صاحب الجلالة.

الملك هنري : الوداع ، أيها البطل ، يا أمل هذه الجزيرة الوطيد.

كلارانس : وإثباتاً لأمانتي أقبل يدك ، يا صاحب السمو.

الملك هنري : أمتنى لك حظاً سعيداً ، يا كلارانس الأمين.

مونتيكو : تشجع ، يا مولاي. استأذنك بالانصراف.

أوكسفورد (يقبل هنري) : هكذا أرسخ إيماني بك ، وأنا أودعك.

الملك هنري : يا عزيزي أوكسفورد ، ويا حبيبي مونتيكو وأنتم جميعاً أقول لكم

مرة أخرى الوداع ، وأسعد الله أوقاتكم.

ورويك : الوداع ، أيها اللوردات الأعزاء. الحقوا بنا الى كوفنري. (يخرج

ورويك وكلارانس وأوكسفورد ومونتيكو).

الملك هنري : سأستريح لحظة هنا في القصر. يا ابن عمي أكساتر ، ما رأي

سيادتك ؟ أظن أن القوات التي أرسلها ادوارد الى ساحة القتال لا

تعاذل ما لدينا من قوات. ولا يسعها أن تقاومنا.

أكساتر : يخشى أن يأتي بغيرها أيضاً.

الملك هنري : هذا لا يقلقني ، لأن خطتي بائت معروفة. فأننا لم أصم أذني عن

سماع طلبات أفراد الشعب ، ولم أؤجل التماساتهم الى مدى طويل.

وكم أشفقت على المصابين وضمت جراحهم وقد خفت آلامهم

بطيبة قلبي ورحمتي كفكفت دموعهم الغزيرة ولم أطمع بأموالهم ولم

أرهق كاهلهم بالجزية. ورغم شرودهم أحياناً ، لم أقس عليهم ولم

أنتقم منهم. فلماذا يجب هذا الشعب ادوارد أكثر مني؟ لا يا اكساتر. إن كل الحسنات تستدعي أفضل معاملة. وعندما يلاطف الأسد الحمل، لا يلبث هذا الحمل أن يتبعه. (تعالى من الداخل صيحات: لنكاستر، لنكاستر).

اكساتر: اسمع، اسمع، يا مولاي. ما هذا الصراخ؟ يدخل الملك ادوارد وریشار وبعض الجنود.

الملك ادوارد: اقبضوا على هنري صاحب الوجه المشووم، وخذوه من هنا ونادوا بي من جديد ملك انكلترا. (للملك هنري). كنت أنت الينبوع الذي تنفّرع منه عدة سواقي. والآن قد نصبت مياهاك، وابتلعها بحر حظي وتضخمت أمواج هي. خذوه الى البرج بدون أن تدعوه يتكلم. (يخرج بعض الجنود مصطحين هنري) والآن أيها اللوردات لنوجه مسيرتنا الى كوفتري. أين هو الآن هذا المدّعي ورويك. الشمس مشرقة وساطعة. فإذا تأخرنا سيعصفنا برد الشتاء ويتبدد محصولنا الذي طالما رجونا.

ریشار: هيا نذهب بسرعة قبل أن يجمع قواته، ونفاجيء بغتة هذا الخائن اللعين. أيها المحاربون الشجعان، هيا بنا نزحف على كوفتري (يخرجون).

الفصل الخامس

المشهد الأول

في كوفتري

- يصل الى الحاجز ورويك ومحافظ كوفتري ورسولان وغيرهم.
- ورويك : أين ساعي البريد الذي جاء من قبل اوكسفورد ؟ وعلى بعد أية مسافة يقع مقر سيدك ، صديقي الحميم ؟
- الرسول الأول : اعتقد بأنه في دنسمور ، وسيوافيكم .
- ورويك : وعلى بعد أية مسافة هو أخي مونتيكو ؟ أين ساعي البريد الذي وصل قبله ؟
- الرسول الثاني : اظنه في دن تري ، ومعه مدد وافر العدد .
- يدخل سير جون سومرفيل
- ورويك : ماذا يقول صهري الحبيب يا سومرفيل ؟ وحسب تقديرك في أية بقعة يقف الآن كلارانس ؟
- سومرفيل : لقد تركته في سوتهام مع قواته ، وأنا أنتظر قدومه الى هنا بعد ساعتين تقريباً (يسمع قرع طبول) .
- ورويك : في هذه الحالة ، يعسكر كلارانس على مقربة منا ، وأنا اسمع قرع طبوله .

سومرفيل : هذا ليس قرع طبوله ، يا مولاي . لأن سؤتهام من هذه الجهة . أما صوت الطبل الذي تسمعه جلالتك فأت من جهة ورويك .
ورويك : وما عسى أن يعني هذا ؟ لا شك في أن هناك اصدقاء غير منتظرين .

سومرفيل : هم قادمون . وسنرى من يكونون ؟
يسمع قرع طبول . يتخلل الملك ادوارد وريشار ، وجنودهما في مشية عسكرية نشيطة .

الملك ادوارد : اقرب يا نافخ البوق صوب الحاجز ، واعط إشارة الاستسلام .
ريشار : انظر الى العابس ورويك كيف يقف على الحاجز كالخارس .
ورويك : هذه مشاكسة غير متوقعة ، لأن المستهر ادوارد وصل . اين نام اذا كشافونا ، وكيف ارتشوا ، ولم يعلمنا احد باقترابهم ؟

الملك ادوارد : الآن يا ورويك ، افتح ابواب المدينة ، والقي خطاباً يجعل الركاب تنطوي والمهمات تنحني بوضاعة . ناد ملكك ادوارد .

ورويك : لا ، أبعد أنت رجالك من هنا ، وحي من رفعك ثم أنزلك . هيّا استسمحني ، أنا معلمك ورويك ، واندم فتظلّ دوق يورك .
ريشار : كنت اعتقد بأنه سيثبت بقاءه ملكاً . هل كان ذلك منه مزاحاً غي مقصود ؟

ورويك : يا مولاي ، أولاً تعتبر الدوقية هدية قيّمة .
ريشار : إي وربي ، لا سيما حين يكون مقدمها كونتاً مرموقاً . أشكرك جزياً الشكر على هذه الهدية الرائعة .

ورويك : انا قدمت العرش لأخيك .

الملك ادوارد : هو طبعاً لي ، وان كان هدية من ورويك .

ورويك : انت لست الجبار أطلس لتنهض بمثل هذا الحمل الثقيل . انظر الى هزالك ولا تنسَ أنني احرمك من هذه الهدية ، لأن هنري مليكي ، وأنا احد رعاياه .

الملك ادوارد : لكن مليكك ، يا ورويك ، سجنني انا الملك ادوارد . فقل لي أيها الباسل الفهم ، ما قيمة جسم بلا رأس ؟

ريشار : يا للأسف ! لماذا فقد ورويك صفاء ذهنه وبصره ؟ فيينا كان يحاول أن يتشغل مني عشرة فقط ، اذا بالملك ينسحب من اللعبة بلطف . لقد تركت هنري المسكين في قصر الأسقف ، وأراهن على واحد مقابل عشرة بأنك تجده الآن في البرج .

الملك ادوارد : هيا يا ورويك ، اغتيم الفرصة واركع ، أجل اركع . لم يحن الوقت بعد ، ومتى حان ، ستضرب الحديد وهو حام .

ورويك :- أفضل أن اقطع يدي هذه بضربة قاسية وأن ارميها في وجهك باليد الثانية على أن انحدر بدناءة الى مستواك ، وأصبح ألعبه بين يديك .

الملك ادوارد : رفرِف كما يطيب لك ، واجه الرياح العاصفة . فان هذه اليد التي ستلتف على شعرك الفاحم السواد ، وترفع رأسك المقطوع الذي لا يزال ساخناً وتهزه بعنف ، ستجبر يدك أن تكتب على التراب : ورويك السريع الثقلب لن يسعه أن ينقلب الآن على أحد . يدخل اوكسفورد ، وطبوله تفرع واعلامه ترفرف .

- ورويك : ما ازهى هذه الألوان؟ ها هوذا اوكسفورد قد وصل.
- اوكسفورد : انا أناصر اسرة لنكاستر (يدخل اوكسفورد مع قواته الى المدينة).
- ريشار : الابواب مفتوحة. لندخل نحن أيضاً.
- الملك ادوارد : هناك اعداء آخرون قد يباغتوننا من الخلف. فلنبقَ هنا مرصوصي الصفوف، وإلاّ خرجوا حتماً الينا وقتلونا. فالمدينة في حال عدم قدرتها على المقاومة بسبب ضعفها تدعونا الى أن نقتحم الخوة ونهاجمهم.
- ورويك : أهلاً ومرحباً بك، يا اوكسفورد، نحن بحاجة ماسة اليك.
- مونتيكو : يدخل مونتيكو وطبوله تفرع واعلامه تحقق
- ريشار : انا أناصر اسرة لنكاستر (يدخل مع جنوده الى المدينة).
- أنت وأخوك ستدفعان باهظاً ثمن هذه الخيانة بدمكما الذي يجري الآن في عروقكما وسيهدر قريباً.
- الملك ادوارد : كلما ازدادت المقاومة ضراوة كلما ازداد النصر بريقاً. قلبي يتحدثني بأز نجاحنا سيكون منقطع النظير.
- يدخل سومرست وطبوله تفرع واعلامه تحقق
- سومرست : انا أناصر أسرة لنكاستر (يدخل مع قواته الى المدينة).
- ريشار : دوقان من اسرتك يا سومرست، واثنان من أسرة يورك قد سفا دمهما وستكون أنت ثالثهم اذا ظل هذا السيف بتاراً.
- يدخل كلارانس وطبوله تفرع واعلامه تحقق.

ورويك : انظروا ، هذا جورج بن كلارانس يتقدم مع قواته الكافية لسحق أخيه في ساحة القتال . ما أعظم غيرته على شرعية الحق الذي تغلب على حبه الاخوي . تعال ، يا كلارانس ، واستجب طلبي .

كلارانس (يتربع الوردة الحمراء من قبعته) : يا أبي ورويك ، هل تعلم ما معنى هذا ؟ الا انظر ، انا أرشحك بتحقيري . انا لا أريد أن أهدم بيت أبي الذي وطد أركانه ببذل دمه الغالي ، وان أعلي شأن أسرة لنكاستر . هل تعتقد ، يا ورويك ، بأنني صلب وشرس وقليل الوفاء لأقلب ظهر المجن لأخي ومليكي الشرعي ؟ ربما تعترض عليّ بسبب قسمي المقدس . فإن أنا لم أحنث يميني ، بتّ أحقر من يافت الذي ضحّى بابطه . أنا نادم على غلطتي السابقة . ومن الآن وصاعداً انا أناصر أخي ، واعلن منذ هذه اللحظة عدائي لك حتى الموت . وأنا مصمم على مجابهتك وواثق بأن أقضي عليك مهما بالغت في التحفظ والحيلة بعدم خروجك من هنا . وسأعاقبك على جرم تضليلك اياي . فبناء على ذلك اتحدّك يا ورويك المتعجرف ، وادبر نحو أخي وجهي المحمّر خجلاً منك ومن أفعالك الشائنة . سامحي اذاً يا أخي ادوارد ، فأنا مستعد أن اكفّر بشرف عما بدر مني . ألتمس منك يا ريشار ، أن لا تنتظر بغضب الى ذنوبي لأنني نويت أن أنبذ كل تصرفاتي المريبة .

الملك ادوارد : أهلاً ومرحباً بك ، أنا أحبك عشر مرات أكثر مما كنت تستحق في الماضي من غيظي وغضبي .

ريشار : أهلاً ومرحباً بك يا كلارانس . أنت الآن تتصرف كأفضل شقيق .

ورويك : سحقاً لك من خائن جبان .

الملك ادوارد : هل تريد يا ورويك ان تغادر المدينة لتحاربنا؟ أم علينا أن نرجمك بالحجارة حتى تموت؟

ورويك : والله ، أنا لا أريد أن أكون سجينكم هنا ولو للدفاع عن نفسي . بل أود أن أذهب الى بارني لأحاربك يا ادوارد ، إن كنت تقبل التحدي .

الملك ادوارد : أجل يا ورويك ، أنا أقبل تحديك فهيا نخرج للقتال . هيا بنا أيها اللوردات الى ساحة المعركة وسينصرنا الله وشفيعنا جاورجيوس (يخرجون) .

المشهد الثاني

في ساحة المعركة قرب بارني

تسمع موسيقى إنذار وضجة جنود يتحركون يدخل الملك ادوارد ويؤتى بورويك جريحاً .

الملك ادوارد : هكذا مددوه هنا . مت يا لثيم ، لأنك خيال صحراء وان ارجبتنا جميعاً . أما الآن فاستعدّ يا مونتيكو لتسليك عظام ورويك (يخرج) .

ورويك : من الآتي الى هنا؟ تعال اليّ أن كنت صديقاً أو عدواً واخبرني من المنتصر ، يورك أم ورويك؟ لكن لماذا ا طرح هذا السؤال ؟ ان تشويه جسمي ونزف دمي وخوز قواي وانقباض قلبي ، كلها دلائل دامغة على انتصار اخي ، وإلاّ لما شعرت بهذا الذل والانكسار . هكذا سقطت الشجرة الشاحخة تحت ضربات الفأس ولم تعد قادرة

على حاية النسر الملكي الذي كان يتقياً تحت أغصانها وكان الأسد
المتوثب سيظلّ جذعها الراسخ الذي كان يساند الشجيرة الضعيفة
في احتماؤها به اثناء عواصف الشتاء . لقد كانت نظراتي التي خيم
عليها ظلام الموت ، تنفذ نظير اشعة الشمس في رابعة النهار وتخترق
حجب الخيانات السرية في العالم اجمع . وكانت تجاعيد جبهي
الملوثة دماً ، تشبه غالباً قبور الملوك اذ لم يكن هناك من ملك لم
تستطع أن تحفر قبره وتدفن فيه سلطته . فمن كان يجرؤ على الابتسام
عندما كنت أعبس ؟ وأسفاه ! ها قد مرّغ شرفي في الوحل وتلوّث
بالدم . أين الجنائن والترهات ومماشي القصور التي غابت كلها
عني ، ولم يبق لي من الأراضي الواسعة سوى مدى جسمي ؟ أين
العظمة والفخخة ؟ أين السلطة والنفوذ ؟ كلها اضحت تراباً تدوسه
الارجل . فيها كانت الحياة مرفهة عزيزة ، لا بد للانسان يوماً من
أن يموت .

يدخل أوكسفورد وسومرست

سومرست : آه ، يا ورويك ! لو كنت كما أنا الآن ، لكنت عوّضت عن جميع
اخطائي . فالمملكة عادت من فرنسا بنجدة قوية ، بلغتني اخبارها منذ
وقت قريب . ليتك تستطيع الهرب .

ورويك : حتى ان لم اهرب ، أنت أخي يا موتنيكو ، وأسألك أن تأخذ يدي
وأتمس منك أن تمنع روحي بشفيتك من الخروج ولو لحظة . أنت
لا تحبني ، ولو كنت تحبني يا أخي ، لكأنت دموعك غسلت هذا
الدم المتجمد على شفتي لأنه يعيقني عن التكلم . تعال اليّ حالاً يا
موتنيكو ، وإلا مت .

سومرست : تعال يا ورويك . فان موتنيكو قد اسلم روحه وكان الى آخر أنفاسه
يناديك إذ قال : أوصوا أخي الشجاع بي خيراً . وحاول أن يقول
أكثر من هذا . لكن ما فاه به جاء دويّه مشوشاً كقصف المدفع من
مغارة تحت الأرض ، لا سبيل الى تمييز أيّ من الفاظه المغمضة .
أخيراً تمكنت من سماع آخر تهدياته وهو يتمتم : وداعاً يا ورويك .
ورويك : ليرقد بسلام . اهربوا ايها اللوردات جميعاً ، وسيكون لقائنا في
السماء (بموت) .
اوكسفورد : هيا بنا نذهب ، هيا بنا ننضم الى جيش الملكة الجرار (يخرجون
حاملين جثة ورويك) .

المشهد الثالث

في مكان آخر من ساحة القتال

تصدق الموسيقى . يدخل الملك ادوارد متصراً يرافقه كلارانس وريشا
وجنود .
الملك ادوارد : حتى الآن خاننا الحظ في صعود نجمنا ، وقد زينت اعناقنا قلاداد
الظفر . لكننا في منتصف النهار المشرق ارى غيمة سوداء مشبوه
تهددنا وتتجه نحو شمسنا لتحجبها عنا قبل أن تبلغ مغيبها الهادي .
أعني أيها اللوردات ان قوات الملكة المقبلة من فرنسا قد وصلت ا
شواطئنا زاحفة علينا كما قيل لي لكي تقتلنا .
كلارانس : أول رشقة سهام ستبدد قريباً عنا هذه الغيمة الكأداء ، وتعيدها
مصدرها ، وترد كيد اعدائنا الى نحرهم . اشعاعك وحده ي
لتبديد هذا البخار ، لأن الغمامة الصغيرة لا تولد العاصفة .

ريشار: قوات الملكة تقدّر بثلاثين ألف رجل ، وقد لجأ إليها سومرست مؤقتاً بأن بطشها سيكون له قوة تضارع قوتنا .

الملك ادوارد: اخبرنا بعض اصدقاءنا المخلصين بأن هذا الجيش يزحف على تويكسبري. فعلينا ، وقد حالقنا الحظ حتى الآن ، أن نبادر الى سهل بارني ونهاجم هذا العدو حالاً . لأن السرعة ستشق لنا طريق النصر النهائي . وأثناء الطريق ستزداد قوتنا عن ينضم اليها من أهالي المناطق التي نجتازها . اقرعوا الطبول ، واصرخوا : الى الأمام ، تشجعوا . (يخرجون) .

المشهد الرابع

في سهل قرب تويكسبري

تسمع موسيقى عسكرية. تدخل الملكة مرغريت وامير ويلز وسومرست واوكسفورد وبعض الجنود.

الملكة مرغريت : أيها اللوردات البواسل ، لا يتأخر الرجال الحكماء في التحسر على خسائريهم . لكنهم لا يلبثون أن يعوّضوا عن كوارثهم . لاغصاصة علينا إن جرفت العاصفة معها صاري مركبنا وقطعت الحبال وضيّعت المرساة وابتلعت الامواج نصف البحارة في طياتها . فالربان لا يزال حياً . وهل من اللائق أن يترك الدفة لمبتدئ جبان كهذا ، يضيف سيل دموعه الى لجة البحر ويحاول أن يساند من هو أقوى منه بما لا يقاس ، بينما آلامه تفتت الصخور التي تحطم عليها المركب الذي كانت الجهود المبذولة ربما انقذته من شر التحطيم . يا للعار ،

يا للغلط الفظيع ! تقول ان مرساتنا كانت همة ورويك . هذا لا
 بهم ، ان مونتيكو هو الآن صارينا المتين . قلت لك هذا لا بهم .
 فقد أضحي اوكسفورد مرساتنا وسومرست صارينا الجديد . أوليس
 أصدقائنا الفرنسيون اشرعة وحبلاً نعتصم بها ؟ فهمنا كنا نفتقر الى
 المهارة ، فأنا وادوارد نستطيع أن نقوم مقام الربان والبحارة معاً .
 نحن لا نريد أن نفلت الدقة لنجلس وننتحب . انما عندما تعاندنا
 العاصفة ، نريد أن نتجنب نواتي الصخور التي تهددنا بالتحطيم
 والغرق . فالأحرى بنا أن نغالب الامواج من أن نغالبها . أوليس
 ادوارد اشبه بالبحر العاجز ؟ ليس كلارانس إلا رمل جديد من
 المخاتلة والخذاع . وريشار ، أوليس نذير شؤم مريع ؟ هذه آفات
 سفيستنا المتمايلة . أما قلت لي انك تحسن السباحة ؟ يا للأسف ، لن
 ندوم هذه الحالة سوى لحظة . وكيف نسير على رمل متحرك ؟ لا بد
 لنا من أن نفوض في جوفه . وان استطعنا تسلق الصخور سينال منا
 مد البحر ويجرفنا أو نهلك جوعاً ، وهذا يعني أننا سنموت ثلاث
 مرات . أبصاركم بهذا أيها اللوردات لأفهمكم في حال تفكير
 احذكم بالتخلي عن موقفه ، اننا سنكون تحت رحمة هؤلاء الاخوة
 الثلاثة الذين لا أمل يرجى منهم أكثر مما يرجى من الأمواج الطاغية
 والرمال المتحركة والضخور الناتئة . فتشجعوا اذاً . ان ما لا سبيل
 الى تجنبه ، يُعتبر فينا ضعف صيبياني ، إن نديناه أو خشيناه .

أمير ويلز :
 يخيل اليّ أن امرأة بهذه الهمة والجرأة ، وبمثل ما تتلفظ به من كلام
 يشدد العزيمة ويبعث الاقدام في نفس الانسان الأعزل ، على
 مقاتلة الرجل المدجج بالسلاح . وحديثي بهذه اللهجة لا يدل على

شكي بأيّ منكم ، وان شككت بوجود جبان في صفوفنا ، فسأسمح له بالابتعاد سريعاً خوفاً من أن يفسد تصميمنا ، عندما تدق ساعة الحرج ، ويلقي الرعب في قلوب المقاتلين . فان وُجد أحد من هذه الفئة ، لا سمح الله ، عليه أن يرحل حالاً ، لأننا لسنا بحاجة الى أي عون من هذا النوع .

اوكسفورد : بارك الله نساءً وأولاداً في مثل هذه الشجاعة . لا أنكر أن يئنا عدداً من المحاربين لا يستبعد أن يضعفوا . أجل ، وهذا عار لا يمحي الى الأبد . فسقياً لك أيها الأمير الشاب الباسل . ان جددك الشجاع يحيا اليوم في شخصك ، ألا أطل الله عمرك لتذكرنا بصورته المشرقة وتجدد لنا مجده الأئيل .

سومرست : اما من لا يريد ان يحارب لأجل مستقبل زاهر ، فليذهب ويرقد . ونظير نعيب اليوم في رابعة النهار ، لا يسمع صوته إلا لاستقطاب الهزء والسخرية .

الملكة مرغريت : شكراً لك يا سومرست ، ولك أيضاً يا اوكسفورد .
امير ويلز : واقبلوا مني تشكراتي التي لا يسعني ان اهديكم سواها .
يدخل رسول

الرسول : استعدوا ، ايها اللوردات ، لأن ادوارد اقترب وهو متأهب للقتال .
فواجهوه بشجاعة وتصميم .

اوكسفورد : كنت أترقب منه ذلك . لأن خطته تقوم على استعجال الامور واستخدام عنصر المباغة .

سومرست : لكن أمله سيخيب ، ما دمننا نحن أيضاً متأهبين .

الملكة مرغريت : قلبي يرقص طرباً وأنا أبصركم في مثل هذا الحماس .
 اوكسفورد : لنأخذ مراكنا هنا ، ولا نترحزح عنها قيد أنملة .
 تسمع موسيقى عسكرية . يدخل الملك ادوارد الى صدر المسرح برققة
 كلارانس وريشار وجنودهم .
 الملك ادوارد : ايها الرفاق الشجعان ، انتم ترون هناك الشجيرات الشائكة التي
 بعون الله وهمتنا ، ننوي أن نقتلعها من جذورها قبل هبوط الليل .
 لست بحاجة الى ازكاء لهيب حميتكم ، لأنني اعلم جيداً أنها في اوج
 الاندفاع لصب الوليات على رؤوس أعدائنا . أصدرنا اشارة بدء
 المعركة ، وهبوا الى القتال ، أيها اللوردات .

الملكة مرغريت :ايها الفرنسيان المغاوير ، ماذا يسعني ان اقول لكم لمقاومة الدموع
 السخينة ؟ لدى كل كلمة انفوّه بها ، كما تلاحظون ، ابتلع قطرات
 دموعي . انما لي كلمة أخيرة : هنري ملككم المحبوب ، هو أسير
 لدى أعدائنا ، وقد اغتصبت سلطته ومملكته تتأرجح الآن بين الحق
 والباطل ، ورعاياه مشردون أو مذبحون وقوانينه ملغاة وثروته
 مبددة . وهناك يعمن الذئاب فتكاً ، ويعيثون فساداً بينما انتم
 تحاربون لاستعادة حقكم . فباسم الله ايها اللوردات ، استحلفكم
 بأن لا تدخروا وسعاً ، وان تبدلوا كل ما اوتيتهم من جهد وبسالة .
 فاعلنوا بدء القتال (ينسحب الجيشان) .

المشهد الخامس

في ساحة الحرب

تسمع موسيقى الانذار وضجة الجيوش المتحركة ، ثم الانسحاب . عندئذ يدخل الملك ادوارد وكلا رانس وريشار وجنودهم وهم يقودون الملكة مرغريت واوكسفورد وسومرست الى الأسر .

الملك ادوارد : هذه نهاية كل هذه المعارك الصاخبة . خذوا أوكسفورد سريعاً الى قصر هاميس . اما سومرست المحرم فاقطعوا رأسه حالاً . هيا خلوهما من هنا لأنني لا أريد سماع صوتها بعد الآن .

اوكسفورد : من جهتي لن يزعجك صوتي بعد اليوم .

سومرست : ولا انا ، لأنني ازعن بخضوع لمصري . (يخرج اوكسفورد وسومرست يحيط الحرس بهما) .

الملكة مرغريت : هكذا تفرق بجزن في هذا العالم المضطرب لتلتي بفرح في جنة الخلد .

الملك ادوارد : أولم يعلن البعض أن من يدل على مكان ادوارد يُمنح مكافأة قيمة ، كما يمنح ادوارد نفسه الأمان وصيانة حياته ؟

ريشار : لقد فعلنا ذلك . ها هوذا الشاب ادوارد .

يدخل جنود مصطحين امير ويلز

الملك ادوارد : هاتوا هذا الظريف الى جانبي . ولنسمع ما سيقول لنا . كيف تسنى لهذه الشوكة الفتية أن تقتلع منذ الآن ؟ يا ادوارد ، أي تعويض تمنحني لأنني حملت السلاح في وجهك ، وحافظت رعاياي عليك رغم كل المشاكل التي سببتها لي ؟

امير ويلز : تكلم يا يورك ، كأحد الأهالي بفخر واعتزاز . واقترض انك في هذه اللحظة تسمع صوت أبي . أجلسني مكانك واركنع حيث أنا ، بينما أوجه اليك الأسئلة التي تدعي ، أيها الخائن ، أن علي أن أقدم لك ردودها .

الملكة مرغريت : ليت لأبيك نفس عزمك وتصميمك .

ريشار : ستظل ولدًا ترتدي السروال القصير ، إن لم تسرق اثواب اسرة لنكاستر .

امير ويلز : خيّي يا ليزوب الشاعر قصائدك لليلي الشتاء . لأن هذه الأقوال الفارغة لا مكان لها هنا الآن .

ريشار : والله ، يا غلام ، سأعاقبك على هذه الألفاظ الصيانية .

الملكة مرغريت : أحقًا ، أنت خلقت لمعاقبة الرجال ؟

ريشار : استخلفكم بالسماء ، أن تأخذوا من هنا هذه الأسيرة الوقحة .

امير ويلز : لا ، خذوا بالحري هذا الأحذب السخيف البغيض .

الملك ادوارد : اخرس ايها الصبي اللثيم ، والجُم لسانك .

كلارانس : حذار يا مغفل من هذه الوقاحة السمجة .

امير ويلز : أنا أعرف واجبي ، بينما أتم جميعاً تتجاهلون واجباتكم . يا ادوارد

المغامر ، وأنت يا جورج المنافق ، وأنت يا ريشار المشوه ، اقول

لكم جميعاً أنني أنا سيدكم ، ايها الخونة السفلة ، لا سيما أنت يا

مغتصب حقوق أبي وبالتالي حقوقي أنا أيضاً .

الملك ادوارد : هذا لك ، يا وجه النحس ، يا صورة هذه المرأة النجسة . (يطعن

امير ويلز) .

ريشار (للأمير): تحبب الآن بدمك ، وخذ هذا للقضاء عليك ولوضع حد سريع
لتزاعك الاخير (يطعنه).

كلارانس (للأمير): وخذ هذا لقاء ما وجهته الي من اهانات. (يطعنه).
الملكة مرغريت: عليك أن تقتلني أنا أيضاً.

ريشار: امرك مطاع. خذي أنت ما ناههم. (يحاول طعنها).

الملك ادوارد: قف يا ريشار، قف. اننا فعلنا أكثر من اللازم.

ريشار: هل تريد أن تبقىها على قيد الحياة لكي تعيش في الأرض فساداً
بكلامها السام.

الملك ادوارد: ماذا أرى؟ هل اغمي عليها؟ حاولوا أن تعيدوا اليها وعيها.

ريشار: استعذر لي من أخي الملك يا كلارانس. أنا ذاهب الى لندن لأجل
قضية هامة. فقبل أن تصلوا اليها عليكم أن تصغوا الي لسامع خبر
هام.

كلارانس: ما هو، ما هو؟

ريشار: البرج، البرج، (ينخرج).

الملكة مرغريت: آه! يا عزيزي ادوارد. كلم والدتك، يا بني. أولم تعد قادراً على
النطق؟ تبا للخونة، وسحقاً للقتلة. ان من طعنوا قيصراً بالخنجر لم
يسفكوا دماً ولم يرتكبوا أثماً ولم يستحقوا عقاباً اذا قيس عملهم
بهذه الجريمة النكراء. ذاك كان رجلاً، بينما هذا لا يعدو كونه
ولداً، وليس من الرجولة ان يضرب الانسان جام غضبه على صبي.
هل هناك اسم احقر من القاتل لكي اخلعه عليه؟ لا، لا. ان قلبي
يكاد يتفجر من الغيظ. سأتكلم حتى يبح صوتي. تبا للجزارين

القتلة وسحقاً لسفاكي الدماء وأكلة اللحوم البشرية . أية زهرة
نضرة قطعت قبل الأوان؟ أتم لا أولاد لكم أيها الجلادون . ولو كان
لكم اولاد لكانت الرحمة وجدت طريقاً الى افئدتكم . ولو أصبح
لكم ولد يوماً ما ، عليكم أن تترقبوا رؤيته مقتولاً في عزّ صباه كما
فعلتم اتم وفعل رجالكم يا رسل الموت ، يا قتلة الامير الشاب في
نضارة عمره .

الملك ادوارد : اخرجوا هذه المرأة من هنا ، هيا اخرجوها بالقوة .
الملكة مرغريت : كلا ، لا تأخذوني من هنا . هيا أغرس خنجرى في صدري ، فأنا
اسأحك على ارتكابك جريمة قتلى . ماذا أرى ؟ ألا تريد أن تنفذ ما
أطلبه منك ؟ هيا أنت نفذه ، يا كلارانس .
كلارانس : بحق السماء ، لن أمنحك هذه النعمة .

الملكة مرغريت : هيا نفذ يا كلارانس الكريم . أتمس منك أن تلبي طلبى .
كلارانس : أولم تسمعينى ؟ لن أفعل هذا أبداً .
الملكة مرغريت : نعم أنت معتاد على تحمّل هذه الحساسة . فى الماضى كان تملصك
من تعهدك جريمة أما الآن فهو محبة وعدالة . ماذا أقول ؟ أنت لا
تريد . أين هذا الجزار ؟ أين ابليس اللعين ؟ أين أنت يا ريشار
الفظيع ؟ اين أنت ؟ القتل هو إحسانك ، وأنت لم تكافىء من
شجّعوك على سيفك الدماء .

الملك ادوارد : كفى ، قلت لك ، كفى . آمركم أن تأخذوها من أمامى ، هيا
خذوها حالاً من هنا .
الملكة مرغريت : هل تريد أنت وذووك أن تكون نهايتكم كهذا الأمير ؟ (تخرج
مجرورة بالقوة) .

الملك ادوارد : الى أين مضى ريشار؟
كلارانس : الى لندن ، الى موقف العربات ، على ما أظن ، لكي يشترك في
البرج بولمة دموية .

الملك ادوارد : حالما تخطر بباله فكرة تراه يصبح مستعجلاً . هيا نذهب نحن أيضاً
من هنا . ولنصرف الجنود البسطاء بعد أن ندفع لهم اجرتهم
ونشكرهم ، ثم نزحف على لندن . تعالوا لنرى كيف حال ملكتنا
اللطيفة . آمل أن تحمل الآن مني طفلاً (يخرجون) .

المشهد السادس

في برج لندن

الملك هنري جالس وي يده كتاب ، والى جانبه ملازم البرج . يدخل
ريشار .

ريشار : صباح الخير يا مولاي . أنت لا تزال منشغلاً في المطالعة .
الملك هنري : نعم يا مولاي الكريم . هل عليّ أن ادعوك : مولاي ؟ ان التملق
نقيصة ، والكلمة الطيبة ليست سوى ممالة . وكلوستر الكريم
وابليس اللئيم متساويان في السخافة . لذلك لا أدعوك اللورد
البئيل .

ريشار (للملازم) : اتركنا وحدنا أيها الصديق . لأننا نريد أن نتحدث (يخرج
الملازم) .

الملك هنري : هكذا هرب الراعي من الذئب ، واسلمت النعجة المسالمة جزئها

أولاً ثم عنقها لسكين الجزار. فما هو الدور المدمر الذي سيقوم به
الممثل الروماني القدير روسيوس ؟

ريشار : الشك يستبد بروح المحرم ، والسارق يخاف الوقوع في قبضة
العدالة :

الملك هنري : والعصفور الذي كاد أن يلصق بالدبق يخشى على جناحه المرتجف أن
يلحق كلما لامس غصناً نضيراً . وأنا الأب التعيس اخاف على ابني
العطوف الذي أراه امام عيني ، من أي شرك مشؤوم أو دبق
منشور يمكن أن يأسر ابني الحبيب ويقتله .

ريشار : ما أعند هذا الكريتي المجنون الذي طلب من ابنه أن يقلد الطير ،
لأنه رغم الأجنحة التي زوده بها سقط وتحطم شر تحطم .

الملك هنري : انا « ديدال » والد إيكار الذي غامر في أول محاولة للطيران ، يا بني .
وفينس الذي عرقل مسيرتنا ، والشمس التي أذابت ما الصقت
الريشات بواسطته من شمع في أجنحة ابني ، هي شخص اخيك
ادوارد الحاقد وأنت البحر العجاج الذي ابتلعه طيات أمواجه
الهائجة المتلاطمة . هيا اقتلني بسلاحك المرهف الحدين لا بكلامك
الجراح . لأن صدري لا يحتمل ذؤابه خنجر كأكبر مما تحتمل اذناي
سماع قصتك المأسوية . لكن لماذا تأتي الي ؟ هل لتستل حياتي من
جسمي المرهق المضني ؟

ريشار : هل تعتقد بأنني أنا منفذ ما تخشى أن يصيبك من مكروه ؟

الملك هنري : أنت في يقيني ، مصدر هلاكي وموتي . فاذا كان قتل الابرياء تنفيذ
حكم الاعدام ، فأنت اذاً منفذ هذا الحكم الجائر .

ريشار : لقد قتلت ابنك بسبب وقاحتك .

الملك هنري : لو كنت قُتلتَ لدى أول وقاحة صُدرت عنك ، لما كنت عشت الى هذه الساعة لتقتل ولدي . لذلك اتوقع من ألوف الاحياء ممن لا يرتابون حتى من تحذيراتي ، شيوخاً كانوا أو عاجزين ملّوعين يتسحبون أو أرامل يتدبن أزواجهن أو يتامى يكون متحسرين على ذويهم المفقودين باكراً ، أن يلعنوا جميعهم تلك الساعة التي ولدوا فيها وكانت وبالأعلى عليهم كنعيب اليوم المشؤوم ونباح الكلب المسعور حين عسّش النحس في زوايا البؤس وراح يملأ الاجواء بنشاذ انغامه القظة . قتلت والدتك ، أكثر مما تعدت سائر الامهات ، من جراء شنوذ أولادها ، إذ وضعت في هذه الدنيا ، يأس بعيد عن آمال سائر الوالدات ، كتلة مشوهة وثمره ممسوخة خالية من أي جمال بشري . لقد ولدتك أمك وفي فك اسنان تدل على أنك منذ مجيئك الى هذا العالم أثبتت لتعضه بأنيابك الحادة ، وبما أن كل ما سمعته عنك صحيح فأنت خلقت لتكون...

ريشار : لن اسمع المزيد . مت ايها النبي الدجال في طيات نبوءتك الكاذبة .
(يطعن الملك) . فأنا لهذه الغاية حقاً قد خلقت .

الملك هنري : نعم ، ولقتل الكثيرين بعدي . يا الهي ارحمني واغفر ذنوبي . ساحلك الله أنت أيضاً (يموت) .

ريشار : ماذا أرى ؟ أهو دم لنكاستر المتجبر مهودراً على الأرض ؟ كنت أمل أن يتدفق الى أعلى . أنظر كيف دمع سني لموت الملك الطيب القلب . أرجو أن يذرف دموعاً هكذا حمراء كل من ينبغي اذلال اسرتنا . فاذا بقي لك نسمة من حياة ، انزل الى الجحيم وقل أي انا

أرسلتك الى هناك (يطعنه ثانية). أنا الذي لا يعرف قلبي الشفقة
ولا المحبة ولا الخوف. في الحقيقة ، كل ما رواه لي هنري صحيح .
اذ غالباً ما سمعت أُمي تردد أنني جئت الى هذا العالم ، أقدامي قبل
رأسي. أولم يكن الحق بجانبني في تصرفي المصيب وتخطيم من
يغتصبون حقوقنا؟ فالقابلة القانونية شذت والنساء صرخن :
« سترك اللهم ، لقد ولد والأسنان تملأ فـه ». في الواقع هكذا
وُلدت ، وهذا يعني بوضوح أنني مزعج أن أعظم وأن أعرض وأن
أصبح حقيقة من رجال البطش والتحدي . وبما أن السماء شاءت
أن يكون جسمي على هذه الصورة من التشويه ، كان على نيران
الجحيم أن تشوّه نفسي أيضاً على خلاف العادة . أنا لا أخوة لي ولا
أُسم بصفة الاخوة . هذا الحب الذي ينعت أصحاب اللحى التي
وخطها الشيب ، بالحب الالهي لا يناسبني ، بل يناسب الأشخاص
المتشابهين المنسجمين . فأنا فريد من نوعي . حذارِ يا كلارانس أذ
تمنع عني النور . لذا سأسعى كي اجعل يومك معتماً . وسأنشر في
الاجواء نبوءات تدع ادوارد يرتجف هلعاً طوال حياته ، ثم لكي
ابدد مخاوفه سأعجل في موتك . فالملك هنري وابنه الأمير قد
غابا . وجاء دورك يا كلارانس ، ثم يأتي دور الآخرين . لأنني
اعتبر نفسي سافلاً حتى أنحوّل الى مخلوق رفيع المستوى . سأنقل
جسدك الى قاعة اخرى يا هنري وسأسيطر على آخر أيام حياتك
(ينخرج) .

المشهد السابع

في لندن — في قصر وسنمستر

يشاهد الملك ادوارد جالساً على عرشه وبقربه الملكة اليزابيث حاملةً طفلها الامير، وكلا رانس ورشار وهاستنكس وغيرهم

الملك ادوارد: مرة أخرى، ها أنا أجلس على عرش مملكة انكلترا الذي اشتريته بدم جميع اعدائي. فلتحصد ارواح اخصامي الشجعان كأنها سنابل الخريف في قمة مجدها. ثلاثة من أسرة سومرست، كل منهم بلقب دوق، ابطال بارزون عرفوا ببسالة لا تهاب المنايا، واثنان من أسرة كليفورد، الأب وابنه واثنان من أسرة نرتمبرلند لم يكن مقاتل اشجع منها يبرع نظيرهما في همز بطن مطيته لتنتلق بسرعة كالسهم المارق لدى سماع صوت البوق، ومعهم دبان نشيطان ورويك ومونتيكو كانت سلاتهما مرتبطة بالأسد الملكي، الذي كان يُرعد الغابات بزئيره. هكذا بددنا القلق واقصيناه عن العرش، ووطننا اقدامنا في حكم البلاد بأمان وسلام. اقترني يا اليزابيث لكي اقبل ولدي الصغير ادوارد. لأجلك يا بني انا واعمامك سهرنا ليالي الشتاء الطويلة ونحن مرتدون دروعنا. ومشينا أياماً طويلة في حرارة الصيف المحرقة. لذا تستطيع أن ترث التاج بسلام وتقطف ثمار جهودنا.

رشار (على حدة): لكني سأبدد غلتك حالما اريح رأسي، لأنني لست محسوباً الى الآن من هذا العالم. وأكتافي لم تكتسب هذه القوة المدهشة إلا

لتحملا الأثقال وإلا يجعل بي أن اكسر عمودي الفقري (يشير الى رأسه ثم الى ذراعه)، أنت تخطط وأنت تنفذ.

الملك ادوارد: يا كلارانس، ويا كلوسينستر، احفظا مودتكما للمليكتي الحبيبة، وعانقا ابن اخيكما الامير، يا اخوي.

كلارانس: الاحترام الواجب علي نحو جلالتك، اطبعه كوسمة على فم هذا الطفل العزيز.

الملك ادوارد: شكراً يا أخي النبيل كلارانس، شكراً جزيلاً.

ريشار: كم أحب الشجرة التي أعطت هذه الثمرة الحلوة. وهذه القبة برهان على صدق ما أقول. (على حدة) في الحقيقة، هكذا أسلم يهوذا معلمه عندما خاطبه قائلاً: عليك السلام، وهو يريد أن يقول: عليك الشقاء.

الملك ادوارد: الآن أتربع على العرش، والفرج يترع نفسي، موقناً بسلام بلدي (مستمعاً) من شجرة اخوتي.

كلارانس: ماذا يريد أن يقول عن مغرب؟ لقد وضع والدها رينيه جزيرة صقلية وتابولي بين يدي ملك فرنسا. وحول الينا مبالغ جزيته.

الملك ادوارد: دعها تنتقل الى فرنسا. فاليوم لم يبق امامنا سوى تكريس وقتنا لحفلات الانتصار ولشاهدة الابتهاج والمرح والهرج الذي يلاثم لهُو البلاط. فاقري يا طبول وانفخي يا ابواق. وداعاً يا احقاد الاعداء، لأنني اليوم آمل أن أبدأ أفراحي الدائمة.

(انتهت)

